

مصطفى محمود

سؤال الوجود

د. لوتس عبد الكريم


جديد!
تريبل
تشيزي
بايتس
بيتزا هت



د. لوتس عبد الكريم

مُصْطَفَى مَحْمُود

سؤال الوجود
بين الدّين والعلم والفلسفة



ثقافة اليوم وكل يوم

العدد رقم ٥١٧
ديسمبر ٢٠٠٨

يصدر أول كل شهر
عن
دار أخبار اليوم

٦ شارع الصحافة
القاهرة
ت: ٢٥٩٤٨٢٢٣
تليفاكس: ٢٥٧٨٤٤٤٤

الغلاف:
عمرو فهمى

الإخراج الفنى:
عبدالقادر محمد على

تخفيض ١٠٪
من قيمة الاشتراك
لطلبة المدارس
والجامعات المصرية

أسعار البيع
خارج مصر

سوريا ١٥٠ ل.س - لبنان ٥٠٠٠ ل.ل - الأردن ٢ دينار الكويت ١ دينار - السعودية ١٢ ريال - البحرين ١ دينار - قطر ١٢ ريال - الإمارات ١٢ درهم - سلطنة عمان ١ ريال - تونس ٣ دينار - المغرب ٣٥ درهم - اليمن ٥٠ ريال فلسطين ٢ دولار - لندن ٢ ج ك - أمريكا ٥ دولار - أستراليا ٥ دولار استرالى - سويسرا ٥ فرنك سويسرى.

العنوان على الإنترنت
www.akhbarelyom.org.eg/ketab

البريد الاليكترونى
ketabelyom@akhbarelyom.org

قبل أن تقرأ

من منا ينساه؟ ومن منا ينسى موسيقى الناى المميزة للمبدع محمود عفت التى تسبق برنامجه الشهير "العلم والإيمان"؟ وكيف تغيب عن الأذهان نبرات صوته التى تصل إلى قلب المستمع مباشرة دون حواجز؟ إنه الكاتب والمفكر والفيلسوف والمبدع الدكتور مصطفى محمود.

هذا الكتاب ليس مجرد سرد للسيرة الذاتية لحياته العامرة بالأحداث الجليلة، إنما هو كتاب يحكى قصة علاقة إنسانية عميقة بين المؤلفة الدكتورة لوتس عبد الكريم وصاحب موضوع الكتاب الدكتور مصطفى محمود.

فالمؤلفة أتيح لها أن تتعرف عن قرب على هذا العالم والمفكر الجليل، فالتقطت بذكاء هذه الفرصة ولم تضيّعها.. قررت بإصرار أن تقتحم عالمه، وأن تفتح أبوابه المغلقة، وفى رحلة الاقتحام هذه تكشف وتكتشف "مصطفى محمود الفنان" صاحب الحس الفنى الراقى، فتنقل عنه ولعه الشديد بالموسيقى، فهو يرى أن الكون كله أشبه بأغنية رائعة، يتناغم فيها صوت عصفور مغرد مع صوت رفيف أجنحة فراشة ملونة.

وتقول إن مصطفى محمود صوّر القرآن كسيمفونية بالغة العذوبة والرقة، تستشف الروح من خلالها أبدع معانى الإيمان.

كما تكشف لنا المؤلفة وجهًا آخر من وجوه المفكر الكبير مصطفى محمود.. "مصطفى محمود الماركسى"، حيث أكدت أن الألفاظ الماركسية الرنانة استهوته فى بداية مراهقته الأدبية، فسار خلفها مفتونًا لبضع سنوات، وكتب فى ذلك الوقت كتاب "الله والإنسان" الذى بشّر برائد فكرى عظيم كما قال كبار الكتاب وقتها.

"مصطفى محمود السياسى" باب وجدت خلفه المؤلفة وعيًا سياسيًا من مصطفى محمود، الذى كان يؤمن أن تصريحات السياسيين على

اللسان أحلى من العسل، وما تخفه القلوب أوامر بالقتل وتعد بمات بالنسف والخسف، وأن لكل سياسى عدة وجوه وعدة أقنعة ليقابل بها زواره، وقد يبدل وجهه عدة مرات فى كل يوم.

أما باب "مصطفى محمود الصوفى"، فقد وجدت المؤلفة خلفه أرقى درجات التصوف التى رآها فى الخلوة والسكون والصمت، إذ يقول: "لا يستطيع بلوغ أرقى درجات التصوف إلا من بلغ سكون النفس وصفاء الروح وامتلك القدرة على حصر الانتباه والتركيز والانصراف إلى التأمل، فقهر شهواته وشواغله الدنيوية وصعد دربَ السالكين إلى الله".

تصف المؤلفة علاقتها بصاحب هذه السيرة فتقول: الدكتور مصطفى محمود كنت أعتبره صديقى وطبيبى النفسى لكثرة ما كتب عن النفس.. ذهبت إليه أشكو الشيء ذاته فأخذنى من يدى وصعد بى إلى سطح المسجد، حيث كانت حواراته مع الكواكب.. وجدت أداة طويلة تتجه إلى السماء يرقب بها الفلك.. وقال لى: "انظرى إلى السماء من خلالها" ونظرت فإذا النجوم الساطعة تبرق بريقا عظيمًا فى سماءٍ كحليةٍ شاسعةٍ وهو يردد: "شوفى عظمة الله.. كل نجمة تخفى أسرارًا كثيرةً".

ثم أخذنى إلى الطابق السفلى حيث "الأكواريوم".. وهى غرفةٌ واسعةٌ بها أحواض الأسماك التى جلبها من كل مكان فى العالم.. شدّنى مِن يدى إلى حوض خاص قائلاً: "ستشاهدين راقصة الفلامنكو" ورأيت سمكة جميلة فى حجم الطفل الصغير حمراء.. ذيلها وزعانفها سوداء ترقص فى وضع أفقى ولا تكف عن الرقص تمامًا مثل الراقصة الإسبانية، قال لى: "إنها ترقص لكِ"، وضحك ونحن نغادر المكان قائلاً: "لو تأملتِ فى ملكوت الله وشاهدتِ عظمته فى كل الكائنات حولك لما حزنت ولا اكتأبت، أنتم بعيدون عن الله".

الفلسفة جزء لا يتجزأ من حياة مصطفى محمود، فهو - كما تقول الدكتورة لوتس - صاحب المقولة الشهيرة: "إن القليل الذى تحبه يسعدك أكثر من الكثير الذى لا تحبه.. والقليل يحرك الشهية بينما الكثير يميتها.. وبلا شهية لا وجود للسعادة".

وفى نهاية الكتاب، اختارت المؤلفة أهم المقالات التى كُتِبَت عن المفكر الكبير بأقلام كتاب مصريين وعرب، قالوا خلالها كيف أثر فيهم مصطفى محمود، وكيف كان فى منهجه نبراسًا فكريًا لهم.

هذا الكتاب يطوف بك فى رحلة شائقة إلى عالم مصطفى محمود.. ذلك الفيلسوف الحالم السابح فى ملكوت الله، ستجد فيه الوجه الآخر الذى ربما لم يظهر فى الصورة، رسمته لوتس عبد الكريم بقلمها فأخلصت فى رصد صورة متكاملة ثلاثية الأبعاد للمفكر القدير.. مصطفى محمود.

نوال مصطفى

ديسمبر ٢٠٠٨

إهـــــــداء

إِلى أُسْتَاذى وَصَدَيقى

الذى أَضَاءَ بِفِكْرِهِ ظَلامَ حَيْرتى

وَأَشْعَلَ بإيمانِهِ جَذْوَةَ الأَمَل

فى طَـــرِيِقٍ أَرْحَـــب

طـــــريق اللــــه

إلى الدكتور مصطفى محمود

لوتس

الحياةُ مَرَاحِل
وهذه هى مَرَاحِلُهُ

حين كتبتُ مقالى عن الدكتور مصطفى محمود فى مجلة "الشموع" أول مرة
كان القصد منه إيقاظ غفلة أهل العلم والفن والإعلام الذين ينامون فى سبات عميق
متناسينَ قيمةً ما قدَّم هذا العالمُ العظيمُ من فكرٍ وعلمٍ ودينٍ لمصر وكل العربِ على مدى زمن طويل
وأنه واجهة مضيئة بكل ألوان الثقافة التى أصبحنا نفتقدها اليوم فى عالمنا الخاوى المتناسى لكل أنواعِ الإبداعِ..
وهو مريضٌ وقد طال به المرضُ
لم يلاحظ أحدهم انقطاعه عن الكتابةِ المعتادةِ والمطلوبةِ دائمًا فى صحفنا، والتى تزخرُ بآرائه الملأى بكلَ ما هوَ مفيدٌ وعميقٌ وجديدٌ من كل الوجوه..
لم يلاحظ أحدٌ انقطاع برنامجه الشهير
والذى كانت تتابعه الجماهيرُ العربية بشغفٍ واستزادةٍ (برنامج العلم والإيمان).. لم يذكره أحدٌ منذ أمد ليس بقصير
ونحن لا نذكر عظماءنا وآثارهم إلا بعدَ أن يرحلوا..
والدكتور مصطفى محمود أستاذٌ وصديقٌ عزيزٌ
لم أنقطع عن زيارته

والسؤال عنه طوال كل هذه السنين..
وَرَدَ فى مقالى بعض الجمل غير المقصودةِ التى أثارت غَضَبَ بعض الصحافيين حددت دون قصد منى فى أن أسىءَ إليه كيف؟ وهو ذو الفضل الأكبر علىَّ فى كل مراحل حياتى..
ولكنَّ عزائى كانَ بعد مَقالى فى احتشاد عشرات الصحف والمجلاتِ والإذاعاتِ العربيةِ للحديثِ عنه كما يَليقُ به وتَذكُّره كما طلبت
بل وإعادةِ برنامجه العظيم فى بعض القنواتِ
وإعادة النَظر فى اَللومِ والعَتابِ لمن تَناسوه حتَّى ولو بالسؤال عن صحته..
سعدت كثيرًا بأن مقالى كان له ذلك الأثر الكبير
وعاد اسم الدكتور مصطفى محمود يتردَّد كل يومٍ وفى كل مجال..
احترمتُ نفسى وغبطتها وحمدتُ الله أن هدانى لتقديمِ شىءٍ من الولاءِ لهذا الإنسان الذى يستحق كل الخير وكل الولاء..
وطلبَ الكثيرون منى بعد ذلك أن أكتب عنه كتابًا ككل ما كتبتُ عن أصدقائى المقربين الملكة فريدة، ثم إحسان عبد القدوس، ويوسف السباعى، ومحمد عبد الوهاب، ويوسف وهبى.. ولكن..
إنَّه غير كل هؤلاء
إنَّ ذكرياتى معهم وسيرتهم ولون علاقتى بكل منهم غير مصطفى محمود..
إنَّ كتاباتى عن كلٍّ هؤلاء كانت انطباعات ومشاعر أساسها الاندماج الكلى والأحداث والعشرة والفهم الكثير والتأثُّر بمسيرتهم فى حياتى ودورهم فيها
فأنا أكتبُ بفطرةٍ بالغةِ الصدق ولستُ محترفةَ كتابة،
إنما أسجِّل مشاعرى دون دراسةٍ أو نقد أو تحليل، وهنا أذكر له (مصطفى محمود) أنه قال لى ذات مرةٍ (أنتِ يا لوتسَ أكثر واحدة عندك القدرة على فهم وتحليل الشخصية)... هذا ما قاله، وما لم أعرفه فى نفسى..

ورغم ذلك فحين أقدمتُ على محاولةِ الكتابةِ عنه... شعرتُ للمرة الأولى بعجزٍ شديدٍ فتوقفتُ تمامًا لمدةٍ ليست قصيرةً..

لماذا؟

إنه عملاقٌ ليس كبقيةِ من عرفت من عمالقةٍ..

عملاقٌ فريدٌ فى شخصهِ

فى خصالهِ

فى أدبهِ

فى تفكيرهِ

فى عقليته..

فى نظرته إلى الحياةِ وفلسفته..

إنه من كبارِ المفكرين العرب فى عصرنا الحاضرِ

هو أصعبُ من كلِّ هؤلاء العمالقة..

أعجزُ تمامًا عن الوصولِ إلى عقله أو قلبهِ

رغم سعة هذا العقل سعةً غير طبيعيةٍ

وعمق هذا القلب عمقًا غير عادى..

إنه عاقلٌ جدًا ومجنونٌ جدًا وهو طيب جدًا وقاس جدًا..

وهو عاطفىٌّ أحيانًا وجامدٌ ومتحكم فى أحاسيسه أحيانًا كثيرة..

وهو سهلٌ وممتنعٌ وهو هادئٌ وثائرٌ..

وهو بسيطٌ للغايةِ ثم مبهمٌ وغامضٌ أكثر المراتِ.. وهو عميقٌ ومدركٌ وأذكى الأذكياء ثم يبدو غير ذلك مرات كثيرة..

إنه إنسانٌ لا يستطيع أن يفهمه إنسانًا

لكن إنه ذلك الرائعُ العملاقُ المستعصى على فهمِ الأذكياءِ بفلسفته المحبوكة المحكمة وعلمه الذى تفوَّق على العلم..

وعمق إدراكه لكل ما لا يُدرَكُ..

إننى أكتبُ عنه وأنا مصابة بالهلع والخوف والاضطراب الشديد

وفى مخيلتى أنه أمامى يحاسبنى بنظرةٍ واحدةٍ حادَّةٍ من عينيه

ويقول لى: من أنت حتى تكتبى عنى؟
ما استطاع أحدٌ أبدًا أن يفهمَنِى..
بل ما استطعتُ أن أفهم نفسى لفرط صدقها وعنفوان انفعالاتها وعمق علمها وإحساسها..
كل هذا إلى جانبِ رقّةٍ شديدةٍ وحنانٍ بالغٍ ووداعةِ طفلٍ صريح..
ودائمًا يحفظُ المسافةَ بينه وبين أقربِ الناسِ إليه..
إنه يصفعك بنظرة
ويربت كتفك بيدٍ حانية،
ومع ذلك فقد تجرأتُ وها أنا أكتب عنه عسانى أصلُ إلى أعماقه
يمسُّ قلمى الصفحات..
أرتعدُ من الرهبةِ..
أخشى أن أخطئَ فى تحليلى
أو أقعَ فى محظور..
وأنا أكتبُ عن أذكىِّ الأذكياءِ
وأنقى الأولياء
أكتبُ عن إنسان لا يتكرر فى زماننا أو أى زمان آخر...
لقد مضت سنوات طوال وشارف العمر نهايته.. حسرة فى نفسى أننى لم ألازمه ليلَ نهار...
وكيف كان يكون لى ذلك وهو الصعبُ المستحيلُ رغم صداقتنا وحديثنا الطويل أفتقدُ أحاديثه
أفتقدُ عقله الغزيرَ وشذوذَ ردود أفعاله،
أخشى أن يخوننى المنطقُ ويجانبَنى الصوابُ..
أخشى الإساءةَ إليه حين أهدف إلى الخير كله..
أخشى الإبحارَ فى مكنوناته وتلافيف أحاجيه وألغازه..
أخافُ من نفسى وعليه ألا أحسن التعبيرَ عن ذكائه الخارق وعمق وجدانه وبحار اكتشافاته.. وطهارة مراميه.
لقد اضطرتنى الكتابة عنه إلى إعادة قراءة كل ما كتب

وأُصبتُ بإرهاق شديد
ولم أذقَ النوم ليالىَ طويلةً
وأنا أغوصُ بكل تأملاتى فى فلسفته وتمرده وقلقه ثم إيمانه..
وأصابتنى العدوى..
عدوى القلق والكآبةِ والتشاؤم والتفكيرِ فى الموت وما بعد الموت وما قبل الموتَ وباللاجدوى منَ كل شىء حتى حياتنا نفسها ثم...
الصعود إلى السماء والتوسُّل إلى الله واللجوء إلى كل ما يقربنى منه..
وانشغلتُ بنفسى عما حولىَ وأصبحت فى عالمٍ غير العالمِ..
وأخيرًا هدأتُ، ولجأتُ إلى شىءٍ من التوازن
أعاد إلىَّ طمأنينتى فدعوتُ له بالشفاء، واستكنتُ إلى الكتابة..
ووجدتُ بعد المجهود أنه فجأةً - وبلا استئذان - يتسلَل إلى وجدانك، قلبك، روحك، حياتك
فيفيض مما وهبه الله من حكمةٍ وسلاسةٍ ودماثةٍ وآياتٍ محكمةٍ فى الكون كله...
والتقيت ثانيةً بالدكتور مصطفى محمود
واندمجتُ فى توحده بالوجودِ وما وراء الوجود.. بالله.. فى صوفيةٍ عارمةٍ أسلمتنى إلى لونٍ من الهدوءِ لم أظفر به زمنًا..

نشــأته

الدكتور مـصطفـى مـحـمـود تَخَرَّج فى كلـية الطب دفـعـة ١٩٥٢ وتخصَّص فى الأمراض الصدرية،

وتتلمـذ على ثلاثةٍ من كبارِ الأطبـاءِ هم الدكاترة أنور المفتى وعبد العزيز سامى وعبدِ العزيزَ شريفَ.

ثم احترف الأدب،

وتتلمـذ على ثلاثةٍ من كبارِ الأدباءِ والمفكرينِ وهم: عـبـاس العـقـاد وطه حسين وتوفيقِ الحكيمَ.

وقبل أن يصبح مصطفى محمود طبيبًا وأديبًا شهيرًا

كــان وهو طـالب بطنطا الثــانوية، يـجــوب الموالد وراء دراويش إبراهيم الدسوقى ومجاذيب السيد البدوى.

وفى القاهرةِ

وجـد فـى شـارع مـحـمـد على الموسـيـقـيـين الذين يـعـزفـون على النوتةِ والمطربـاتِ والعوالمِ اللائى يحفظن أغنياتِ كبارِ المطربين والمطرياتِ

فهجر الدراويشَ والمجاذيبَ

وتتلمــذ فى حــارة العــوالم على عــازف الناى حــســين فــاضل والمايسترو حسب الله والأسطى منيرة المعداوى،

وأصبح حلمه الأول أن يصبح موسيقارًا

واصطدم الفيلسوف المفكر بأنه سيكون واحدًا فى طاقمٍ أو عازفًا فى تخت، وفكّر فى احتراف الطب
والتحق بكلية الطب
وهجر الموسيقى وحارةَ العوالم إلى المشرحة وقصر العينى.
وهو يقول: "إنه اختار مهنة الطِب ليلتقى بكل طبقاتِ المجتمعِ وهم فى حالة عرى
كلهم يخلعون ثيابهم وأسرارهم ـ
كل إنسان جاء ليقول السر الذى لم يبح به لمخلوق..
الحشّاشُ والسكرى وغيرهما يصارحون الطبيّبَ الذى يسجل تاريخ حياة مريضه.
وبهذا يتصل الطبيبُ بقلب المجتمع وروحه..
والطبيب هو الوحيد الذى يحضر لحظة الموت والميلاد"

□□□

صَدَاقَتُنَا

كان يسمّينى سوسن أو (سوسنة)
وهو الاسمُ المرادفُ للوتس بالهيروغليفيةِ سوسن..
عرفته فى الثمانينيات..
كان زوجى وزيرًا للمالية والبترول بالكويت
وقد حقّق الكثير..
مثل (مشروع صندوق الخليج من أجل مصر)
ثم (مشروع سوميد للبترول) ـ
وكانت حواراته العديدة مع الرئيس محمد أنور السادات مدخلاً للنقد،
وإعادة النظر مع تدخُّل الكثيرين من كتَّاب مصر
منهم الكاتب أحمد بهاء الدين والكاتب أنيس منصور ثم الدكتور مصطفى محمود الذى كان صديقًا شخصيًا وحميمًا للرئيس السادات..

وعرفته وقتذاك ثم اقتربتُ منه كثيرًا
وأنا أحمل إليه تبرعات خليجيةٍ من أجل مصر
ثم مشروعاته الإسلاميةً الخيرية..
وكان زوجى يحرص على زيارته كلما جاء إلى مصر
ويستعين به فى حل مشكلاتِ البنوكِ الإسلاميةِ التى كان يؤسِّسُها فى لوكسمبورج
ويديرها مصريون فكانت حكمة الدكتور مصطفى محمود وصرامته وعلاقاته المتعددة ذات فائدةٍ قصوى فى حل تلك المشكلات التى كانت تنتهى بكسب مادىٍّ للمشروعاتِ الإسلاميةِ فى مصر
وفى ذلك الوقت كان يقول لى ضاحكًا:
عندك زوجٌ عبقرىٌّ يعاقب ويكافئ فى الوقت ذاته
دون أن يخسر شيئًا من جيبه
وهذه طباع رجال المال الأذكياء.. أو اليهود
وتمَّتْ (كامب ديفيد) بعد ذلك
وانقطع زوجى عن الحضور إلى مصر
واضطررت للعودة إلى الكويت
واستمرت علاقتنا بالدكتور مصطفى محمود الذى كان يزورنا ضمن زياراتهِ إلى الجزيرة العربية...
كنتُ قارئةً نهمة لكتب الدكتور مصطفى محمود قبل ذلك بكثيرٍ
دائمة السؤال والاستفسار منه عما يكتب أو يقول..
ومن هنا كانتَ صداقتنا على مستوى إنسانى وعائلى...
فكنتُ أقيم أحيانًا فى فيلته بالغردقةِ أثناء وجودهِ وابنته أمل وأولادها
ويحتدم بيننا النقاش فى كل شىء
وكانت تحضر معه أحيانًا شقيقته الكبرى الحاجة زكية - رحمها الله - نقية فطرية أستمع إلى حكاياتها عن طفولته وعاداته وتربيتهم..
وهذه السيدة

هى التى كانت تقوم على خدمته
بإقامتها الدائمة معه بعد انفصاله عن زوجته الأولى السيدة سامية أم ابنيه أدهم وأمل...
وكان يحضر إلينا كثيرًا
الشيخ أحمد زكى يمانى وزير البترول السعودى آنذاك
وقد قمتُ بواجب التعارف بينهما
فكنا نقضى أجمل السهرات الدينية معًا والإعلامى المعروف أحمد فراج رحمه الله..
وحين تزوج الدكتور مصطفى من زوجته الثانية زينب
عقد قرانهما بالكعبة وظن خطأ أنه سيستقر أخيرًا
ولكنَّ النزاع بينهما لم يكنِ ينتهى..
واعتبرتنى صديقة حميمة لها فى هذه الفترة
حتى أنهما كانا يقضيان بعضًا من أيام الصيف معى فى فيلا أمتلكها بالعجمى
وكنت أرقبُ علاقتهما عن كثب
وأقولُ فى نفسى لن يستمرَ هذا الزواج...
وفجأة حادثتنى هاتفيًا فى يوم ما قائلة:
صاحبك أرسل لى ورقة الطلاق!...
هكذا قال الدكتور مصطفى محمود.. لن تحتمل زواجى أية امرأة..
وهكذا كانت علاقتى ومعرفتى الحميمة بالدكتور مصطفى محمود..
بعد ذلك تباعدت بيننا الزياراتُ بسبب الظروف والأسفار
إلا من السؤال الدائم تليفونيًا وبعض الدعوات التى يوجهها لى أو لزوجى لحضور مناسبات ثم حضوره إلى بعض الصالونات الأدبية التى أقيمها فى مسكنى
وانشغالى بالملكة فريدة (السنوات الخمس الأخيرة من حياتها) والتى عرَّفته بها..

□□□

ونأتى إلى مرحلة أخرى من مراحل حياتى المهمة وطدت

صلتى بالدكتور مصطفى محمود وهى المرحلة الدينية..
وأنا أقسِّمُ حياتى
إلى مراحل الدين والفن والفلسفة والسياسة،
فالمرحلة الأولى وهى الفلسفة بحكم دراساتى..
والثانية السياسة بحكم زواجى..
والثالثة وهى الفن
بحكم الموهبة أولاً ثم اختلاطى بفئةٍ معينةٍ من المجتمعِ على رأسهم أحمد بهاء الدين
ساعدتنى على نمو تلك الموهبة
وكان للملكة فريدة دور مهم فيها..
والرابعة كانت المرحلة الدينية
وفيها انقطعت ردحًا طويلاً من الزمنِ عن كل شىءٍ إلا العبادة والتفرغِ للتعمق فى الدين
وكنتُ بحاجةٍ شديدة إلى ذلك..
كان هذا هوَ الوقتُ الذى التقيت فيه بالشيخ محمد متولى الشعراوى أثناء العمرة
وقضيتُ بمنزله فترةً طويلةً فى مواجهة الكعبة
وكانت بيننا حواراتٌ طويلة..
ثم التقيتُ بالإمام الأكبر الشيخ الدكتور عبد الحليم محمود أثناء الحج
فأدخلنى معه إلى الكعبة
وتوطدت بيننا العلاقة ـ وكان وزيرًا للأوقاف ثم شيخًا للأزهر ـ حتى أننى بدأت معه فى دراسةٍ طويلةٍ لدكتوراه أخرى فى التصوف الإسلامى
اختار لها عنوانًا هو (الأحوال والمقامات).. هذه المراحل يطول الحديث فيها
ولكن ليس فى هذا المجال حاليًا
وأنا أتكلم عن الدكتورِ مصطفى محمود
الذى لجأت إليه مرةً ثانيةً لمساعدتى فى حل ألغاز ما أحطتُ

به نفسى وقتذاك.. وطالت بيننا الحوارات بطريقةً أخرى فهو عالم وفيلسوف وطبيب وفنان ورجل دين فى وقت واحد..
ولذا كان أسهلهم جميعًا فى إقناعى واقتناعى.. واستمرت صداقتنا..
كان إذن اتجاهى الدينى الصوفى مدخلاً لحواراتٍ لا تنتهى بيننا
وكان يقول لى: تمهلي ولا تندفعى دون تريث
فالدين ليس انفعالاً عاطفيًا يزول بإزالةِ المسبب..
تأملى برفق وفهم وتعمُّق
حتى يكونَ اقتناعك دائمًا وليس مؤقتًا وحتى لا يغنيك عنه شئ آخر..
تكلمنا فى أحوال أهل الطرق الصوفيةِ
وكيف يرتقى الصوفىُّ بمقاماته حتى الذروة العليا من الزهد والترفُّع عن المادة..
كان مدخل الدكتور مصطفى محمود إلى ذروة الإيمان من خلال العلم - وعلى حد قوله بدءًا بالطب ودروس التشريح وتكوين الجسد البشرى كيف أبدع الله بمعجزاته فى البشر (وفى أنفسكم أفلا تبصرون)..
ثم الفلسفة التى تثير وتُعمِّق كل فكرة
فتقودها إلى الحيرةِ ثم الشكِّ ثم الانغلاق والانفتاح حتَّى الوصول إلى الحقيقةِ أو الاقترابِ منها والتأمل فيها.. وأخيرًا الفن.

□□□

الفنان

فالدكتور مصطفى فنان بالفطرة
والفن حين يرتبط بالفلسفةِ والعلمِ والدينِ يصبح مزيجًا
رائعًا محببًا من اللغة التى ترتبط بالوجدانِ والقلبِ والمشاعرِ الجياشةِ المرهفة..

أسمعه يقول عن القرآن:
(أحار فى وصف الشعور الذى تلقيت به أول عبارة فى القرآن..
وكيف كانت الكلمات تعود من تلقاء نفسها فتراود سمعى وذاكرتى فأرانى أردد بلا صوت.. "والضحى والليل إذا سجى".
وقطعًا أنا لم أكن أعلم ما الضحى
ولا كيف سجى الليل
ولعل المقاطع كانت تتردَّد فى سمعى أشبه بمقاطع سلم موسيقى (صول لا سى دو رى مى فا).
مجرد حروف لا معنى لها ولا وقع سوى مدلولها الموسيقى..
مجرد نغم ومازورات موسيقية وإيقاع يطرب الوجدان..
نعم.. لقد اكتشفتُ منذ طفولتى البعيدة دون أن أدرى حكاية الموسيقى الداخلية الباطنة فى العبارة القرآنية ـ وفرق كبير بين الموسيقى الباطنةِ والموسيقى الظاهرةِ ـ الموسيقى تصلُ إلى أذنك من خارج العبارةِ وليس من داخلها.. أما حينما تتلو (والضحى والليل إذا سجى) فأنتَ أمام شطرة واحدة وهى بالتالى تخلو من التقفية والوزن والتشطير ـ ومع ذلك فالموسيقى تقطر من كل حرف فيها..
من أين؟ وكيف؟
هذه هى الموسيقى الباطنة.. الموسيقى الداخلية..
سرٌّ من أسرار المعمار القرآنى..
(الرحمن علىَ العرش استوى)
وحينما تتلو كلمات زكريا لربه:
(قال رب إنى وهن العظم منى واشتعل الرأس شيبا ولم أكن بدعائك رب شقيا)..
أو كلمة الله لموسى:
"إن الساعة آتية أكاد أخفيها لتجزى كل نفس بما تسعى"..
كل عبارة بنيان موسيقى قائم بذاته تنبع فيه الموسيقى داخل الكلمات ومن ورائها ومن بينها بطريقة محيرةٍ لا تدرى كيف تتمُّ..

وحينما يروى القرآن حكاية موسى بذلك الأسلوب السيمفونى المذهل: (ولقد أوحينا إلى موسى أن أسر بعبادى فاضرب لهم طريقا فى البحر يبسا لا تخاف دركا ولا تخشى فأتبعهم فرعون بجنوده فغشيهم من اليم ما غشيهم وأضل فرعون قومه وما هدى).

كلمات فى غاية الدقة مثل "يبسا" أو لا تخاف "دركا" بمعنى إدراكا - إن الكلمات لتذوب فى يد خالقها، وتصطف وتترامى فى معمار ورصف موسيقىٍّ فريدٍ هو نسيج وحده بين كل ما كتب بالعربيةً سابقا ولاحقا ..

أسمع هذا الإيقاعَ المنغمَ الجميلَ:

"فالق الحب والنوى يخرج الحى من الميت ومخرج الميت من الحى" (الأنعام: ٩٥).

"فالق الإصباح وجعل الليل سكنا والشمس والقمر حسبانا" (الأنعام: ٩٦).

"يعلم خائنة الأعين وما تخفى الصدور" (غافر: ١٩).

ولكن الموسيقى الباطنية ليست هى كل ما انفردت به العبارة القرآنية وإنما مع الموسيقى صفة أخرى هى الجلال.

وفى العبارة البسيطة المقتضبة التى روى بها الله نهاية قصة الطوفان تستطيع أن تلمس ذلك الشىء الهائل الجليل فى الألفاظ:

"وقيل يا أرض ابلعى مَاءَكِ ويا سماء أقلعى وغيض الماء وقضى الأمر" (هود:٤٤).

تلك اللمسات الهائلة.. كل لفظ له ثقل الجبال ووقع الرعود.. تنزل فإذا كل شىء صمت سكون هدوء وقد كفت الطبيعة عن الغضب ووصلت القصة إلى ختامها..

إنك لتشعر بشىءٍ غير بشرىٍّ تمامًا فى تلك الألفاظ الهائلة الجليلة المنحوتة من صخرٍ صوان وكأن كل حرف فيها جبل الألب..

وألفاظ أخرى تقرؤها فى القرآن فتترك فى السمع رنينًا

وأصداء وصورًا حينما يقسم الله بالليل والنهار فيقول:
"والليل إذا عسعس والصبح إذا تنفس" (التكوير: ١٧ ـ ١٨).
"عسعس" هذه الحروف الأربعة هى الليل مصورًا بكل ما فيه ..
"والصبح إذا تنفس" إن ضوء الفجر هنا مرئى ومسموع إنك تكاد تسمع زقزقة العصفور وصياح الديك..

هذا هو الفنان فى الدكتور مصطفى محمود
لقد صوَّر القرآن فى سيمفونية بالغة العذوبةِ والرقةِ
تستشف الروحَ من خلالها أبدع معانىَ الإيمان..

ويقول الدكتور مصطفى محمود فى حديث لى معه:
(لقد أحببتُ الموسيقى العظيمة منذ فجْر حياتى، وأجدتُ العزف على الناى والعود، وعرفت أستاذًا فى معهد الموسيقى استشعر حبى للعود، وهوايتى فى العزف عليه، فعلَّمنى أصولَ العزفِ والنوتة والسلمَ الموسيقىَّ ـ كان هذا وأنا طالب فى كلية الطب، واستمر بى الحال، وأنا أعزف على العود والناى، وأسهر مع أهل الفن حتى انشغلت عن كل هذا، وإن لم أنشغل عن سماع الموسيقى..

وكيف لا أحب الموسيقى؟
الكون كله سيمفونية رائعة فهذا عصفور صوته عذب جميل ـ وتلك فراشة ملونة جناحها لوحة لا تدانيها أعظم لوحات بيكاسو، وتشعر بأن لحركة جناحها إيقاعاً "أو ميلودى" ـ الفهم واضح فى الكون والموسيقى واضحة فيه..

ومن أسماء الله الحسنى (البديع).. وهذا الاسم هو الحاكم على كل الفنون ـ وأنا أحب القرآن المرتل ـ والشيخ محمد رفعت صوته مثل البللور، ويجعلنا نحس بانكسار الصوت وخشوعه .. الشيخ رفعت معجزة

وعن كلامنا عن الخشوع فى الأداء الصوتى فلا يمكن أن نتجاوز عن صوت محمد عبد الوهاب
الذى ينضح خشوعًا
وخامة صوته متفردة وجديرة

وهو صوت أصيل أصيل..

□□□

الصُّوفىُّ

"يقول الغزالى إن الصوفى بالفعل ليس هو النموذج العام الذى يطلب من المسلم اتباعه.. والصوفية هم خاصة الخاصة وقلة القلة من القادرين المؤهلين على الجهاد الأكبر بترويض النفس ومخالطة الهوى والسلوك فى بحار الغيوب وقد أراد الله أن تكون كثرة الناس من أهل الغفلة ليشتغلوا بعمارة الدنيا واستصفى قلة وقلة القلة لنفسه..

والنبى عاش الصوفية والعزلة فى مرحلة غار حراء التى استمرت أكثر من أربع عشرة سنة.. وأقواله تشهد على الجانب الصوفى فى شخصه..

ونجد عيسى يعتزل الناس فى خلوةٍ تأملٍ مع نفسه يقضيها فى البريةِ قبل أن يعود فينزل للناس..

ونجد موسى فى خلوة الأربعين يومًا ينفِّذ مشيئةً إلهيةً وشرطًا للتأهل ليصلَ إلى الصلاحية لنزول الألواح عليه..

الصوفية إذن فى جوهر الدين وليست ابتداعًا فى الدين فتكون العبادة عندهم حبًّا لا طقسًا.

"هو"

نهاية الرحلة التى يحج فيها العقل إلى الحقيقة.. وهم الذين وصفهم القرآن بأنهم:

(يمشون على الأرض هونا وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما والذين يبيتون لربهم سجدا وقياما».. والذين "قليلا من الليل ما يهجعون وبالأسحار هم يستغفرون".. والذين «يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم ويتفكرون فى خلق السماوات والأرض».. و"الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم".. والذين «إذا سمعوا آياته خروا إلى الأذقان سجدا وبكيا».. والذين «يؤثرون

على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة»..

والذين اقتحموا العقبة وفكوا الرقبة وأطعموا المسكين واليتيم فى يوم ذى مسغبة ويوم ذى متربة..

والذين أينما تولوا فليس ثمة إلا وجه الله ما يرونه أمامهم..

والذين يذكرون الله فى أنفسهم تضرعا وخيفة ودون الجهر من القول بالغدو والآصال ولا يغفلون مع الغافلين...

والذين يصبرون أنفسهم مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشى يريدون وجهه ولا يعدون بأعينهم عنهم يريدون زينة الحياة الدنيا ولا يطيعون من أغفل الله قلوبهم عن ذكره..

والذين لا يرون فى الدنيا إلا أنها لهو ولعب وتفاخرٌ وتكاثرٌ فى الأموال والأولادِ وأنها مثل زرع أعجب الكفار نباته ثم يهيج فتراه مصفرا ثم يكون حطاما..

والذين التزموا أمر القرآن..

والذين أخلصهم الله بخالصة ذكرى الدار والذين هم عنده لمن المصطفين الأخيار..

أليست كل هذه الصفات فى مجموعها ما ينطبق على الخلق الصوفىِّ والمنهج الصوفىِّ فى التجرُّد وإخلاص الوجه لله وتفريغ القلب من شواغل الدنيا وجمع الهمة فى الذكر وتعمير الوقت بالعبادة سجودا وركوعا وقياما وتهجدا وبكاء ودعاء..

إنه ذات المضمون والمحتوى الذى وصفه القرآن

وإذا كانت الحياة استمرت ثلاثة آلاف مليون سنة، فلأن الله فيها ومعها ومن ورائها ومن حولها يهديها ويساندها ووجوده سبحانه وتعالى ضرورة مطلقة ..

وتظل القضية الثابتة: أن النفس حقيقة الحقائق وأنها تنتقل فى الأحوال وأن الجسد يبلى ويموت وأن الحياة خلقت لتستمر بعد الموت فى كيفيات لا نعلمها وأن الرواية لن تنتهى بالموت بل سوف تتعدد حيث تكون الغاية هى اللقاء بالله فى الإطلاق...

ويروى الدكتور مصطفى محمود فى قصة لتولستوى: (يقول الإقطاعى للفلاح الطامع فى أرضه سوف أعطيك ما تشاء من

أرضى.. تريد عشرة فدادين.. مائة فدان.. ألف.. لك أن تنطلق من الآن جريًا فى دائرة تعود بعدها إلى مكانك قبل أن تغرب الشمس فتكون لك الدائرة التى رسمتها بكل ما اشتملت عليه من أرض.. شريطة أن تعود إلى نقطة البدء قبل غروب الشمس أما إذا غربت الشمس ولم تعد فقد ضاعت عليك الصفقة..

ويفكر الفلاح الطماع فى دائرة كبيرة تشتمل كل أرض الإقطاعى.. وهو مطمع يحتاج منه إلى همة وسرعة قصوى فى الجَرى حتى يحيط بها كلها فى الساعات القليلة المتبقية على الغروب..

ويبدأ فى الجرى وكلما تقدم الوقت وسع من دائرته اغترارا بقوته وطمعًا فى المزيد وتكون النتيجة أن تتقطع أنفاسه ويسقط ميتًا قبل ثوان من بلوغ هدفه.. ثم لا يحصل من الأرض إلا على متر فى متر يدفن فيه..

وهذه هى حاجة الإنسان الحقيقية من الأرض

بضعة أشبار يرقد فيها.. وهو ينسى هذه الحقيقة فيعيش عبدًا لأهواء وأطماع تضيع عليه حياته..

وقد فطن تولستوى إلى هذه الحقيقة فوزّع أرضه على الفلاحين وهرب من بيته الأنيق الدافئ وسكن فى كوخ حقير مع الفقراء المعدمين.. وكذلك فعل غاندى الذى عاش على عنزة يحلب لبنها ويغزل صوفها وكذلك فعل المسيح الذى عاش بلا بيت وبلا زوج وبلا ولد لا يملك إلا ثوبه..

وهؤلاء هم السعداء العظام الذين جاءوا ليعلّموا الناس كيف تكون السعادة.. كما قال بوذا: إنها فى قمع النفس وكبح الشهوة وبذلك يكون العتق للروح وتحررها من الجسد..

والتصوف من خلال حواراتى معه فيما أكتب (الأحوال والمقامات) فيقول:

إن أرقى درجات التصوف فى نظر الغزالى فى الخلوة والسكون والصمت..

ولا يستطيع بلوغها إلا من بلغ سكون النفس وصفاء الروح

وامتلك القدرةَ على حصر الانتباهِ والتركيز والانصراف إلى التأمل فقهر شهواته وشواغله الدنيوية وصعد دربَ السالكين إلى الله.

وهو صعود أشق من الصعود إلى القمر لأنه يقوم على الجهاد الهائل مع النفس..

وفى بعض أخبار داود أنه قال "يا رب أين أجدك"؟ ..

فقال "اترك نفسك وتعال.. غب عنها تجدنى".

وفى هذا يفسِّر بعض المتصوفة كلام الله لموسى فى القرآن:

"فاخلع نَعْلَيْكَ إنك بالوادى المقدس طوى"

إن المقصود بالنعلين هما النفس والجسد..

هوى النفس وملذات الجسد..

فلا لقاء بالله إلا بعد أن يخلع الإنسان النعلين: نفسه وجسده بالموت أو بالزهد..

والله يصورهما كنعلين، لأنهما القدمان اللتان تخوض بهما الروح فى عالم المادة وعن طريقهما نزلت من سماواتها إلى الأرض...

□□□

السياسىُ

السياسة أصبح لها الآن ظاهر وباطن.

التصريحات على اللسان أحلى من العسل، وما تخفيه القلوب أوامر بالقتل وتعليمات بالنسف والخسف..

ولكل سياسى عدة وجوه وعدة أقنعة ليقابل بها زواره وقد يبدِّل وجهه عدة مرات فى كل يوم

وقد يتعامل مع الشخص الواحد بوجهين من تحت المائدة بأوراق أخرى.

والحُكام لهم أجهزة مخابرات ولهم مخازن معلومات

ولهم مخططات معلنة وخطط أخرى سرية وخطط ثالثة سرية جدًا وخطط رابعة لا تكتب وإنما تكتب شفاها من الفم إلى الأذن دون سميع ولا رقيب ـ ومعظم ما يصل إلينا عن طريق شبكات

الأخبار أكاذيب ومعلومات معدة سلفًا لتوزَّع على شعوب العالم الثالث المرسوم له أن يعيش فى ضباب لا يعرف رأسه من رجليه..

ونحن كالعادة أول من يقرأ وآخر من يفهم..

قرأنا أن الشيوعية قاتلت وقتلت وأعدمت وحرقت من أجل المطحونين المقهورين فهل أصاب هؤلاء المقهورون من خير الشيوعية شيئًا؟. أم أنها زادتهم قهرًا على قهر وفقرًا على فقر؟

والثورة الفرنسية نسمع أنها قامت من أجل الحرية والعدالة، فهل حققت العدالة أم قطعت رأسها على الجيلوتين؟

وحينما دخل موسولينى إلى طرابلس غازيًا لبس عمامة الإسلام وقال إنه جاء ينصر دين محمد، فهل نصر دين محمد عليه الصلاة والسلام أم نصب له المشانق؟

□□□

الماركسى

وقد استهوته تلك الألفاظ الرنانة فى بداية مزاهقته الأدبية فسار خلفها مفتونًا بضع سنوات، وكتب في ذلك الوقت كتابه (الله والإنسان) الذى اختار الشك والإلحاد طريقًا والذى استقبله الرفاق بالأحضان..

وكتب محمود أمين العالم ساعتها (إن هذا الكتاب يبشّر برائد فكرىٍّ عظيم فلما خرج عن القافلة وانشق على الصف رجموه بالحجارة وقالوا هو درويش مخبول..

وبعد أن سقطت راية اليسار انفتحت الأبواب والنوافذ على تيارات سياسية وصهيونية وأمريكية ثم بدأ طوفان ثقافىٌّ من الأقمار الصناعية واحتلت الشوارع أفلام الجنس والعنف والديسكو..

وهو لا يدعو إلى العزلة والتقوقع ولا رفض الحضارة الغربية لأن مصر فى موقع استراتيجىٍّ بين ثلاث قارات أوروبا وآسيا

وأفريقيا.. فلا تملك العزلة ولا تملك إلا أن تنفتح عليه من كل الأقطار.. ولكن لابد أن نضع على عقولنا مصفاة ناقدة ترشّح وتنقّى وتجادل وتناقش

ولابد من مناقشة الفكر بالفكر والنظر بالنظر .. التعددية الفكرية مطلوبة

فالله أراد للدنيا أن تكون مائدة غنية متعددة المآكل والمشارب ليبتلى اختيارنا ومواقفنا

ولو كانت هناك نظرية واحدةٌ سائدةٌ لما كان لحرياتنا معنى.

□□□

الفيلسوف

"إن القليل الذى تحبه يسعدك أكثر من الكثير الذى لا تحبه.. والقليل يحرك الشهية بينما الكثير يميتها.. وبلا شهية لا وجود للسعادة.."

وهو يعنى أن القليل يحفّز على العمل، وفى العمل ينسى الإنسان نفسه وينسى بحثه عن السعادة، وهذا فى الواقع منتهى السعادة

والعمل تشحيم ضرورى للعقل والقلب والمفاصل ودون العمل تصدأ المفاصل ويتعفن القلب وينطفئ العقل.. وينخر سوس الفراغ والبطالة فى المخ فتبدأ سلسلة من الأوجاع يعرفها أفراد الطبقة الراقية..

ولذلك أعتقد أن أسعد الطبقات هى الطبقة المتوسطة.. لأنها الطبقة التى تملك القليل من كل شىء.. فهى ليست معدمة مفلسة كالطبقة الدنيا وليست متخمة كالطبقة الراقية.. ولهذا فهى الطبقة التى تملك الدوافع والآمال والمطامع والمثل العليا والأخلاق والإمكانيات..

وهى لهذا.. الطبقة التى يخرج منها العلماء والفنانون والزعماء والأنبياء.. وأن الدوافع هى الحياة، هى الرصيد الحقيقى،

الدوافع هى حرارة حياتنا الحقيقية والدوافع هى الترجمة الحرفية لكلمة روح، عندك دوافع معناها عندك روح.. أمل.. طموح.. شهية.. رغبة

يقول الدكتور مصطفى:

"إن أمى لم تكن تفهم الفلسفة ولكنها كانت تملك فطرة نقية تفهم معها مثل هذا الكلام وكانت تطلق عليه اسمًا بسيطًا معبرًا هو.. الستر

والستر هو فى القاموس الشعبى القليل من كل شىء والكثير من الروح.. وأنا بعد كل خبراتى وقراءاتى لم أجد أفصح من هذه الكلمة البسيطة... الستر

ولهذا فأنا أطلبه لك أيها القارئ كما كانت أمى تطلبه لى وأرى أنى بهذا قد طلبت لك كل شىء".

يقول الغزالى عن المتصوف الصالح (أبو سليمان الدارانى) كان أبو سليمان يقول إن الملح شهوة وترف لأنه زيادة على الخبز وكل مازاد على الخبز فهو شهوة.. ويروى عنه أنه اشتهى ذات مساء رغيفًا ساخنًا بملح فلما جاءه، عض منه عضة ثم طرحه وشرع يبكى ويغمغم بين دموعه.. (عجلت إلى شهوتى بعد طول المجاهدة .. التوبة .. التوبة ..) ومنذ ذلك اليوم لم يره أحد يمس الملح قط

وعاش المسيح بلا زوجة وبلا ولد وبلا بيت وبلا فراش لا يملك إلا ثوبًا واحدًا وكان شعاره: (خبزنا كفافنا كل يوم).

ويبدو أن العالم تغيَّر كثيرًا منذ أيام الغزالى وأصبح الإنسان ينشغل ببطنه وينفق الوقت فى التصنيف ليشبع شهوة لن تشبع أبدا.. بل هو أيضًا لا يكتفى بزوجة واحدة أو حب واحد وبصرف النظر عن حكم الدين مسيحيًا أو إسلاميًا فإن حكم الحضارة أن مثل هذا الإنسان مستهلك يأخذ ولا يعطى أنه مرتكب لجريمة تبديد.. تبديد الحياة.. والحضارة.. والتاريخ.

الإنسان الشبعان أكسل من أن يعيد نظرا، وهو قد حول جميع حساباته للآلات الحاسبة والأمخاخ الإلكترونية.. لا وقت عنده ليسأل نفسه تلك الأسئلة المتعبة: من أين جئت وإلى أين أذهب

وماذا بعد الموت؟
وماذا قبل الميلاد؟
وتغرب شمس الإنسان الشبعان دون أن يسأل نفسه سؤالاً واحدًا لماذا أنا هنا؟..

□□□

الحبُّ

برغم كل ما يقال عن الجنس وأهميته فى نظريات علم النفس الحديث فلا شك أن الحب شىء غير الجنس
"الحب أدواته الذكاء والحس المرهف والعاطفة المتوقدة والبصيرة الشفافة والفطرة النقية والوجدان المتألق...
ولا يمكن أن تحل فى الحب امرأة محل أخرى لأنه ليس علاقة الرجولة بالأنوثة وإنما هو علاقة رجل معين بامرأة معينة.
والحب لا شبع فيه لأنه تخط لحاجز الجسد بحثًا وراء لقاء عميق واتحاد فى الجوهر".
ويعنى أن الحب لا يذكيه إشباع الجنس لأن الحب هو المانح الذى يمنح لذة الجنس.. بينما يظل الجنس لذةً خاويةً لا تستطيع أن تمنح حبًا.. والحب اتحاد شديد العمق يحتوى على وحدة أصيلة كالقدر والضرورة والمصير تجمع الاثنين عبر حدود الممكن والواقع ورغم حوائل الزمان والمكان.. وحدة لا يجدى فيها فراق ولا تبترها قطيعة.. وربما كان هذا ما قصده د. مصطفى محمود بقوله:
"لو لم نكن نموت لما شعرنا بالحب.. فما الحب إلا هيستريا التشبُّث بالحياة.. ومحاولة تهريبها كالمخدرات فى بطون الأمهات"..
ولماذا الحب بالذات من بين سائر القيم؟
لأن الحب عند مصطفى محمود هو القيمة العليا التى تخلع على سائر القيم الأخرى كل ما لها من معنى.. وإلا ماذا تكون قيمة

الحق إن لم يسبقها حب الحق.. وماذا تكون قيمة الخير إن لم يسبقها حب الخير.. وماذا تكون قيمة الجمال إن لم يسبقها حب الجمال

وهذا ما يعبِّرعنه د. مصطفى محمود بقوله:

"وما حب الإنسان للمرأة.. وما حب الإنسان للفن.. وما حب الإنسان للجمال.. إلا خطوات الدليل الخفى الذى يقودنا إلى الله.. إلى المحبوب الوحيد الذى يستحق الحب.. إنها محطات سفر إلى المحطة النهائية.. محطة الوصول".

الحب إذن أعلى القيم أو هو قيمة القيم.. وهو سبيل الخلاص من وهم العدم وكابوس الفناء وشبح الموت لأنه اللحظة الخارجة عن مجري الزمان القادرة على الدخول فى عالم الأبد.

"اللغة تتعطّل فى لحظة الحب ويحل محلها سكوتٌ ناطقٌ معبِّر"..

"والزمان والمكان يتلاشيان فى غيبوبة صاحية تكفُّ فيها اللحظاتُ عن التداعى.. وتنصهر فى إحساسٍ عميقٍ بالنشوةِ والنصر والفرح..

قدَ تكون هذه النشوة لحظةً واحدةً ولكن هذه اللحظة تصبح كالأبد".

وهذا معناه بعبارةٍ أخرى أن الحب هو الذى يرفع كل شىء وكل حى إلى مستوى (الموجود الخالد) الذى يزوده بطوق النجاة الذى يتحرر به من أسر الزمنِ لكى ينخرط فى سلك الأبدية.

والإنسان بهذا المعنى يصبح موجودًا خالقًا من شأنه أن يهب الحياة لمن حوله وأن يشيع الحياة فيما حوله طالما أنه يعمل على مصارعة الموت باسم الحب أو باسم هذه الحياة الأبدية.

"ومايبدعه الإنسان من فنونٍ خالدةٍ يدل على أنه يحتوى على بذرةِ الخلودِ فى داخله.

وما يعيشه من لحظاتٍ أبديةٍ يدل على أنه يحتوى على الأبدية فى قلبه".

وهذا يقتضى من الإنسان أن يحب كل شىء وكل حى وكل

موجود بشرى حبًا خلاقًا إبداعيًا .. أى حب.

"إن حبه يعبر به الغايات المحدودة ويتجاوزها إلى قيم الفن والجمال والخير والعدالة والحقيقة.

"وهو على عتبة هذه المجردات يكتشف أنه يريد الله بكل حبه فهو الواحد الذى تتجسَّد فيه كل هذه القيم اللانهائية".

فالحب باستطاعته أن يتحدى اختبار الموت باسم الحياة الأبدية التى سوف تنتصر على الموت.

والخلاصة التى يخلص إليها د. مصطفى محمود من بحثه فى (لغز الموت) هى أن الموتَ فى حقيقته،

وفى مغزاه الإنسانى العام هو المناسبة التى تضطرنا أن نختار بين أمرين:

فإما الإيمان بالفناء المطلق الذى تنعدم معه كل القيم، أو الإيمان بالقيمة المطلقة التى تربطنا بالروح الأعلى والتى تحقق لنا نوعًا من الخلود.

□□□

العَالِمُ

كما قال مصطفى محمود: الطبيب هو الوحيد الذى يحضر لحظة الموت ولحظة الميلاد..

وهى من اللحظات التى يقف أمامها الفيلسوف حائرًا.

والطبيب هو الوحيد الذى يدخل جسد الإنسان بمشرطه ليتتبع العروق والأعصاب ويعبث فى القلب ويضع أصابعه فى المخ كل هذه الظروف تجعله أقرب الناس إلى الحياة.

ومن هذه اللحظات لحظات الموت، ولحظات الميلاد، ولحظات الألم، كانت بداية التفكير والتأمل فى حياته بداية ألغاز لا نهائية.

وهو يقول أيضًا: كنت أظن أن حقيقة الإنسان ليست لغزًا وأن

فى إمكان المشرط أن يكشف عنها بضربةٍ واحدةٍ، وأنَّ الجسم ما هو إلا حقيبة إذا فتحتها عرفت كل شىء..

ولكنى أمضيت سنتين طويلتين وأنا أبحث وأنقِّب خلف اللحم والعظم وفى الأحشاء والأمعاء والشرايين والغضاريف عن هذه الحقيقة دون جدوى.. فتحت القلب، وفتحت الرئتين، وتتبعت الأعصاب حتى نهايتها، وصعدت من الحبل الشوكى إلى المخ وقطعت المخ نصفين.. ثم قطعت كل نصف إلى نصفين.. وانتهيت إلى كتلة رخوة بيضاء قال عنها الأستاذ سر الإنسان... أحقًّا؟

أهنا يسكن الألم وترقــد اللذة وتنام الإرادة فى هذه الكتلة الطرية المائعة؟ ورفعت رأسى فى قلق

لقد فتحت الحقيبة فوجدت داخلها حقيبة ومازلت بعد سنتين من التعب والكد حيث كنت أمام مجهول.

إن القناع الذى يغلِّف الإنسان ليس ثيابه وحدها، فجلده ثوب آخر ولحمه وشحمه وعظمه كلها ثياب، أما هو نفسه فبعيد بعيد تحت هذه الأقمشة السميكة من اللحم والدم.

ويقول د. مصطفى محمود: وقرأت ثلاثة آلاف صفحة فى كتب التشريح وكانت الخلاصة فى النهاية أن الإنسان مجموعة من الأحشاء فى قرطاس من الجلد.

وفى المشرحة وعنابر قصر العينى وغرف العمليات بدأ يواجه الألغاز، وحاول أن يبحث عن حلٍّ فى كتب الفلسفة وعلم النفس فلم يجد شيئًا.. وأصبح مصطفى محمود مدمن تفكير.

وعاشت معه عادة الإدمان فى التفكير حتى أصبحت جزءًا من شخصيته..

يقول د. مصطفى محمود:

"دخلت كلية الطب لأتلقَّى العلوم، وأدرس التشريح، وتعلَّمت فيما تعلَّمت فى كتب الطب النظرة العلمية، وأنه لا يصح إقامة حكم دون حيثيات من الواقع وشواهد من الحس وأن العلم يبدأ

من المحسوس والمنظور والملموس وأن العلم ذاته عملية شواهد واستخراج قوانين.

وما لا يقع تحت الحس فهو فى النظرة العلمية غير موجود، وأن الغيب لا حساب له فى الحكم العلمى.

كان العلم يقدم إلىَّ صورة عن الكون بالغة الإحكام والانضباط فى كل شىء من ورقة الشجر إلى جناح الفراشة إلى ذرة الرمل فيها تناسق ونظام وجمال.

الكون كله مبنى وفق هندسةٍ وقوانين دقيقة..

وكل شىء يتحرك بحسابٍ من الذرة المتناهيةً فى الصغر إلى الفلك العظيم إلى الشمس وكواكبها إلى المجرة التى تحوى أكثر من ألف مليون شمس إلى السماء المترامية التى يقول لنا الفلك إن فيها أكثر من ألف مليون مجرة.

كان العلم يمدنى بوسيلة أتصور بها الله بطريقة مادية.. هو الحيوية الباطنة الخالقة فى كل شىء.

وهكذا أقمتُ لنفسى نظرية تكتفى بالموجود وترى أن الله هو الوجود دون حاجةٍ إلى افتراض الغيب والمغيباتِ... ثم بدأت أفيق على حالةٍ من عدم الاقتنَاع.. ومَرة أخرى كان العلم دليلى ومرشدى..

عكوفى على العلم وعلى الشريحة الحية تحت الميكروسكوب قال لى شيئًا آخر.. إنما تقول النظرة العلمية المتأملة لظواهر الخلق والمخلوقات أن هناك وحدة بينها تعنى جميعها أن خالقها واحد ولا يشرك بأسلوب غير أسلوبه آخر..

وتقول إن هذا الخالق هو عقل شامل كلى ومحيط يسلح مخلوقاته بوسائل البقاء فهو يخلق لبذور الأشجار الصحراوية أجنحة لتعبر الصحارى بحثًا عن ماء.. وهو يزود بيضة البعوض بكيسين للطفو لتطفو على الماء لحظة وضعها ولا تغرق.

وما كان للبعوضة أن تدرك قوانين أرشميدس للطفو فتصنع

لبيضها تلك الأكياس.

وإنما هو العقل الكلى الشامل المحيط الذى خلق .. هو الذى يزود كل مخلوق بأسباب حياته.. وهو العادل الذى أحكم قوانينها وأقامها على نواميس دقيقة.. وهو المبدع الذى عزف بإبداع هذه المعزوفة الكونية الرائعة .. وهكذا قدم لى العلم الفكرة الإسلامية الكاملة عن الله.

ويعود الدكتور مصطفى محمود مرةً ثانيةً ليقرِّر أن نصف العلم الآن أصبح غيبًا.. فالعلم يلاحظ ويدوِّن الملاحظات.. يلاحظ أن صعود الجبل أشق من النزول منه .. وأن رفع حجر على الظهر أصعب من رفع العصا .. وأن التفاحة تقع من شجرتها على الأرض .. وأن القمر يدور معلقًا فى السماء..

ولكن

حين يكتشف نيوتن الجاذبية ترتبط كل هذه الملاحظات لتصبح شواهد دالة على هذه الجاذبية.. ومع ذلك فهذه الجاذبية غيب لا أحد يعرف كنهها.. لم ير أحد الأعمدة التى ترفع السماوات بما فيها من نجوم وكواكب ..

غيب فى غيب النظرية العلمية التى نتداولها ونعتبرها علمًا، والإلكترون والموجة اللاسلكية والذرة.

لم نر منها شيئًا ومع ذلك نقيم لها المعامل والمختبرات وهى غيب فى غيب..

والعلم لا يعرف ماهية أى شىء .. والله حينما علم آدم علم الأسماء فقط ولم يعلمه المسميات.

"وعلَّم آدم الأسماء كلها.." (البقرة).

وهذه هى حدود العلم.. نحن فى عصر العلم الغيبى.. والفروض.. وأولى بنا أن نؤمن بعالم الغيب.. خالقنا البر الكريم .. هذا أمر أولى بنا من الغرق فى الفروض.

وقد أمر الله بالعلم والعمل فى أكثر من ألفٍ وخمسمائةِ موضع

فى القرآن الكريم فكيف نكون أمة الجهل والكسل وهذا كتابنا؟
العلم أولاً والعلم ثانيًا والعلم ثالثًا.. والعمل بما تعلمناه رابعًا.. ومكارم الأخلاق والصدق مع النفس والصدق مع الله أخيرًا.. هذا ديننا.

فقد غربت شمسنا واشتمل علينا ليل حالك لا يلمع فيه نجم.. فلنعمل حتى لا يطول علينا انتظار فجر.

□□□

الأديب

د. مصطفى محمود فنه غير قابل للتمذهب
أعنى أننا لا نستطيع أن ندرجه تحت مذهب أدبىٍّ معينٍ أو نطلقه وراء فيلسوف بالذات فهو (ابن حياة).
استطاع أن يفلسف حياته ويحيا فلسفته
وأن يتخذ منِ أزماتهِ النفسيةِ الحادةِ فضلاً عن تجاربهِ الحيةِ ـ مادة لكتاباته..
فكتاباته صدى مباشر لإحساسه بالحياة.
وبمقدار ما ينفر مصطفى محمود من القوالب الجامدة عنده أن اللقطة الفنية يستطيع أن يخرجها أفكارًا تتحرك بلا نفاقٍ وهذا هو سر جرأته فى التعبير عن الأفكار
"كل منا يشبه نعشًا يدب على ساقيه.. كل منا يحمل جثته على كتفيه"..
إن المفكر والفنان فيه هما شىء واحد..
وإذا جاز لنا أن نشابه بينه وبين كاتبٍ آخر من كتَّاب الغرب فربما كان هو (ألبير كامى).
فالفكرة من خلال الشخصيات.. وتناوله لموضوعاته يعكس اهتماماته المعاصرة ويكشف عن عقل ذكىٍّ حساس ينزع نزعة إنسانية ويجاهد لحل المشكلات الحادة التى تؤرِّق ضمير

الإنسان الحاضر.

فهو شاهد على عصره مثلما كان ألبير كامى شاهدًا على عصره.

ولاشك أن هذا قد يسلِّم إلى نوعٍ من الكآبة كما يبدو فى معظم قصصه

وذلك الحزن الهادئ الخفيف، وكأنَّ كل قصة التفاتة إلى وجهٍ حزين من وجوه الحياة.

ومصطفى محمود يُعمِّق مشاعره الوجدانية بحيث يخرج بها من إطار الرومانسية الضيِّق إلى موقفٍ شبه فلسفىٍّ من الله والإنسان والعالم والعلاقة بينهما.

أسمعه يقول: "كنت أشعر بضيق وتبرم بكل شىء وأقول لنفسى لماذا أعيش ولماذا خلقت ولماذا أستمر فى حياة لا أفهم لها أولاً من آخر، ثم تكون نهايتى الموت دون أن يشفع لى طول الصبر والانتظار".

ففى عالم تتكشَّف فيه باستمرار العلاقات المتناقضة بين الأشياء والأفراد يصبح كل ما يفعله الإنسان هو أن يشاهد أنه يحيا..

ألم يصرخ صاحب قصة (انفعال):

(إن الحانوتى يسلب الموت كل هيبته بأن يجعله وظيفة وكذلك أنا.. أسلب الحياة كل بكارتها بأن أجعلها شغلتى).

وهكذا تشل الإرادة ويسقط الفعل..

وهو ما عبر عنه أحد أفراد مجموعة (رائحة الدم) بقوله:

ماذا أريد من هذا كله؟ حريتى.

وماذا أفعل بحريتى؟

إنِّى أرفض طريقًا لأنه يقيدنى وأُفَضِّل البقاء فى مفترق الطرق أعانى الحرية ولا أمارسها".

أما فكرة التمرد فتعد مفتاحًا لقراءة قصص مصطفى محمود

نفسها فضلاً عما لها من أهمية بالنسبة لروح العصر..

ومع قيام ثورة يوليو عام ١٩٥٢وظهور جيل جديد من التمرد جيل كان مصطفى محمود يقف فى طليعته يهتف بأعلى صوته:

"إن الفضائل نسيج حى يتطور باستمرار ويتعفن إذا حفظ والفضائل المجففة وفضائل العلب لا تصلح لأمعائنا الحديثة وهذا هو الوقت الذى نراجع فيه فضائلنا".

"لقد صنعنا الصلاة وصدَّرناها إلى البلاد التى لا تشرق فيها الشمس وجرَّبناها على المذاهب الأربعة ولم يبق إلا أن نجرِّب الطعام الجيد".

"إن الأخلاق الكبيرة تبتلع الأخلاق الصغيرة كما تبتلع القطط الفئران.. والضمير الإنسانى ينمو كل يوم وتزداد عليه الأعباء".

ثم يعبر مصطفى محمود بقوله: "حاولتُ أن أناقش مشاكلنا كلها من جديد وأطرح التركة الفكرية التى ورثناها عن الجدود فى غربال واسع الخروق ليسقط منها الفاسد ويبقى الصالح".

إن مصطفى محمود يتخذ موقفًا وجوديًا يشبه فى كثير من الوجوه الموقف الذى اتخذه (سارتر): (لقد قضى علينا بالحرية ولا مفر من ذلك).. فعلينا أن نستعمل حريتنا الفردية فى أى شىء..

والفيلسوف الوجودى مثله الأعلى هو البطل - والبطولة عند مصطفى محمود هى فى إيجاد المعنى إن لم يكن العثور عليه - المعنى الذى يجعل الحياة حياة - بل ويعلو عليها.

ولكن ما هى هذه (الأغيار) التى تواجه الإنسان والتى هى قدره وقدرته فى وقت واحد بمعنى ما هى (المستحيلات) التى لابد للإنسان أن يواجهها بالعلاء عليها ثم العودة إليها من جديد؟

عند مصطفى محمود أن هذه (المستحيلات) هى الإنسان

والمجتمع والزمن والتاريخ وروح العصر.
وهى الأركان الخمسة التى أدار عليها رواياته الخمس: (المستحيل) و(الأفيون) و(العنكبوت) و(الخروج من التابوت) و(رجل تحت الصفر).

□□□

المستحيل

على المستوى الأدبى نجد عند مصطفى محمود فى روايته (المستحيل) تعبيرًا عن الواقع الوجدانى والفلسفى وهى تعبر عن علاء الإنسان على نفسه بمواجهة أول المستحيلات.. مستحيل الإنسان.

أسمعه يقول على لسان أحد أبطاله: (الدنيا هى التى تعذبنا.. الدنيا هى التى خدعتنا.. الدنيا أدخلتنا فى غرفة مظلمة لنختار ملابسنا فلم نستطع أن نتعرف ملابسنا فى الظلام.. وخرجنا كل واحد يلبس لبسًا غير لبسه.. ثم تمزقت ملابسنا من ضيقها.. وبليت هدومنا الحقيقية من طول وضعها على الرف.. وفى النهاية لم تبق لنا ثياب نستتر بها أنفسنا).

فبطل "المستحيل" إنسان لا يحيا لحسابه الخاص بل لحساب الآخرين.. ولا يريد شيئًا بل يراد له كل شىء أكله وشربه لبسه ومسكنه زوجته ووظيفته..

"كل هذه الأشياء كانت فى الحقيقة تلبسنى ولا ألبسها والحياة كلها تلبسنى وحركاتى تلبسنى وأنا أتضاءل سنة بعد سنة تحت الردم.. تحت ركام من كلمات كبيرة لزجة.. الواجب.. الأصول.. تقاليد العائلة تحتم.. مركز والدك لا يسمح.. سنك لا يليق فيها كذا.. كرامتك.. ماذا يقول الناس.. كيف تكون نظرة المجتمع إلينا.. الاحترام.. الوقار يا أخى..".

يستهل البطل حياته من منتصف الرواية من لحظة ضياع من

لحظة انعدام الوزن حيث يشعر بكل شئ ولا يكاد يشعر بشئ.
إنها اللحظة التى يتعرَّى فيها من كل أثقاله وأحماله ومن خمسة وعشرين عامًا تراكمت فوق كتفيه ليقف عاريًا أمام مرآة الذات يسألها من أين؟ وإلى أين؟ هذا أول يوم أجلس فيه مع نفسى وأنظر وجهًا لوجه فى حياتى وأتأملها".
ومن هذه اللحظةِ الزمنيةِ تتحرك الخواطر ويجتر البطل ذاته بلا خجل أو استحياءَ: "أى حياة؟
إنى لَم أعش أبدا.. ليس فى حياتى يوم واحد أستطيع أن أقول إنه يومى.. إنى لا أعيشٍ ولكنى أتدحرج كحصاة كبيرةٍ ثقيلةٍ.. تسوقنى الوظيفة إلى المكتب.. ويجرنى الزَّواج إلىً البيت.. ويًدفعنى الملل إلى المقهى.. ويلقى بَى الجوع إلى الطعام".
حياة مكرورة ملولة كأنها أسطوانة رتيبة الإيقاع ينبعث منها نغم فاترِ حزين يشير إلى الحياة ولكنه لا يدل عليها..."

□□□

الأفيون

و(الأفيون) روايةٌ دراميةٌ عنيفةٌ برغم جو الفلوكلور الدينى الذى يكتنفها، إنها كما جاء فى عبارة مكبث (شكسبير) حكاية يحكيها معتوه ملؤها الصخب والعنف ولا تدل على شئ أو هى تدل على أشياء.
عالم يمضى وعالم يجئ ناس فقدوا القدرة على التعامل مع واقعهم فهجروه إلى عالم آخر.. طريف وغريب وإن كنا لا نعرفه .. عالم كتبه صفراء ودخانه بخور.. كتبت على بابه عبارة (كهيعص).

لهذه الأسباب
أكتب عن مصطفى محمود

استمعوا معى إلى هذه الترنيمة الساحرة والسيمفونية الخالدة..
الله موجود

معناه أن العدل موجود والرحمة موجودة والمغفرة موجودة

معناه أن تطمئن النفس ويرتاح القلب ويسكن الفؤاد ويزول القلق فالحق لابد واصل لأصحابه.

معناه أن تذهب الدموع سدى ولن يمضى الصبر بلا ثمرة ولن يكون الخير بلا مقابل ولن يمر الشر بلا رادع ولن تفلت الجريمة بلا قصاص..

معناه أنه لا عبث فى الوجود وإنما حكمة فى كل شىء وحكمة من وراء كل شىء وحكمة من كل شىء.. فى الألم حكمة وفى المرض حكمة وفى العذاب حكمة وفى العجز حكمة وفى القدرة حكمة.

معناه ألا يكف الإعجاب وألا تموت الدهشة وألا يفتر الانبهار وألا يتوقف الإجلال.

فنحن أمام لوحةٍ متجددةٍ لأعظم المبدعين..

معناه أن تسبح العينُ وتكبر الأذن ويحمد اللسان ويتيه الوجدان ويبهت الجنان.

معناه أن يتدفق القلب بالمشاعر وتحتفل الأحاسيس بكل لحظة وتزف الروح كل يوم جديد كأنه عرس جديد.

معناه ألا نعرف اليأس ولا نذوق القنوط..
ولأن الله موجود فإنك لست وحدك.. وإنما تحف بك العناية حيث سرت وتحرسك المشيئة حيث حللت..
وذلك معناه شعور مستمر الائتناس والصحبة والأمان لا هجر ولا غدر ولا ضياع.. ولا وحدة ولا وحشة ولا اكتئاب وذلك حال أهل "لا إله إلا الله".

□□□

هو شخصيةٌ نادرةٌ من الشخصيات التى لا تتكرر.. وهو رفيق مشوار ثقافىٍّ طويل على مدى عشرين عامًا من العلم والمعرفة والفنِّ والدين والأخلاق أعاننى على كثيرٍ من الصعوباتِ فى حياتى..
هو إذن صديقى وأستاذى ومرشدى والعالم الذى أستمد منه القوَّةَ فى مواجهة مشكلاتى.. إنه أخى وأبى ورائدى..
أفيعقل أن أستغل عَلَمًا فى إثارةِ الرأيِ ضده؟
أفيعقل أن أتعمَّدَ كتابةَ ما يُساءَ تأويله من كلماته؟
لقد كان المقصدُ الأساسىُّ فى كتابتى عنه بعد اختفاء اسمه لسنوات.. أن أثيرَ الإعلامَ وأنبِّه الرأى العام إلى هذا العالم المختفى، الَّذى لم يعد يذكره أحد، بعد أن قدَّم عصارة ذهنه وقلبه وعلَّم العالم العربى كله، وكان اسمه على كل لسانٍ أثناء عرضه برنامجه العظيم (العلم والإيمان).
لماذا شُطِبَ هذا البرنامج ضمن برامج كثيرةٍ تفيد الناس وتغذِّى العقول وتخاطب الأرواح؟
وامتلأ التليفزيون بالبرامج التافهة التى لا تُسمن ولا تُغنى من جوع
ألا يسأل أحد لماذا اختفى الدكتور مصطفى محمود بعد أن ملأ الدنيا؟
أما من بعض الوفاء والتقدير والاحترام؟

وقامت الدنيا ولم تقعد وكأن المرض سُبَّةٌ وعيبٌ وإهانةٌ كبرى وسارعوا بتصويره، والحديث معه، وكأننى كاذبة، فها هو يبدو بصحة جيدة، لكنه لم يكن أبدًا يبدو كذلك.

ولابد أن أذكر أن هناك موقعًا إلكترونيًا فقط أنصفنى وهو (العربية نت) فى دبي.. بأن قال (هناك شخص واحد تَذَكَّر الدكتور مصطفى محمود وَذكر بهِ هو الدكتورة لوتس عبد الكريم).

سأظل أنادى حتى يبح صوتى وأكتب حتى تطبع الآلاف من مؤلفات د. مصطفى محمود، وحتى يعود برنامج "العلم والإيمان"، ويستيقظ الإعلام، وينقشع الظلام..

لماذا اختفى
الدكتور مصطفى محمود؟

لماذا اختفى الدكتور مصطفى محمود؟
ألم يخطر هذا السؤال ببال أحد من رجال العلم أو علماء الدين أو الصحافة والإعلام؟

ألم يكن حتى سنوات قليلة يملأ الدنيا جَدَلاً بمقالاته وإنتاجه الأدبى والفلسفى والعلمى؟

ألم يكن صاحب أشهر برنامج تليفزيونى اسمه (العلم والإيمان)، كانت تنتظر إذاعته الآلاف من مصر وسائر بلدان العرب.. ألم تمثل قصصه ومسرحياته جميلات السينما المصرية؟

ولنعد إلى كتابه (محاولة لفهم عصرى للقرآن) الذى أثار الضجة الإعلامية وحاوره فيه كبار علماء الدين والأدباء والعلماء.. وتحول القرآن فيه إلى سيمفونية رائعة النغمات وأنشودة أزلية للحياة والممات.. ثم كتبه: (الله والإنسان) - (الله) - (رأيتُ الله) - (من أسرار القرآن) - (الطريق إلى الكعبة) - (القرآن كائن حى) - (الإسلام ما هو؟) - (التوراة) -(محمد) - (لغز الموت) - و(لغز الحياة)

و٩٨ (ثمانية وتسعون) كتابًا ألفها فى شتى المجالات الروحية والدنيوية

.. مقاطع من المقال الذى نَشَرَتْهُ المؤلفة فى العدد ٦٩ من مجلة الشموع - القاهرة - ٢٠٠٧ ميلادية.

الدكتور مصطفى محمود

الداعية.. بأسلوب عذب جميل يتسلل إلى الروح

عـالم الدين.. الذى يقـرِّبك مِّن الـدين بأرق المحـاولات وأرقى الكلمات

الفيلسوف.. الذى يقدم الفلسفة على طبقٍ من البساطة والفهم السلس البديع..

العالم.. الذى يقودك من خلال العلم إلى الإيمان والمنطق وفك رموز كل ما غمض عليك فهمه

الطبيب

الذى كان طبه مدخله العلمى والتشريحى إلى المشكلات الاجتماعية، وإلى النفس الإنسانية والشخصيات التى يكتب عنها

الفنـــان

الذى اعتكف بفنه لخالقه بديع السماوات والأرض.. الراهب.. الناسك الزاهد فى كل متع الحياة إلا من غرفة بسيطة صغيرة فى أعلى المسجد الذى شيَّده يطلق عليها (التابوت).. وهو الذى عُرضت عليه أفخم القصور إهداء من (السعودية) فرفض قانعًا بما خلقه الله من أجله فى هذه الغرفة الصغيرة.. التأمل

طالما جالسته فيها على مدى عشرين عامًا، أغترف من فكره وعلمه وفلسفته وأتذوق متعًا لا يدركها البسطاء

لماذا اختفى الدكتور مصطفى محمود؟

ولماذا انفضت عنه كاميرات الإعلام ووسائل النشر والكُتَّاب والصحافة والأصدقاء؟

لم يعد يذكره أحد لأنه أيضًا فقد الذاكرة ولم يعد يذكر أحدًا

أيكون مصيره مثل العالم (جمال حمدان) عاشق مصر،

والذى اختفى طويلاً، ثم مات دون أن يشعر به أحد، بعد أن قدم عصارة قلبه وروحه لمصر فى كل ما دونه فى "شخصية مصر"؟

أم تكون نهايته مثل نهاية أحمد بهاء الدين الذى ظل وحيدًا بين الجدران طوال خمسة أعوام فقد فيها الذاكرة، لكنه كان يبكى طوال الوقت .. فهل كان بذهنه الغائب جزءاً لم يغفل..

يشعر من خلاله بمصيبةٍ فى وحدته ومصيبة مصر أيضًا؟

وفجأة تأتى المنية، وينهض الناس ليذكروا من نسوه بضجةٍ كبيرةٍ وبكاءٍ وكتاباتٍ كثيرةٍ ومديح لا ينفد ..

هلْ بالضرورة يجب أن يأتى المَوت ليذكرنا بقيمة أحبائنا ؟

لماذا اختفى الدكتور مصطفى محمود ؟

لأنه اختار الموتَ فى الحياة

توارى عن الأنظار

لأن ذهنه الجبار رفض استيعاب ما يحدث بالساحة من نفاق ومهازل وسخافات.

اعتنق الدكتور مصطفى محمود الماركسية فى شبابه وكتب (الله والإنسان)، أى الإنسان الذى اختار الشك والإلحاد طريقا، بعد ذلك وجد أن مصر لم تكسب من الاشتراكية إلا هدم الاقتصاد وبضاعة خاسرة وكذبًا شاملاً

وكان هذا التيار الذى اعتنقه الشباب الضائع فى عصر عبد الناصر فتحول إلى كتابه (الماركسية والإسلام)، لكنه لم يستطع نشره فى عصر عبد الناصر.. وفى الوقت ذاته كتب (الشيطان يحكم)، ثم (الشيطان يسكن فى بيتنا)، و(الطوفان).

وكان لابد أن يموت عبد الناصر، ويظهر السادات، ليخرج الخبراء الروس من مصر ويعبر بجيشنا إلى سيناء ويحطم خط بارليف، ليستطيع الكل أن يفتح فاه ويقول الحقيقة وينتهى عصر الكذب.

قلب السادات الموازين فى الشرق الأوسط ولم يستطع الباطل أن يستمر واختفت الشيوعية من العالم لأنها لم توف بوعدها للفقراء فزادتهم فقرًا على فقرهم..

الدكتور مصطفى محمود

كنت أعتبره صديقى وطبيبى النفسى لكثرة ما كتب عن

النفس.. ذهبت إليه أشكو الشيء ذاته فأخذني من يدى وصعد بى إلى سطح المسجد، حيث كانت حواراته مع الكواكب.. وجدت أداة طويلة تتجه إلى السماء يرقب بها الفلك.. وقال لى: (انظرى إلى السماء من خلالها) ونظرت فإذا النجوم الساطعة تبرق بريقًا عظيمًا فى سماء كحلية شاسعة وهو يردد (شوفى عظمة الله.. كل نجمة تخفى أسرارًا كثيرة).

ثم أخذنى إلى الطابق السفلى حيث (الأكواريوم).. وهى غرفة واسعة بها أحواض الأسماك التى جلبها من كل مكان فى العالم.. شدنى من يدى إلى حوض خاص قائلاً: (ستشاهدين راقصة الفلامنكو) ورأيت سمكة جميلة فى حجم الطفل الصغير حمراء.. ذيلها وزعانفها سوداء ترقص فى وضع أفقى ولا تكف عن الرقص تمامًا مثل الراقصة الإسبانية

قال لى: (إنها ترقص لك)

وضحك ونحن نغادر المكان قائلاً: (لو تأملت فى ملكوت الله وشاهدت عظمته فى كل الكائنات حولك لما حزنت ولا اكتأبت، أنتم بعيدون عن الله)

وكان يتكلم عن الغسق

إذا حان وقت الغروب، ينهض واقفًا وهو يقول: (انصرفى الآن أخشى الجدال وقت الغسق فقد حذرنا الله منه فى آيته.. (ومن شر غاسق إذا وقب)..

كانت له كرامات.. وكان موسيقار الأجيال محمد عبد الوهاب يبكى بين يديه فى أمسيات كثيرة، يعترف بذنوبه، ويسأله النصيحة ليغفر الله له - فكان يقول له إن كل ذنب ارتكبه رده الله إليه مضاعفا بالعقاب - وحين قرأ كتابه (عظماء الدنيا والآخرة) بكى وهو يقول له: عششت فى دماغى يا درش، إنى لست من عظماء الآخرة لأنى كنت من عظماء الدنيا.

كانت الملكة فريدة تتابع باهتمام بالغ برنامجه التليفزيونى (العلم والإيمان)- وبعدها تتصل به تليفونيا لتستفسر منه عما غمض عليها فهمه أو عن حشرة غريبة أو حيوان أو قطعة من

الخشب - وكانت تلجأ إليه فى أيامها الأخيرة لتسأله شرحًا لبعض ما ورد بالقرآن أو الإنجيل..

وذات يوم استيقظت صباحًا مذعورة تقول لى إنها وجدت الخاتم الذى لا تخلعه أبدًا من أصبعها (وهوً عليه صورة الملك) - مكسورًا.. وطلبت منى الاتصال بالدكتور مصطفى لسؤاله إذا كان هذا من تأثير السحر

وكانت تؤمن بالسحر وكان أيضًا يؤمن بالسحرة وأجابها ضاحكًا بأن الكسر ليس بسبب السحر، وأن من الخير لها أن تخلعه وتتبرع به - ولم تقبل..

آخر مرة قمت فيها بزيارته كانت سنة ٢٠٠٥ وكان "مريضًا" يسير ولا يجلس أبدًا .. قلت له إن معى كتابًا بالإنجليزية ورد فيه أن القرآن من صنع النبى

قفز مذعورًا وهو يردد: يا نهار أسود يا نهار أسود، وذهب إلى الداخل فأحضر لى كومة من الكتب، وهو يقول اقرئيها جيدًا، وإياك أن تمسكى بمثل هذه الكتب، أنت الفلسفة بوظت دماغك.

وكنت أحادثه تليفونيًا أحيانًا كثيرة - لأن زيارته ممنوعة - ولكنه لا يعرفنى - وتقول لى ابنته (أمل): حاولى أن تذكريه بأسماء يحبها لعله يتعرف إليك اذكرى له شيئًا عن الموسيقار عبد الوهاب.. لكنه لا يرد ولا يعرف.. لم يعد يدرى أو يعرف.

الحياة مستمرة

وليس ما نحياه من الحياة فى دنيانا هو كل الحياة

إن دنيانا هى فترة موضوعة بين قوسين بالنسبة لما بعدها وما قبلها وهى ليست كل الحقيقة ولا كل القصة.. وإنما هى فصل صغير من رواية سوف تتعدد فصولا

وقد أدرك الإنسان حقيقة البعث بالفطرة

وقال بها الأنبياء إخبارًا عن الغيب

وقال بها العقل والعلم الذى أدرك أن الإنسانَ جسدٌ وروحٌ

وفلاسفة مثل (كانت وبرجسون وكير كجارد) لهم وزنهم فى الفكر.

قالوا بحقيقة الروح والبعث.. وفى كتاب "جمهورية أفلاطون".. فصلٌ رائعٌ عن خلود الروح
وما قبل الميلاد محجوب
كما أن ما بعد الموت محجوب
ولكن أهل المشاهدة يقولون كما يقول القرآن إننا كنا قبل الميلاد فى عالم يسمونه (عالم الذر) ونكون بعد الموت فى عالم آخر، والحياة أبدية ولا موت وإنما انتقال وارتقاء فى معراج لا ينتهى صعودًا وتطورًا وتساميًا وكدحًا إلى الله.
وهذا الاستمرار يقول به العقل أيضًا.
والعلم بكل شىء فى داخل اللحظة المحدودة وفى عمرنا الدنيوى هو طمعٌ فى مستحيل.. وهذا هو ما قالته لى رحلتى الفكرية الطويلة
من بدايتها المزهوة فى كتاب (الله والإنسان)
إلى وقفتها الخاشعة على أبواب القرآن والإنجيل والتوراة.
وليس متدينًا فى نظرى من تعصَّب وتصوَّر أن نبيه هو النبى الوحيد وأن الله لم يأتِ بغيره"
ولقد بعثنا فى كل أمةٍ رسولا" (النحل ٣٦).
"وما كان ربك مهلك القرى حتى يبعث فى أمها رسولا" (القصص ٥٩)
"ورسلا قد قصصناهم عليك من قبل ورسلا لم نقصصهم عليك" (النساء٦٤).
ومعنى هذا أن بوذا يمكن أن يكون رسولا فى عصره، وإخناتون يمكن أن يكون رسولا فى زمانه، أما الإسلام فهو الدين الوحيد الذى يعترف بكل الرسل وبكل الأنبياء وبكل الكتب ويردها إلى أصلها:
(الإله الواحد الرحيم الملهم).
وأصدق مثل للوعى الدينى المتفتح هو وعى رجل مثل غاندى.. هندوسى مع ذلك يقرأ فى صلاته فقرات من القرآن والتوراة والإنجيل وكتاب (الداما بادا) لبوذا.. فى خشوعٍ ومحبةٍ مؤمناً بكل

الكتب والرسل وبالخالق الواحد

الصدق شيء نادر.. وكلنا يكذب

وفى عالم السياسة والسياسيين وفى أروقة الأمم المتحدة نجد أن الكذب هو القاعدة.. بل إن فن الدبلوماسية الرفيع هو كيف تستطيع أن تجعل الكذب يبدو كالصدق وكيف تكره ما تحب.

وأذكر بهذه المناسبة النكتة التى رويت عن تشرشل حينما رأى شاهد مقبرة مكتوبا عليه: "هنا يرقد الرجل الصادق والسياسى العظيم".. فقال ضاحكاً: "هذه أول مرة أرى فيها رجلين يدفنان فى تابوت واحد" ، فلم يكن من الممكن إطلاقا فى نظر تشرشل أن يكون الرجل الصادق والسياسى العظيم رجلا واحدا.. إذ أن أول مؤهلات العظمة السياسية فى نظره هو الكذب.. وشرط السياسة هو أن تخفى الحقيقة لحساب المصلحة وتتأخر العاطفة لتتقدم الحيلة والذكاء والمراوغة.. والدبلوماسى الذى يجاهر بعاطفته هو دبلوماسى أبله وفى عالم الدين ودنيا العبادات يطل الكذب الخفى من وراء الطقوس والمراسيم.

شهر الصيام الذى هو امتناع عن الأكل يتحول إلى شهر أكل وبين كل مائة مصل أكثر من تسعين يقفون بين يدى الله وهم مشغولون بمصالحهم الدنيوية.

وقد عاش بابوات القرون الوسطى فى ترف الملوك والسلاطين وامتلكوا القصور والإقطاعيات باسم الدين والإنجيل.. بل إنهم تصوروا أنهم امتلكوا الجنة فباعوها صكوكا لطالبى الغفران، وفى دولة الحب أحيانا تكون كلمة الحب كذبة معسولة تخفى وراءها رغبة فى الامتلاك والسيطرة.. وأحيانا تكون كلمة الحب خطة محبوكة للوصول إلى ميراث، ولا توجد شبكة حريرية من الأكاذيب كما توجد فى الحب، ففى كل كلمة كذبة وفى كل لمسة كذبة والغريزة الجنسية ذاتها تكذب فما أسرع ما تشتعل وما أسرع ما تنطفئ وما أسرع ما تضجر وتطالب بتغيير الطعام.

والصدق فى الحب أندر من الماس فى الصحارى، وهو من أخلاق

الصدِّيقين.

وضباب ضباب وعطور وصور خلابة مرسومة بريشة فنانين كذابين عظام

والكذب في الفن عادةٌ قديمةٌ بدأها الشعراء من زمن طويل، والفن وليد الهوى والمزاج.. والمزاج متقلب.. ما أكثر الكذب حقًا وأين الصدق إذن؟.

على ندرة.. في معمل العالم الذي يضع عينه على ميكروسكوب بحثا عن الحقيقة في حيادٍ مطلقٍ وموضوعيةٍ على هدى أرقام دقيقة.

واللحظة الأخرى الصادقة هي لحظة الخلوة مع النفس حينما يبدأ ذلك الحديث السري ذلك الحوار الداخلي.. حيث يصفي الواحد إلى نفسه دون أن يخشى أذنًا.. ذلك الإفشاء والاعتراف من الأعماق في محاولة مخلصة للفهم.. إن الحياة تتوقف في أثمن اللحظات لتبوح بحكمتها.. والزمن يتوقف ليعطي الشعور بالحضور حيث نحن في حضرة الحق وحيث لا يجوز الكذب والخداع.. كما لا يجوز لحظة الموت والحشرجة.

وقد تأتي هذه اللحظة في العمر مرة فتكون قيمتها بالعمر كله.. أما إذا تأخرت ولم تأت إلا ساعة الموت.. فقد ضاع العمر دون معنى ودون حكمةٍ وأكلته الأكاذيب وجاءت الصحوة بعد فوات الأوان.

ولهذا كانت الخلوة مع النفس شيئًا ضروريًا بالنسبة لإنسان العصر وهي طوق نجاة.. فالإنسان يولد وحده ويموت وحده ويصل إلى الحق وحده وليست مبالغة أن توصف الدنيا بأنها باطل الأباطيل.. الكل باطل وقبض الريح.. والدنيا ملهاة قبل أن تكون مأساة.. والشعور بالحق يملؤنا تمامًا وإن عجزنا عن الوصول إليه.. إننا نشعر به ملء القلب وإن كنا لا نراه.. ولحظة التأمل الصافي تقودنا إليه والعلم يقودنا إليه ومراقبتنا لأنفسنا تقودنا إليه.. والحق في القرآن هو الله وهو متجاوز للدنيا متعال عليها.. نراه رؤية بصيرة لا رؤية بصر.. كيف نشك في الحق ونطلب

عليه دليلا من الباطل؟

ليعد كل منا إلى قلبه فى ساعة خلوة.. فقد أودع الله فى قلوبنا تلك البوصلة التى لا تخطئ.. والتى اسمها الفطرة والبداهة.. "فأقم وجهك للدين حنفيا.. فطرة الله التى فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله.." (الروم - ٣٠).

هكذا كانت كلمات الدكتور مصطفى محمود.

لنذكر أفضاله على العلم والدين والأدب.

ردود وأصداء لـم أتوقَّعها

كتبتُ كُتبًا،

ونشـرتُ روايتـين وكـتـبتُ مـئـات المقـالاتِ فى مـجلةِ الشُّمـوع، ومجلةِ صباحِ الخير، ومجلاتٍ وصحفَ مصريةً وعربيةً كثيرةٍ،

وأجريتُ حواراتٍ مع رموزٍ الفكرِ والأدب والفنِّ فى مصر،

وَأجْـريتْ معى مئـاتُ الحـواراتِ الصـحـفـيةِ والتـليـفـزيونـيـة والإذاعية،

لكنَّنى لم يحـدث معى مثلما حدث مع المقال الذى نشرتُه عن مـصطفى مـحـمـود فى العـدد التـاسـع والسـتين من مـجـلة "الشُّمـوع" ٢٠٠٧ ميلادية،

وكان هدفى من كتابةِ هذا المقال لفت الانتبـاهِ إلى كاتبٍ ومبـدعٍ وصديقٍ أقدِّرُه وأحترمه،

إذ رأيتُ تجاهلاً إزاءه،

بل تناسيًا متعمدًا حتَّى من أصدقائه،

فجاءت آلافُ التعليقات بين مؤيدةٍ ومعارضةٍ،

وتارةً مهاجمةً،

دون أن تعرفَ القَصْدَ من الكتابة.

بل إن بعـضـهم ترك مَتْنَ المقـالِ، وتعلَّق بالهـامش، أو بجـملٍ قصيرةٍ وَرَدَتْ فى المقال.

ولاشك أنّنى فَرِحَةٌ لردودِ الفعلِ التى جعلت صُحُفًا ومجلاتٍ تُخَصِّصُ ملفات عن مصطفى محمود
وبرامج تليفزيونية "تعيده" إلينا من جديدٍ عبر محبِّيه وقارئيه، وأبناء جيله،
حتى أن الناس عادوا من جديد يبحثون عن كتبه،
وهذا ما جعلنى أخصِّص عددًا كاملاً من مجلة "الشُّموع" عن مصطفى محمود
هو العدد التالى (العدد ٧٠ - يونيو ٢٠٠٨)
بقصد تكريس دفاعى واهتمامى بما كتبت،
وبأننى كُنتُ على حَقٍّ عندما فتحت قضيَّةَ تجاهل المجتمعِ الثقافى والفكرى ووسائل الإعلام لكاتب ومُفَكِّر من زماننا.
وَهُنَا أنشر بعضًا مما كُتِبَ - وهو كثيرٌ يفوق الحَصْرَ خصوصًا ما نُشرَ فى المواقع والمنتديات على الشبكة الدولية الإنترنت - فى الصحافة العربية تواصلاً مع مقالى
الذى أراه قد أسهم ولو بقدر في إعادة الانتباه من جديد إلى مصطفى محمود الكاتبِ والمفكرِ والمبدعِ، وإلى إنجازه الأدبى والفكرى.

ذاكرةٌ اسمها (لغز الحياة)
ذاكرةٌ اسمها (مصطفى محمود)

فيصل أكرم

في حوار بانوراميٍّ لإحدى المجلات، سألتني المحاورة: ما اسمُ أوّل كتاب اشتريته لكي تقرأه؟ فكان جوابي حاضرًا: (لغز الحياة) للدكتور مصطفى محمود..

انتهى أمر الحوار، ونشر، وعلى كثرة الأسئلة والأجوبة فيه.. أعادني ذكرُ (لغز الحياة) إلى ذاكرة مميزة تجتذبني إلى كتابتها، برغم أنني كنتُ أتيتُ في أكثر من مكّان على ذكر العنوان ومؤلفه – وأشرت إليه كذلك بشكل عابر في كتابي الأخير (سيف بن أعطى)– إلاّ أن تفاصيل الأثر الأول تبدو جديرة بالتوثيق، أو هي بمثابة (دَيْن) في عنقي للكتاب ومؤلفه، ويجب عليَّ الوفاء به قبل فوات الأوان.. غير أنني كنتُ أتراخى عن البوح متعللاً بمقولة (العارف لا يُعرَّف) فلا أظن أحدًا في عالمنا العربيّ لا يعرف عن الدكتور مصطفى محمود كالذي أعرفه وأكثر..

أقول: كنتُ أتراخى وأتعلل، حتى تلقيتُ رسالةً عبر بريدي الإلكتروني حملت لي نسخة من مقالة كتبتها الدكتورة لوتس عبد الكريم تذكر فيها الحالة الصحية والنفسية الصعبة جدًا – حدَّ المأساة– التي يعيشها عالِمنا ومفكرنا الكبير مصطفى محمود، وأنه يعاني من كل شيء.. كل شيء..

- جريدة الجزيرة - السعودية - ٢٠٠٨/٦/٢م

فما الذى بمقدورى أن أقدمه لهذا الرجل الذى ثقفنا بالعلم والإيمان وقدم لنا حلقات ذهبية من مفاتيح ألغاز الكون، والحياة، والموت؟
بأيةّ طريقة أقول له: شكرًا..؟
ربما لن أستطيع أن أقدم له وعنه أىّ شىء غير الذاكرة.. ذاكرة التكوين والتحصيل الأول، والأثر الممتد منذ عقود ولا يزال..
إذ ما أزال أتذكّر ذلك النهار وكأنه قبل ثلاثة أيام، وليس ثلاثين عامًا..
كنتُ فى العاشرة من عمرى، عائدًا من المدرسة النموذجية الابتدائية بمكة المكرمة - حيث كنت أدرس فى الصف الخامس (ولا أذكر الآن السبب فى عودتى مشيًا، وليس على دراجتى كالمعتاد).. وفى منتصف طريقى لمحتُ آلة لبيع (الآيس كريم) تتقدم إحدى البقالات الصغيرة.. راودتنى نفسى على الوقوف وتناول وجبة من هذا الشىء اللذيذ.. ولكن.. ما أن توقفتُ أمام الآلة حتى لمحتُ بعض زملائى ينظرون إلىَّ بعيون الرقيب.
وبحركة ذكية - أدركتُ ذكاءها لاحقًا- تحولتُ فى خطوتى إلى المحل المجاور لتلك الآلة العجيبة، فقد كان معروفًا عنى بين زملائى أننى أتصرَّف كالكبار.. وكنتُ جاداً ومجتهدًا لدرجة أخجل معها من أىّ تصرُّف يضعنى فى سياق الطفولة (وليتنى تمكنتُ من ذاك السياق)
المهم أننى انثنيتُ إلى محل، اكتشفتُ بعد دخولى إليه أنه (مكتبة جديدة لبيع الكتب).. فاغتنمتها فرصة ورحتُ أتصفح العناوين.. وأوّل ما لفت نظرى هو عنوانُ كتاب صغير الحجم اسمه (لغز الحياة) وفى أسفل غلافه اسم الدكتور مصطفى محمود.
كان للدكتور مصطفى محمود فى تلك الأيام شعبية كبيرة جدًا اكتسبها من برنامجه التليفزيونى الرائد (العلم والإيمان) وكنتُ - كغيرى من أبناء جيلى والأجيال التى سبقته- أتابعه بإعجاب ودهشة.. ومع ذلك كان لا بدَّ لى من شراء كتابه الذى أضاء فى

رأسى شعلةً على شكل علامة استفهام لا تنطفئ إلا باقتناء الكتاب وقراءته..

سألتُ البائع عن ثمن الكتاب، فقال: أربعة ريالات.

فتشتُ في جيبى فلم أجد إلاَّ ريالاً واحدًا ونصف الريال.

خرجتُ من المكتبة حزيناً متحسرًا، ونسيتُ الآيس كريم وطريق العودة إلى البيت.. خرجتُ أتجوَّل وأفكِّر فى طريقة أكمل بها قيمة الكتاب.. حتى انتبهتُ إلى (ساعة اليد) التى كانت تأخذ مكانها على معصمى، وتذكرتُ أننى كنتُ اشتريتها بخمسة وعشرين ريالاً، فتوجهتُ فورًا إلى (السوق الصغير) الذى كان يجاور الحرم المكيّ فى ذلك الزمن، وكان يضم محلات تبيع وتشترى كل شىء وأىّ شىء

تم بيع الساعة بستة ريالات، فعدتُ هرولة إلى (المكتبة) لأجدها مغلقة - فترة الظهيرة- وأقسم بالله العظيم أننى ظللتُ أمام المكتبة، تحت الشمس، أنتظر حتى افتتاحها بعد العصر لأشترى ذلك الكتاب

عدتُ إلى البيت وأنا أتأبط (لغز الحياة) وبدأت أقرأ سطوره الأولى التى لا تزال تحتل مكانها فى ذاكرتى:

(الحقيقة أكثر إدهاشاً من السحر والخيال والمعجزة.. إنها هى نفسها المعجزة)..

ولم أنم تلك الليلة حتى أكملتُ قراءة ذلك الكتاب، بصفحاته المائة والأربعين، وأتيت على آخر سطر منها:

(وإلى هنا.. وعلى حافة هذا الضباب.. يجب الصمت، فقد قال العقل كل ما عنده).

ويا له من عالم مثير احتواه (لغز الحياة) بين سطريه الأول والأخير.. ولأنَّ الذاكرة لا تكفى لاسترجاع تلك المتعة والثقافة التى حصلتُ عليها، قررتُ مؤخرًا البحث فى مكتبتى (المكتظة بفوضاها) لعل وعسى أن أجد تلك النسخة.. وبعد أسابيع من البحث، بالفعل وجدتها.. ووجدتُ إشارة منى إلى تاريخ الشراء (١-١-١٣٩٩هـ)، ومع هذه الإشارة تبين لى أنه كان أوَّل يوم دراسة لذلك العام

وهذا يعنى أن كتاب (لغز الحياة) كان قد استحوذَ على اهتمامى أكثر من كتبى المدرسية التى كنتُ تسلمتها أيضًا فى ذلك النهار..

استغربتُ جدًا، الآن، من عثورى على النسخة (الذاكرة) من هذا الكتاب الصغير الخارق.. ولم أفهم كيف ظلَّ كتابٌ من القطع الصغير محافظًا على مكانته ومكانه بين أشيائى التى تنقلتْ معى فى عدد من البلدان والأماكن طوال ثلاثين سنة مضت..؟

أتصفحه، أبحث عن أى هوامش تركتها عليه فى قراءتى الأولى فلا أجد - إذ هى عادتى الأزلية بعدم التهميش على الكتب، وليتنى أتخلص منها- فمضيت أقرأ مجددًا وفى اعتبارى أننى قد لا أجد الآن ما وجدته سابقًا.. ولكن الكتاب كان اسمًا على مسمّىً (لغز الحياة) فمن منا لا يدهشه لغزٌ كهذا؟

أدهشنى الكتاب فى قراءتى الأخيرة له، بقدر إدهاشه لي فى قراءتى الأولى.. وبين القراءتين عشراتٌ من السنين وآلافٌ من القراءات.

هكذا هى الكتب العظيمة، وهكذا هم الكتّاب العظماء.

لم يكن الدكتور مصطفى محمود يعتمد على النظريات والنتائج العلمية الجاهزة ليبنى عليها، بل كان يتناول كل مسألة فى الكون بتشريح كل جزء فيها وإعمال العقل فى تركيبها كيف يكون؟ ومن أجل ماذا؟ و.....

بالعودة إلى مقالة الدكتورة لوتس عبد الكريم، فقد اغرورقت عيناى وأنا أقرأ تصريحها المكتوب قبل سنة تقريبًا، ومما جاء فيه أن حالة د. مصطفى متدهورة جدًا من آثار نزيف قديم فى المخ، ومنذ عام يعانى فقدان الذاكرة حتى أنه يتذكرها بصعوبة بالغة رغم صداقتهما التى استمرت عقودًا. وأضافت أنه يعيش وحيدًا فى شقته، تعاوده ابنته (أمل) دون سواها.. ولا يستطيع الخروج حاليًا حتى إلى جامعه الشهير ومشفاه الخيرى اللذين أسسهما قبل عقود، ويقعان على بعد أمتار قليلة من مسكنه.. وانتقدتْ بشدة وسائل الإعلام التى أدارت له ظهرها ولا تسأل عن

أحواله (حتى ظنه الناسُ ميتاً منذ زمن) مع أنه كان يشغل بقعة ضوء كبيرة فى عالمنا العربىّ طوال عشرات السنين، ولا يزال على قيد الحياة.

هنا أقول للدكتورة والمؤرخة والناشرة الكبيرة لوتس عبد الكريم، بكل الصدق والوفاء لهذا الرجل الذى هو ثروة علمية وفكرية وثقافية يفخر بها كلُّ عربى: معك كلُّ الحقِّ فى انتقادك لوسائل الإعلام (المخجلة فى زماننا الراهن).

ومعى كلُّ الحق فى مناشدة (جزيرتنا الثقافية) بتخصيص (ملف - عدد خاص) عن هذا الرجل الذى أضاف إلى المكتبة العربية أكثر من تسعين كتابًا فى الفكر والعلوم والآداب، بالإضافة إلى مئات الحلقات المتلفزة من (العلم والإيمان).

وأكاد أجزم أن رئيس تحرير الجزيرة، ومدير تحرير الثقافية، وكلَّ محرر وكاتب هنا.. لا يزال يحتفظ بذاكرةٍ خاصةٍ اسمها: (مصطفى محمود).

صديقة للدكتور مصطفى محمود تكشف سر اختفائه.. وفقدانه لذاكرته

كشفت كاتبة مصرية معروفة ترتبط بصداقة قديمة مع المفكر الاسلامى د. مصطفى محمود الكثير من الأسرار حول حالته الصحية الحالية والعزلة التى يعيشها فى شقته بأحد أحياء القاهرة الراقية، والتعتيم الإعلامى الذى غيبه تماما عن دائرة الضوء، حتى أن الكثيرين الذين كانوا يتابعون برنامجه التليفزيونى الشهير "العلم والايمان" يظنون أنه رحل عن الدنيا منذ سنوات.

قالت د.لوتس عبدالكريم ناشرة مجلة "الشموع" الثقافية لـ"العربية.نت" إن حالة د. مصطفى متدهورة جدا من آثار نزيف قديم فى المخ، ومنذ عام يعانى فقدان الذاكرة حتى أنه يتذكرها بصعوبة بالغة رغم صداقتهما التى استمرت عقودا.

وأضافت أنه يعيش وحيدا فى شقته، تعاوده ابنته "أمل" التى تقيم فى البناية نفسها لتوفر له متطلباته، ولا يستطيع الخروج حاليا حتى إلى جامع محمود الشهير ومشفاه الخيرى اللذين أسسهما فى شارع جامعة الدول العربية بضاحية المهندسين ويقعان على بعد أمتار قليلة من مسكنه.

ـ مقاطع من حوار أجراه فرّاج إسماعيل مع المؤلفة لـ "العربية نت" - ٨ من أبريل ٢٠٠٧م.

لا يسأل عنه أحد

وانتقدت بشدة وسائل الاعلام التى أدارت له ظهرها ولا تسأل عن أحواله مع أنه كان يشغل بقعة ضوء كبيرة طوال عشرات السنين، من خلال كتبه الكثيرة، وبرنامجه ذائع الصيت "العلم والايمان" الذى كانت تذيعه عدة محطات تليفزيونية عربية بالاضافة إلى التليفزيون المصرى، متمتعا بأكبر نسبة مشاهدة فى الثمانينات من القرن الماضى.

وكانت د.لوتس عبدالكريم قد تساءلت فى مقال بالعدد الأخير من مجلة "الشموع" الفصلية التى يرأس تحريرها الشاعر أحمد الشهاوى عن سر اختفاء د. مصطفى محمود، مستنكرة أن يكون هذا السؤال لم يخطر ببال أحد من رجال العلم وعلماء الدين أو من الصحفيين والاعلاميين، مع أنه حتى سنوات قليلة مضت كان يملأ الدنيا ضجيجا بمقالاته وانتاجة الأدبى والفلسفى والعلمى.

وأوضحت أنه لم يفقد وعيه لكنه لم يعد يتعرف كثيرا على أصدقائه " أكلمه فيرد "وحشتينى" لكن ابنته تقول لى إنه لا يتذكرنى، وأن هذه الكلمة يقول لكل من يزوره".

وتابعت: أظل اذكره طويلا باسمى، وأحيانا بأحداث مشتركة لنا مع الموسيقار الراحل محمد عبدالوهاب أو الكاتبين الراحلين إحسان عبدالقدوس وأحمد بهاء الدين، فيبدأ يتعرف على بالتدريج.

فى طريقه إلى الغيبوبة

وعلقت: الواضح الآن أنه فى طريقه إلى الغيبوبة، وهذه الحالة يعانيها منذ سنة تقريبا، قبل ذلك كان يتحدث معى بشكل طبيعى، لكنه لم يكن يخرج أو يقابل الناس. أجريت له ثلاث عمليات جراحية فى المخ بعد أن تعرض لنزيف بين الجمجمة والجزء الخارجى.

وتستطرد لوتس عبدالكريم: كان يحمد الله أن النزيف لم يتجاوز هذه المنطقة فلم يؤثر عليه فى البداية، أجرى له تلاميذه فى مصر

العملية الأولى وانقذوه من هذا النزيف الذى عاد ثانية فسافر الى السعودية ليخضع لعملية ثانية، ثم عملية ثالثة فى لندن.

وتضيف: أعرف مصطفى محمود منذ سنوات طويلة جدا، من أيام شبابه عندما مر بمرحلة الشك والإلحاد ثم الدخول فى الإيمان، وأيامها كان يكتب مقالا منتظما فى مجلة "صباح الخير" المصرية.

عاش طويلا فى "التابوت"

وتذكر لوتس أنه يقيم معظم الوقت فى غرفة فوق جامع "محمود" يسميها "التابوت" فقد كان الموت فى مخيلته دائما، وبعد أن ساءت حالته كثيرا انتقل إلى شقته الحالية الواقعة فى بناية أمام الجامع، وتقيم طليقته فى البناية نفسها مع ابنتهما "أمل" وهى أيضا أم ولده أدهم المشرف على الجامع.

تضيف: تتردد الابنة عليه باستمرار لتوفر له مستلزماته، فهو لا يحب أن يقيم معه أحد. "أمل" هى الوحيدة التى يراها الآن من عالمه الخارجى بعد أن توقف تماما عن استقبال الزوار.

وتوضح أنه كان قد تزوج من امرأة أخرى تدعى "زينب حمدى" ولم يدم الزواج سوى ثلاث أو أربع سنوات، فقد كان يصف نفسه بأنه إنسان لا يحتمل، طباعه كانت صعبة ومن يعاشره لابد أن يفهمه جيدا، فهو مفكر وفيلسوف وفنان، وبالتالى فلحياته أطوار غريبة من الانطواء والعزوف والثورة أحيانا ويحتاج إلى معاملة خاصة، ولذلك لم تستمر حياته الزوجية.

شائعة اعتناقه المسيحية

وتكذب تماما إشاعة كانت قد انتشرت عنه قبل عدة سنوات بأنه اعتنق الديانة "المسيحية" قائلة: أنا لم أسمع بهذه الإشاعة الكاذبة، لكن هذا لا يمكن أبدا فهو مسلم ملتزم متمسك بإسلامه ومؤدٍ فرائضه، ورغم مرضه وما يعانيه من آلام الجسد لم يتوقف عن أداء تلك الفروض، وعن التوجه المستمر بالدعاء إلى الله سبحانه وتعالى، وسماع القرآن الكريم.

وعن حالته المادية تقول إنها "ميسورة، علما بأن متطلباته

بسيطة فهو لا يأكل سوى الجبن الأبيض والخبز، ولا يبالغ فى شراء الملابس، وهناك عائد من المستشفى يصرف فى الصدقات والزكاة، إضافة إلى أن أجور العلاج ليست كبيرة لأنه يستهدف الفقراء ومحدودى الدخل".

٩٨ كتابا مثيرة للجدل

وفى الشأن نفسه تحدثت د.لوتس عبدالكريم فى مقالها بمجلة "الشموع" عن كتبه الكثيرة المثيرة للجدل ومنها (محاولة لفهم عصرى للقرآن) الذى أثار ضجة إعلامية كبيرة عند صدوره وحاوره فيه كبار علماء الدين، وبعض كتبه الأخرى مثل : الله والإنسان، الله، رأيت الله، من أسرار القرآن، الطريق إلى الكعبة، القرآن كائن حى، الإسلام ما هو؟، التوراة، محمد، لغز الموت، لغز الحياة.

وأحصت كتبه بـ(٩٨) كتابًا فى شتى المجالات الروحية والدنيوية، مشيرة إلى ما تميز به من أسلوب عذب جميل فى الدعوة، وقدرته على التقريب من الدين بأرق المحاولات وأرقى الكلمات، يقود إلى الايمان به من خلال العلم والمنطق وفك رموز ما غمض على الآخرين فهمه.

وعن عمله كطبيب قالت إن طبه كان مدخله العلمى والتشريحى إلى المشكلات الاجتماعية وإلى النفس الإنسانية والشخصيات التى يكتب عنها. وتقول إنه كان ناسكا زاهدا فى كل متع الحياة، معتكفا فى غرفة بسيطة صغيرة فى أعلى المسجد الذى شيده، جالسته فيها على مدى عشرين عامًا أغترف من فكره وعلمه وفلسفته وأتذوق متعًا لا يدركها البسطاء. الآن اختفى د. مصطفى محمود من كاميرات الإعلام ووسائل النشر ومن اهتمامات الكتاب والصحافة والأصدقاء.

فقد الذاكرة ولا يذكر أحدا

وتضيف: لم يعد يذكره أحد لأنه أيضًا فقد الذاكرة ولم يعد يذكر أحدًا. متسائلة: هل بالضرورة يجب أن يأتى الموت ليذكرنا بقيمة أحبائنا؟.. لقد اختفى لأنه اختار الموت فى الحياة. توارى

عن الأنظار، لأن ذهنه الجبار رفض استيعاب ما يحدث بالساحة من نفاق ومهازل وسخافات.

اعتنق د. مصطفى محمود الماركسية فى شبابه وكتب (الله والإنسان) ، أى الإنسان الذى اختار الشك والإلحاد طريقا، ثم كتب (الماركسية والإسلام) لكنه لم يستطع نشره فى عصر عبد الناصر، وفى الوقت ذاته كتب (الشيطان يحكم) ، ثم (الشيطان يسكن فى بيتنا) و(الطوفان).

وتقول لوتس: كان مصطفى محمود يكره عبد الناصر، ويحب السادات ويسميه (صديقى..) وجرت بينهما لقاءات عديدة . تتحدث عن علاقتها الشخصية به فتقول: كنت أعتبره صديقى وطبيبى النفسى لكثرة ما كتب عن النفس.

وتذكر أن موسيقار الأجيال محمد عبد الوهاب كان يبكى بين يديه فى أمسيات كثيرة معترفا بذنوبه ويسأله النصيحة ليغفر الله له، فكان يقول له إن كل ذنب ارتكبه رده الله إليه مضاعفا بالعقاب.

وتضيف: كانت الملكة فريدة ملكة مصر السابقة تتابع باهتمام بالغ برنامجه التليفزيونى (العلم والإيمان) وبعدها تتصل به تليفونيا لتستفسر منه عما غمض عليها فهمه أو عن حشرة غريبة أو حيوان أو قطعة من الخشب، وكانت تلجأ إليه فى أيامها الأخيرة لتسأله شرحًا لبعض ما ورد بالقرآن الكريم، وذات يوم استيقظت صباحا مذعورة تقول لى إنها وجدت خاتمها مكسورا وكان عليه صورة الملك فاروق ولم تكن تخلعه أبدًا من أصبعها، وطلبت منى الاتصال بالدكتور مصطفى لسؤاله إذا كان هذا من تأثير السحر، فأجابها ضاحكا بأن الكسر ليس بسبب السحر وأن من الخير لها أن تخلعه وتتبرع به ولم تقبل.

في صومعة د. مصطفى محمود
والعلاقة الأبدية بين العلم والإيمان

منيتُ نفسي ـ وأنا فى طريقى للقاء الدكتور مصطفى محمود ـ بأن أظفر بالقليل من وقته المشغول ـ دائمًا ـ بالتحليل والتفسير والبحث والاكتشاف والاطلاع على أحدث وشائج العلاقة الأبدية بيَن العلمَ والإيمان.

ولأن الموعد كان محددًا للقاء الرجل ـ فقد فوجئت به يفسح ذهنه لأسئلتى ـ على كثرتها ـ ويطلق فكره ولسانه للإجابة عنها رغم طلبى الاستيضاح ، ورغبتى فى الاستزادة.

إن العلم والإيمان لا تحدهما حدود ـ والتعلم ـ لمن يريد ـ لا يعوقه عائق.. وكلما ضرب الإنسان بذراعيه وسط أمواج المعرفة.. أدرك بعد المسافة إلى الشاطئ الآخر.

لكن الدكتور "مصطفى محمود" عودنا ـ دائمًا ـ أنه سبَّاحٌ ماهرٌ.. يمخر عباب الموج فيقطع أشواطًا يعز على الكثيرين قطعها.

كذلك عوَّده قارئ "الشموع" أنه متلق من نوع خاص.. يرشف رحيق الكلمات فتستقر منه حيث أراد لها كاتبها أن تستقر.

لنقرأ ما سجلته مع ضيف هذا الحوار.. "العلم إيمانى":

قلت للدكتور " مصطفى محمود" :

ـ حوار أجرته المؤلفة ونشر بمجلة الشموع فى العدد الحادى عشر، أكتوبر ١٩٨٨

■ من أروع آيات الإعجاز العلمى فى كتاب الله العزيز.. ذكر طلوع الشمس ستة أشهر واختفائها ستة أشهر فى الدائرة القطبية.. قال تعالى : "حتى إذا بلغ مطلع الشمس وجدها تطلع على قوم لم نجعل لهم من دونها سترا" ما التفسير العلمى لهذه الآية؟

قال د. "مصطفى محمود" : بالنسبة لمطلع الشمس ومغيبها فإن ما يحدث فى الدائرة القطبية هو أحد التفاسير لهذه الآية.. لكن لا يوجد ما يثبت التفسير المقصود بمعنى "لم نجعل لهم من دونها سترا".. فهنا ـ أيضًا ـ مع كل طلوع ومغيب للشمس ـ أى كل اثنتى عشرة ساعة- يحدث ستر الليل.. وهذا أحد التفسيرات العديدة للآية والتى منها أن سكان المناطق الاستوائية لا يرتدون شيئًا يذكر.. وقد يعنى هذا عدم وجود ستر بينهم وبين الشمس وهذا تفسير آخر.. من هنا فقد تعنى الآية المناطق الاستوائية أو القطبية.. وهى من الآيات الألغاز، ومن الصعب معرفة حقيقة المقصود بالتحديد.

ومن التفسيرات العديدة للآية.. ما يقال عن "الإسكندر ذى القرنين" من أنه رجل وثنى، فاتح، غاز.. وهو سفاح كبير.. وعندما جاء إلى مصر غازيًا سجد للأوثان.. ولما وجد المصريون أنهم لا قبل لهم بصده.. أدخلوه بذكاء إلى قدس الأقداس.. بعد ما ادعوا أن الإله "آمون" يريد مقابلته وكلم الكاهن الإله "آمون" فى قدس الأقداس.. فرد عليه صوت قائلا على مسمع من الإسكندر: "إن الإسكندر هو ابن آمون الإله" فأعجب الإسكندر بهذا واعتبر نفسه إلهًا للمصريين واحتضنهم بوصفه إلههم فاستطاعوا كسبه.. وضحكوا عليه بعد أن وضعوا أيديهم علي نقطة الضعف عنده.. هو ـ إذن رجل وثنى مشرك.. نصب نفسه ابنا للإله "آمون".

من تفسيرات الآية ما يقال أيضًا عن "قورش" وكان حاكمًا صالحًا فى إيران.. من أنه كان يستطيع الوصول من منطقة الاستواء إلى القطبين فى لحظة خاطفة..

رحلات فضائية يعنى.. فقد كان مزودًا بقوةٍ رهيبةٍ.. لكن ـ مع

ذلك ـ لا أحد يعرف من هو على وجه التحديد.

■ وما معنى قوله تعالى "إنا زينا السماء الدنيا بزينة الكواكب"؟

للكواكب قشرات صلبة، ولو توقفت عن دورانها حول الشمس لانهارت.. ويقال إن عدد الكواكب السيارة تسعة.. أما تفسير حلم سيدنا «يوسف» عليه السلام عن الأحد عشر كوكبا التى رآها فى منامه فالمجمع عليه أن مقصود الحلم أن الأحد عشر كوكبا هم إخوته.

ومع ذلك.. يمكن اعتبار الكواكب أحد عشر فقد اكتشفوا كوكبا «حديثا» فأصبحوا عشرة.. بالإضافة إلى أن هناك كوكبا يقع بين «المريخ» و«المشترى» تفتت وتحول إلى كويكبات عبارة عن حزام من الكواكب الصغيرة.. وهو الحزام الذى تأتينا منه الشهب.. وبإضافته يصبح عدد الكواكب أحد عشر.. وقد يكتشف كوكب آخر أكبر مكمل للمجموعة.

■ قلت: من الإعجاز العلمى ـ أيضًا ـ إطلاق اسم "كوكب" على النجم الذى يظهر أثناء الليل: "فلما جن عليه الليل رأى كوكبًا" ما وجه الإعجاز هنا؟

وجه الإعجاز ـ هنا ـ أن الكواكب قد تظهر ليلا.. خصوصًا الكواكب المشعة مثل "المشترى" و"الزهرة" وهى تظهر بوضوح للناس .. كآية من آيات قدرة الخالق.. سبحانه وتعالى.

■ وما المقصود بقوله تعالى عن "الأهلة" : "قل هى مواقيت للناس والحج".. وقوله كذلك : "وقدره منازل لتعلموا عدد السنين والحساب"؟.

القمر مثل الساعة.. وبدلاً من العقارب جعل الله له أشكالاً مختلفة.. من البدر والهلال والمحاق وغيرها.. من هذه الأشكال نستطيع معرفة أى وقت ومتى ينتصف الشهر واليوم والساعة.. وعرفنا بالقمر حسابات الساعات والشهور.. هكذا يراد من الآية.

أما الشمس فهى معجزة أخرى.. فلو أن هناك محطة توليد كهربى .. لنتصور مدى شدة الهبوط فى التيار والتقطيع الذى قد

يصيب المحطة من وقت إلى آخر والاهتزاز الذى يعتريها إذا ما استمرت تعمل دون توقف لحظة واحدة.

بينما الشمس معلقة هكذا منذ ٥٠٠٠ مليون سنة ولم يحدث فيها أدنى نسبة تغيير بالزيادة أو النقص.. فلو ارتفعت درجة حرارة الشمس بنسبة ضئيلة ـ حسبما يقول العلماء ـ فإن كل الناس ستموت محترقة.. هى ـ إذن ـ عطاء مستمر: حرارة ، إضاءة، أشعة فوق بنفسجية.. وغيرها.. عطاء دائم متجدد.

خمسة آلاف مليون سنة عمر الشمس.. ولا تزال فى زهو الشباب – سبحان الله–

أما عمر الأرض.. فنستطيع حسابه بواسطة حفائر الصخور ويبلغ حوالى ٤٥٠٠ مليون سنة وقد بدأت الحياة عليها من ٣٥٠٠ مليون سنة.. حياة نباتية طفيلية بسيطة من مياه البرك.. ثم تطورت إلى حياة حيوانية بسيطة.. والإنسان ـ نفسه ـ اختلفت على عمره الآراء وهو ما بين مليون وعشرة ملايين سنة على الأرض.. فالبشر ظاهرة حديثة على الحياة.

أما كيف وصل التطور بالإنسان عبر عصور طويلة.. فمن المؤكد أن الخلق بدأ من التراب والماء : "وجعلنا من الماء كل شىء حى" .. فالتطور شجرة واحدة يخرج منها كل شىء ومع أننا من طين لكن الله نفخه من روحه فصنع الماء فى كل شىء كل حسب صورته وقدراته.

■ من ألوان الإعجاز العلمى فى القرآن.. ما ورد فى سورة "الكهف" : " ولبثوا فى كهفهم ثلاث مائة سنين وازدادوا تسعا".

تفسير سورة «الكهف» .. أنهم لبثوا فى كهفهم ٣٠٩ سنوات قمرية وهى تساوى ٣٠٠ سنة عادية.. فبعد أن حسبوها وجدوها بالسنين القمرية للعرب ٣٠٩ سنوات وهى تساوى عند الروم ٣٠٠ سنة.. ولا يزال الكهف المذكور فى السورة موجودًا فى الأردن إلى الآن.

■ وما المقصود بقسم الله تعالى بالمذنبات كما أقسم بالشمس والقمر والأرض : "فلا أقسم بالخنس الجوار الكنس"؟.

البعض يقول إنها مذنبات، يأتى واحد منها كل ٦٠ أو ٧٠ سنة ثم يخنس ويختفى.. إلا أننى أرى أنها الكواكب نفسها التى تظهر كل يوم.. مثل «الزهرة» و«المشترى» و«زحل» .. ثم تخنس وتختفى فى الأفق.

من هذه المذنبات مذنب «هالى» ويمر كل ٧٠ سنة وهو مذنب هائل.. عندما ظهر فى حوالى عام ١٩١٠م ظن الناس أنها قد تكون نهاية العالم .. لكن لم يصب الأرض سوى ذنب المذنب.. ولأنه مفرغ ليست به مادة لم يصب الأرض ضرر.. فالمادة بالكامل فى رأس المذنب.. أما الذيل فهو دخان فقط.

■ يقول الله تعالى : "وأرسلنا الرياح لواقح فأنزلنا من السماء ماء".. إلى آخر الآية.. ما التفسير العلمى لقوله عز وجل؟

الرياح اللواقح فسروها ـ قديمًا ـ بالرياح التى تسبب المطر الذى ينزل على الأرض فيلقحها.. فهذه الرياح عنصر فى عملية التقليح.. وهو تفسير قديم وقريب.

إلا أننا اكتشفنا أن الرياح تقوم بتلقيح الورد عن طريق نقل حبوب اللقاح من ناحية.. ومن ناحية أخرى تبين أن المطر لا ينزل ـ أصلاً إلا إذا لقحت السحابة بالتراب الخفيف الذى يبنى حولها الماء فتصبح سحابة وأن الذى يلقحها هو الرياح.. فكيفما فسرنا الآية نجد أن الرياح لواقح بالفعل فهذه الآية من الآيات الجوامع.

وهناك آية عن "البرد" : " وجبال فيها من برد".. قال القرآن الحكيم إن الله ينزل المطر من جبال من الثلج محمولة فوق السحاب ومحمولة على دوامات الرياح.. ولم يكتشف ذلك إلا على يد رجل روسى منذ حوالى ٤٠ سنة واسمه "كوليكوف" وأن المياه فى السحاب تتجمد وتتحول إلى جبل هائل من الثلج محمول على الرياح يبدأ قليلا فى التساقط.

■ د. مصطفى محمود: من الآيات التى يقف الإنسان عندها حائرا: "ومن يرد أن يضله يجعل صدره ضيقا حرجا كأنما يصعد فى السماء".. ماذا يقول التفسير العلمى فى هذه الآية؟

التفسير العلمى ـ هنا ـ أن الفرد كلما يصعد على جبل يشعر

بتعب وإرهاق ونهجان.. وفى الطائرة لولا التعادل فى الضغط والتوازن والأكسجين.. لصعب التنفس واختنق الفرد.. فكلما صعد الشخص إلى أعلى يقل الضغط فى الارتفاع وتزداد صعوبة التنفس ويحتاج إلى مجهود كبير وهى شواهد علمية.. تؤكد أن الصدر كأنما يضيق كلما ارتفع الشخص وصعد إلى أعلى.

■ "الله الذى رفع السموات بغير عمد ترونها" ماذا يقول العلم فى ذلك؟

أحد التفاسير العلمية لهذه الآية: أن الجاذبية تشد من ناحية وفى الوقت نفسه هناك قوة تعادل التنافر من ناحية ثانية فاحتفظت الأرض بتوازنها.. لكن القمر لم يستطع الحفاظ على توازنه لأن الجاذبية ضعيفة.. فلو تخيلنا أن البحر عندما تدور الأرض ويصبح فى أسفل لا ينسكب ماؤه .. لأدركنا أن هذا ناتج عن التوازن بين القوتين.

لكن يبدو أن معنى الآية أكبر من هذا.. فعندما يقول التفسير كيف يحكم مسك كل الكواكب وهى بأعمدة المجال غير المرئية.. فما بالنا بما هو خاص بالسماوات.. فإن هناك معنى أبعد من مجال اللاوزن والمجرات وكيف تجرى فى مجال محسوب ممسوكة بأعمدة المجال الصناعى الجذبى دون أن نراها وهى تمسك بالكون.

والآية تقصد العمد الخاص بالجاذبية الأرضية والتنافر.. أو الأعمدة الكونية.. وجميعها من إبداع الخالق جل شأنه.

■ وما تفسير الآية: "يكاد سنا برقه يذهب بالأبصار"؟

القرآن يتحدى الناس فى عصر العلم.. وهو المعجز علميا.. لأن العلم رسالة الإسلام.. والبرق شرارة ضخمة كاللحام الكهربائى.. وكما يجب عند استخدام اللحام وضع شىء على العين كى لا يذهب بالنظر .. كذلك البرق ما بالك بشدته.. التى يعظم تأثيرها على البصر كلما اقترب المرء من منطقة انبعاثه .. كأن يكون على طائرة أو جبل.

■ "والله جعل لكم مما خلق ظلالاً وجعل لكم من الجبال أكنانًا".. كيف يفسر العلم هذه الآية؟

اتضح ـ علميًا ـ أن الجبال لا توجد إلا ولها جذور فى الأرض مثبتة كالمسامير.. وهى تنزل بأوتادها فى طبقات الصخور.. وأن الزلازل بها عنصر تصحيحى.. فهى تصحح الأوضاع المهتزة عند حدوث الميل.. والبراكين تنفس عن البخار المكبوت، ولولا هذا فإن الأرض قد تنفجر.. فبطن الأرض يغلى.. وسطح الكرة الأرضية عبارة عن صفائح متجاورة وبينها فوارق.. ولهذا فائدة.. فلو كانت الأرض متلاحمة وليس لها منفس فهى تنفجر.. أما هذه الفوارق فتجعل من السهل التنفيس عما بداخلها من غليان فتبدأ الصفائح فى التحرك بالزلازل.. أو بخروج الحمم فى البراكين فتحمى الأرض من الانفجار.

ولو كانت جميع القشور عائمة على بحر من النار.. فماذا يحدث لو لم تكن هناك جبال وأنهار وغيرها وأثقال على القشور؟.

القرآن أسبق

■ من أمور الإعجاز.. ما ذكره القرآن من الآيات التى أثبتها العلم الحديث.. أخيرًا، هل لنا أن نقف على بعض هذه الصور؟

لقد كانوا فى الماضى ـ مثلاً ـ يلومون المرأة على أنها السبب فى إنجاب الأنثى.. لكن ثبت ـ أخيرًا- أن العامل الذى يحدد نوع الجنين ليس المرأة.. بل الحيوان المنوى للرجل، هو الذى يحدد النوع.

الغريب .. أن ذلك ذكر فى القرآن منذ أربعة عشر قرنا قبل اكتشافها: " .. خلق الزوجين الذكر والأنثى من نطفة" فإن نوع الذكر والأنثى من النطفة الذكرية أى الرجل.. وليس المرأة.

■ وآية: " والأرض بعد ذلك دحاها "؟

الأرض كروية بيضاوية ـ كما هو معروف ـ وكلمة "دحا" فى القاموس تعنى البسط والتكوير معا وهى اللفظة الوحيدة التى تعنى الاثنين.. فهى مبسوطة فى الظاهر مكورة فى الحقيقة.

■ وما معنى "والسماء بنيناها بأيد وإنا لموسعون"؟

معناها أن السماء فى حالة اتساع مستمر وهى آخر ما اكتشف

فى علم الفلك.. أن الكون يكبر باستمرار بتباعد الأجرام عن بعضها كأنها فقاعة كبيرة تنتفخ.. وبعض النجوم تنفجر.. وأخرى تولد فى حركة دائبة.. كما يحدث فى جسم الإنسان: خلايا تموت وخلايا تتجدد كالدم مثلا - بحيث لو - زادت الخلايا الميتة على المتجددة يصاب الشخص بفقر دم.. ولو حدث العكس يصاب بسرطان .. فكل شىء يجب أن يكون بمعدلات متزنة: "إنا كل شىء خلقناه بقدر".. أى بمقدار: "والسماء رفعها ووضع الميزان".

لكن كل شىء يموت ويتجدد إلا "المخ" .. فالذى يموت منه لا يتجدد وهذه خطورة المسكنات والمهدئات.. لأنها تقتل خلايا المخ الذى لا يعوض.

وله فى ذلك حكم.. وهو على كل شىء قدير.

مُصْطَفى مَحْمُود
كُتُبٌ وَإِهْدَاءَاتٌ

١- «إلى الفنانةِ الزميلة لوتس مع أحلى أمنياتِ المستقبل» ١٩/١/, ١٩٩١ كتاب (قراءة للمستقبل)

٢- «إلى العزيزةِ لوتس عبد الكريم - مع تحياتى - الإهداءُ دون تاريخ - كتاب (محمد.. محاولة لفهم السيرةِ النبويةِ)

٣- «إلىَّ العزيزةِ الوردةِ المتفتحةِ لوتس مع تحياتى» ١٩٧٦/٣/٢٧ - كتاب (الطوفان)

٤- «إلى السوسنةِ المتألقةِ مع تحياتى» ١٩٨٧/٥/١٢، كتاب (حقيقة البهائية)

٥ - «إلى السوسنةِ المتفتحة إلى الأبدِ العزيزة لوتس مع تحياتى» ١٩٩١/١١/١٧ - كتاب (ألعابُ السيركَ السياسى)

٦- «إلى السُّكَّرةِ العزيزةِ لوتس مع تحياتى» ١٩٧٧/١/١ كتاب (بحثٌ فى الوجودِ والعدم)

٧- «تحياتى إلى الفنانّةِ لوتس» ١٩٨٥/٣/١ - كتاب (الإسلامُ ما هو..؟)

٨- «إلى العزيزةِ الرئيسة لوتس مع تحياتى» ١٩٩٥/٣/١ كتاب (وبدأ العد التنازلى)

٩- «إلى نبع المودةِ الدائمةِ.. لوتس مع تحياتى» ١٩٩١/١/١٩ كتاب (السُّؤال الحائر)

١٠- «إلى صاحبة القلم المعبِّر والقلب الشَّاعرِ مع تحياتى» الإهداء دون تاريخ - كتاب (القرآنُ كائنٌ حيٌّ)

١١- «إلى الأخ العزيز عبد الرحمن العتيقى مع محبَّتيس ١٩٩٧/١/٣٠ - كتابُ (زيارةٌ للجنةِ والنار) وهو مُهْدَى إلى زوجى.

هذه الكتبُ العشرةُ المهداةُ إلىَّ من مصطفى محمود،

هى ما عثرتُ عليه فى مكتبتى التى - من فرطِ سفرى وترحالى - تقطعتْ أوصالها، وَنَهَبَهَا "أعداءُ القراءة" - وَهُمْ كُثُرٌ فى زماننا.

ولأنَّنى أحترمُ وأقدِّرُ وَأَعْتَزُّ بالكتبِ المهداةِ لى من أصحابها الكُتَّاب والشُّعراء رفقاء القلمِ والمسيرةِ والحياة،

فقد حزنتُ لفقدان بقيةِ الكتبِ التى أهدانى إيَّاها مصطفى محمود، وغيره من الأسماءِ التى عرفتها، واقتربتُ منها خلال العُقودِ الثلاثةِ الأخيرة.

فنحن الكُتَّابُ لا نملكُ شيئًا،

ولن نتركَ إرْثًا حقيقيًا إلا ما كتبنا وَنَشَرْنَا، فَهُوَ أَجَلُّ وَأَعْظَمُ إرْث نَتْرُكُهُ لأبنائنا مِنَ الأجيالَ القادمة.

والكتبُ التى أهدانى إيَّاها مصطفى محمود، والتى ذكرتُها هُنَا يعودُ أَقْدَمُهَا إلى العام ١٩٧٦، وآخرها إلى عام ١٩٩٧.

وهى كتبٌ صادرةٌ عن دار المعارف، وأخبار اليوم (وهما المؤسستان الأساسيتان اللتان نشرتا أعمالَ مصطفى محمود)،

وثلاثة كتب أخرى صادرة عن دار النهضة العربية (القرآنُ كائنٌ حىٌّ، الطوفانُ) أمَّا كتاب "وَبَدَأَ العَّدَ التنازلىُّ" فمكتوبٌ على غلافه الأخير: طَبْعُ وَنَشْرُ وتوزيعُ مؤسسة الأهرام - القاهرة).

وإذاَ كانَ مصطفى محمود قد أهدانى كُلَّ كتبه،

فقد كنتُ حريصةً على اقتناء كتبه من المكتباتِ، لأحملها معى فى أسفارى، وَأُبْقِى الكتبَ المهداةَ فى مكتبتى.

وعندما أعْرِضُ للإهداءات،

فأنا حاولتُ فقطَ أن أشيرُ إلى تطورِ العلاقةِ الفكريةِ والأسريةِ التى ربطتنا.

وإذا كَان مصطفى محمود قد بَدَأَ نَشْرَ أَوَّل كُتبِه عام ١٩٥٥ (الله

والإنسان)، وهى مجموعةُ مقالات، كَتَبَهَا فى صيف هذا العام، فإنَّه جَعَلَ بقية سنوات الخمسينيات وحتَّى عام ١٩٦٦ مُخَصصَّةً لكتابة القصَّة القصيرة، إذْ أصْدَرَ أربعَ مجموعات قصصية هى: أكل عيش، عنبر ٧، شلةَ الأنس، رائحة الدم، وقد جاءَتْ فى سنَوات المدِّ القصصىِّ الذى عَاشَهُ جيلُهُ وقتذاك، خصوصًا لدى يوسف إدريس.

ولم يعد إلى القصَّة القصيرة بعد ذلك إلاَّ فى عام ١٩٧٦ وعام ١٩٧٧، حيث أصْدَرَ (الطوفان) و(نقطة الغليان).

ومن المعروف أن مصطفى محمود من أكثر كُتَّاب جيله غَزَارَةً، فقد كان أحيانًا يُصْدِرُ أربعَة كتب فى عام واحد، وَحَدَثَ ذلك فى عام ١٩٧٧ إذْ نَشَرَ: الوجود والعدم، من أسْرار القرآن، نقطة الغليان، عصر القرود.

ومن النَّادر أنْ نجدَ مثيلاً له فى جيله أو فى أىِّ جيل آخر يَفْعلُ ذلك.

وكما ذكرتُ قَبْلاً فإنَّ هُنَاك مئات المقالات التى كتبها مصطفى محمود فى سنواته الأخيرة،

وما تزال تنتظرُ التصنيفَ والإعدادَ واختيارَ السياقات والعناوينَ؛ كىْ تصدرَ فى كتب.

ولعلَّ العام ١٩٧٢ كان عامًا مُهمًا فى مسيرة مصطفى محمود، إذْ شهد نشْرَ مؤلفاته الكاملة وقتذاك فى بيروت (القصص، والروايات، والمسرحيات، والرحلات)، وكان قبلها بعامين (١٩٧٠) قد حازت روايته "رجل تحت الصفْر" على جائزة الدولة لعام ١٩٧٠ ميلادية.

وعمومًا مصطفى محمود كَتَبَ فى ست سنوات (منذ ١٩٦٠ إلى ١٩٦٦) خمس روايات هى: المستحيل، الأفيون، العنكبوت، الخروج من التابوت، رجل تحتَ الصفر، المسيخ الدجَّال،

وقد نَشَرَهَا فى أواخر السبعينيات من القرْن الماضى.

أما مسرحياته فهى أيضًا خَمْسٌ كتبها خلال عشر سنوات (١٩٦٣ ـ ١٩٧٣) وهى: الإسكندر الأكبر، الزلزال، الإنسانَ والظل، غوما، الشيطان يسكن فى بيتنا.

وَلَهُ أربعةُ كتب فى أدب الرحلةِ (١٩٦٣ ـ ١٩٧١) وهى: الغابة، مغامرة فى الصحراء، المدَّينة أو حَكايات مسافر، الطريق إلى الكعبة...

وجميعها رحلات إلى الصحراء الكبرى، وأفريقيا الاستوائية، وأوروبا، والحج إلى بيت الله الحرام.

وقدْ تَفرَّغ مصطفى محمود بعد ذلك لكتابة المقالات والدراسات، مع أنَّه كَانَ قدِ بدأ حياته بكتابة القصة القصيرةِ والمقالِة معًا،

وكذا بَدَأَ مبكرًا (١٩٥٧) فىَ كتابةَ الدراساتَ، إلاَّ أنَّنَا نراهُ وقد انشغل تمامًا، واستغرق كُليًّا، فى الكَتابةِ الدينَيةَ والسياسيةِ والقضايا العامة،

ولم يَعُدْ إلَى الكتابةِ الإبداعيَّةِ (القِصَّة القصيرة والرواية والمسرحية)،

وَصَارَ المقَالُ الأسبوعىُّ (أحيانًا كان يكتبُ عدَّة مقالاتٍ فى أسبوع واحد فى أكثر من صحيفة ومجلّة) هَاجِسَهُ الأوَّل،

ولذا نجدِ أنَّ كتَابات النقَّاد والأدباء والكُتَّاب عَنْهُ قد اختفت، وهى التى واكبت مسيرتَهُ الأدبيةَ منذ بدَاياتها.

وأصبح يردُّ عليه الشيوخُ والإسلاميون وتجْرَى معه الحواراتُ، بسبب ما تثيرُهُ كتبه (مقالاته) من جدل بَيْن علماءِ الدِّين فى الأَزْهَر، وَغير الأَزهَر، فى مصْرَ، وَخَارج مصْرَ.

وَصَارَ مَصطفَى محمود القَاصَّ والكاتب الروائىُّ والكاتبُ المسرحىُّ تاريخًا نتذكَّرُهُ بكلِّ تقدير وحبٍّ.

فَهُوَ نموذج للمثقف العربى فىَ القرن العشرين، إذْ تضمَّنت مسيرته كل التحولاتِ الثقافيةِ التى مرَّت على المنَطقةِ فهو الماركسىُّ العنيدُ الذى كتَب فى الحبَ واحدًا من أجمل الكتبَ فى هذا السياق وهو "٥٥ مشكلة حب"، ثم عاد إلى الإسلام من رحَلته الإلحادية بكتاب "القرآن محاولة لفهم عصرىٍّ".

وهو أيَضًا منَ أجمل الكتب فى مجاله، ثم ثالثًا المتصوف الكبير الذى انقطع للعبادة وخدمة المَستضعفين، ثم هو رابعًا التقنى الذى لا يشقُّ له غُبَارٌ من خلال عمله الأصلىِّ كطبيب، ضاربًا المثل فى الإخلاصِ للمهنةِ، التى تحولَت على يديه هو وتلاميذه إلى رسالةٍ.

مصطفى محمود الشاعر

ربَّما لا يعرفُ الكثيرون أنَّ مصطفى محمود قد كَتَبَ إلى جانب القصَّةِ القصيرةِ والروايةِ والمسرحيةِ والمقالةِ والسيناريو القصيدةَ الشعرية،

لكنَّنا لا نعثرُ على كثيرٍ مما كتبه من شعرٍ،

ربَّما لأنه مزَّق ما كتب،

أو رأى نفسه متحقِّقًا فى فنونِ الكتابة الأُخْرى،

فهجر الشِّعْرَ،

غير أنَّ كتابته السردية تحفلُ بالشعرية العالية، والحسِّ الراقى فى كتابةِ الجملةِ، وهذا ما طبع كتابته بالعمق اللُّغوى والحفرِ الدائم للبحثِ عن لغةٍ خاصة به.

ولَمَّا أهدانى كتابه السُّؤال الحائر (فى طبعته الثانية) فى التاسع عشر من يناير عام ١٩٩١ ميلادية: "إلى نبع المودّة الدائمة. لوتس. مع تحياتى"،

قرأتُ الكتابَ الذى يقع فى مائةٍ وعشرٍ صفحاتٍ

قسَّمه إلى تسعةِ فصول أو أقسامٍ.

وفاجأنى أن وَضَعَ نصًّا شعريًّا فى نهايته، مختتمًا كتابه، وآخذًا عنوان الكتابِ من عنوانِ القصيدةِ (السُّؤال)

مضيفًا إلى العنوان "الحائر"،
إذ نلحظ الحيرةَ الدائمةَ فى القصيدة.
وإذ أثبت هذه القصيدة فى كتابى،
فإننى أدعو إلى البحثِ فى تراثِ مصطفى محمود ـ وهو كثيرٌ ومتنوّعٌ ـ
للكشف عن "الشّاعر" فيه،
علَّنا نجد قصائدَ أخرى نشرها فى مجلاتٍ أو صحف عندما كان طالبًا فى كليةِ الطب، أو فى بدايات حياته الأدبيةِ والفكرية
خصوصًا أنَّ القصيدةَ تشيرُ إلى أنَّ مصطفى محمود متمرسٌ فى كتابةِ الشّعرِ، وليست "السؤال" يتيمته الوحيدة.

السؤال

يا صاحبى ما آخر الترحال
وأين ما مضى من سالف الليال
أين الصباح وأين رنة الضحك
ذابـــــــــت...؟
كأنها رسم على المـــاء
أو نقش على الرمال
كأنها لم تكن
كأنها خيـــــال
أيقتل الناس بعضهم بعضا
على خيـــــال
على متـــاع كلــه زوال
على مسلسل الأيام والليال
فى شاشة الوهم ومرآة المحال
إلهى يا خالق الوجد...من نكون
من نحن.. من همو.. ومن أنا
وما الذى يجرى أمامنا

وما الزمـان والـوجـود والفنـا
وما الخلق والأكـوان والدنـا
ومـن هنـــاك.. مـن هنـــا
أصــابنى البهت والجنــون
مـا عـــــــــــدت أدرى
وما عـــاد يُعبِّر المقـــــال

ـ قصيدة نادرة لمصطفى محمود كان قد نشرها فى كتابه "السؤال الحائر" طبعة دار المعارف ـ الطبعة الثانية- القاهرة ـ ١٩٨٩م.

وثيقـــةٌ نـادرةٌ

**تقرير بمبررات ترشيح الجمعية
للأستاذ مصطفى محمود لنيل جائزة
الدولة التقديرية فى الآداب لعام ١٩٩٤**

ولد الأستاذ الدكتور مصطفى كمال محمود حسين، الشهير باسم الدكتور مصطفى محمود، فى السابع والعشرين من شهر ديسمبر عام ١٩٢١ فى شبين الكوم بمديرية المنوفية (المحافظة حاليا) وتعلم فى مدرسة الجمعية الخيرية الإسلامية بها، ثم انتقل إلى مدرسة طنطا فى المرحلة الثانوية ثم التحق بجامعة فؤاد (القاهرة حاليا) ليحصل على بكالوريوس الطب والجراحة من كلية طب قصر العينى عام ١٩٥٢.

ونظرًا لأنه عشق الكتابة الأدبية منذ أيام الدراسة حتى أفسحت له كبرى المجلات الأدبية وهى "الرسالة" صفحاتها المخصصة لكبار الأدباء ليكتب فيها أولى قصصه القصيرة بعنوان "القطة الصغيرة" عام ١٩٤٧ وهو طالب بكلية الطب. فقد انصرف بعد فترة قصيرة من مزاولة مهنة الطب التى تخصص فيها، إلى العمل فى مجال الصحافة ابتداء بالكتابة فى مجلة "روز اليوسف" وأخذت نفحات إبداعه فى مجالات الفكر والأدب تطالع فى مختلف المجلات والصحف حتى عدل عن مساره التخصصى فى مضمار مزاولة الطب عازفاً كذلك عن كل المناصب الوظيفية التى أتيحت له أو عرضت عليه على خلاف العمالقة الذين

جمعوا بين الوظيفة والحكومة أو الخاصة وبين احتراف الأدب بكل فنونه، أمثال الدكتور طه حسين والدكتور محمد كامل مرسى وغيرهما.

وتقديرًا لعطائه الموفور، فقد استحق الحصول على جائزة الدولة التشجيعية فى عام ١٩٧٠ عن روايته (رجل تحت الصفر) وحصل على نيشان الفنون والآداب مرتين: أولاهما من الرئيس الراحل جمال عبد الناصر والثانية من لاحقه الرئيس المرحوم أنور السادات.

وقد جمع بين عضوية نقابة الأطباء بحكم تخصصه وعضوية نقابة الصحفيين بحكم عمله وتأثر فى بداية حياته ببعض قمم العطاء الأدبى سواء فى الخارج من أمثال العملاقين الروسيين "تشيكوف وديستوفسكى" والأمريكى "مارك توين" والمصرى توفيق الحكيم. ورغم ذلك فقد ظل له مذاقه الخاص فى جميع المراحل التى مر بها ابتداء بمرحلة الشك وانتهاء بمرحلة الإيمان الذى لا يكاد يدانيه إيمان. إيمان العالِم الذى نهل من مناهل العلم والأدب والثقافات المختلفة من أقصى الشرق إلى أقصى الغرب.

وقد ظل إنتاجه الأدبى يتدفق كما لو كان نهرًا عذبًا يروى الظامئين ستةً وأربعين عامًا حتى شهدت له الأغلبية الغالبة من قارئيه سواء فى مصر أو فى أقطار العالم العربى بل والعالم الأوروبى من شرقه السلافى إلى غربه السكسونى واللاتينى.

وبلغت عدة مؤلفاته الأدبية ٦٤ مؤلفًا منها المجموعات القصصية وأبرزها:

- أكل عيش عام ١٩٥٣ .
- عنبر ٧ عام ١٩٥٧ .
- شلة الأنس عام ١٩٦٤ .
- رائحة الدم عام ١٩٦٦ .

- نقطة الغليان عام ١٩٧٧ .
- أناشيد الإثم والبراءة عام ١٩٨٠ .

والروايات وأبرزها:

- المستحيل عام ١٩٦٠ .
- العنكبوت عام ١٩٦٥ .
- رجل تحت الصفر عام ١٩٦٦ .
- الأفيون عام ١٩٧٦ .
- الخروج من التابوت عام ١٩٦٥ .
- المسيخ الدجال عام ١٩٧٩ .

وكتب الرحلات وأبرزها:

- فى أفريقيا الاستوائية.
- فى الصحراء الأفريقية.
- فى مدن أوروبا.

أما كتبه التى ترجمت إلى لغات أخرى، فمنها:

- الله والإنسان.
- رحلتى من الشك إلى اليقين.
- حوار مع صديقى الملحد.
- القرآن: محاولة لفهم عصرى فقد ترجمت إلى اللغة اليوغوسلافية.
- «المستحيل» و«العنكبوت» فقد ترجمتا إلى اللغة الفرنسية.
- «القرآن محاولة لفهم عصرى» فقد ترجمت إلى الإنجليزية

وقد تناول عطاءه عدد من النقاد آخرهم الناقد الأستاذ جلال العشرى الذى أصدر عنه كتابًا عنوانه "مصطفى محمود شاهد على عصره"، وهو بلا أدنى شك أصدق الشهود على هذا العصر. كما نشرت دراسات متعددة عن أعماله القصصية والروائية وعن أفكاره ورؤاه وتأملاته فى الدين والحياة والناس.

ولم يقتصر عطاؤه فى الأدب على المكتوب والمطبوع والمنشور

وما فاض وذاع وشاع فى الإذاعات المسموعة والمرئية عبر العالم العربى وأصبحت إذاعاته فى العلم والإيمان منها للجميع سواء الشباب أو الكهول أو الشيوخ من الجنسين وهم يتحلقون ليشهدوا ويسمعوا ويزودوا من خير زاد يقدمه الدكتور مصطفى محمود.

إن جمعية الأدباء المصريين وهى تتقدم بترشيحه لنيل جائزة الدولة التقديرية فى الآداب، وهى تحمد الله على توفيقها المتوافر بحصول مرشحيها بالذات على هذه الجائزة لتشعر اليوم فى ترشيحها للكاتب الأديب العالم بأنه من أوفر سابقيه استحقاقا لهذه الجائزة حتى إنه يتجاوز لذاته إلى سابقيه من قمم الأدب وأساتذة التنوير الذين عشقهم وتعلق بعطائهم.

ومرشح الجمعية لعام ١٩٩٣ يكاد يحظى بموافقة كل الهيئات التى لها حق الترشيح، وتشعر جمعية الأدباء المصريين بأنها تكاد تعرب عن بديهة.. ولعل ما توج به الدكتور مصطفى محمود عطاءه الأدبى إقامته فى عام ١٩٨٣ للمركز الإسلامى بحى المهندسين وما يقدمه من خلال أنشطته الإنسانية للمواطنين من مصريين وعرب وأجانب لهو قمة العطاء الأدبى مكتوبًا ومنظومًا ومشكورًا.

ومن ثم تشعر الجمعية بأنها تبادر إلى اقتراح منح سيادته جائزة الدولة التقديرية فى الآداب لعام ١٩٩٣ وهو يبدأ عامه الحادى والسبعين ومازال ثرى العطاء مبدعًا وشغوفًا بأن يظل مصطفى ومحمودًا، والله شهيد.

مقالات مصطفى محمود
فى مجلة "الشُّموع"

كُنْتُ
حريصةً على أن يكونَ مصطفى محمود واحدًا من كُتَّاب مجلة "الشُّموع"، التى فتحتْ صفحاتها لأبرز كُتَّاب مصر ومبدعيهَا فى الشِّعر والروايةِ والقصةِ القصيرةِ والمسرح والموسيقى والفن التشكيلى والعلومِ والسينَما وشتّى المعارفَ الإنسانية،

وقدَ نَشَرَ عددًا من المقالاتِ فى الفترة من ١٩٧٨ إلى عام ١٩٩١،

واخترتُ ـ هُنَا ـ أربعَ مقالاتٍ عن الموسيقى والإبداعِ والعبقريةِ والقوى المجهولةِ والحياةِ والموتِ

وهى موضوعاتٌ أثيرةٌ لدى مصطفى محمود، وقريبةٌ من روحه،

وهو المولُعُ بالموسيقى والفنِّ بوجهٍ عام،

حيث كانت له صداقاتٌ عميقةٌ مع أهلِ الفن، خصوصًا محمد عبد الوهاب،

وكان يعزفُ على العود، واستمرتْ علاقته بالفنونِ ـ بمختلفِ أنواعها ـ متواصلة،

وسنجدُ ذلك فى أكثرِ من كتاب له.

وبمناسبة إثباتى لهذه المقالات،
أذكر أن هناك مئات المقالات التى كتبها مصطفى محمود ونشرها فى جريدة الأهرام وصحف ومجلات أخرى،
ما تزال طىّ "الإرشيف" أو الصحف التى كُتب فيها،
ولم تجمع فى كتب كعادته فى السنوات الأخيرة،
بعدما توقف عن كتابة الرواية والقصة القصيرة والمسرحية،
وأرى أنه لزامًا على الباحثين والدارسين أن يضطلعوا بهذه المهمة، لحفظ مُنجز مبدع وكاتب أعطى وأنجز وأضاف،
وكانت له حوارات وسجالات ونقاشات فى الحركة الثقافية المصرية،
وخاض الكثير من المعارك الفكرية والأدبية والسياسية مع خصوم فكريين، وأصدقاء الدرب السياسى السابقين.

هل الموسيقى حرام؟

هل الموسيقى حرام؟
تساؤل من كلمات ثلاث يفتح الباب أمام مناقشة طويلة مسهبة.

بالطبع ليست كل الموسيقى حرامًا، فهناك الجيد وهناك الردىء من النغم، والموسيقى الرديئة، أعنى بها الخليعة التى تثير الغرائز وتجلب المصائب.

لا يمكن - إذن - أن نرفض السماع على إطلاقه، فالمسألة تتوقف على المسموع، ما هو؟ وما مستواه؟

فأشكال الموسيقى وألوانها تتراوح ما بين موسيقى الكباريه للسكارى والعرايا، وما بين السيمفونى السامى، والفارق بينهما - لو تعلمون - كبير.

ولذلك قال الله تعالى فى حق الشعراء والشعر: " والشعراء يتبعهم الغاوون، ألم تر أنهم فى كل واد يهيمون".

ثم قال: " إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات". معنى ذلك أن الفن يستثنى منه الجيد، الخير.

فالفن الذى يتسم بالطابع الإلهى لا يمكن أن يتساوى مع هز

- مجلة الشموع، ديسمبر - يناير ٨٦- ١٩٨٧ .

البطن، والإيقاعات السخيفة الهمجية - والتى تنزل بالسامع إلى الدرك الحيوانى كما فى الزار، لا يمكن أن تتساوى مع السيمفونية المذهلة لموسيقار عظيم.

ولقد أحببت الموسيقى العظيمة منذ فجر حياتى، وأجدت العزف على الناى والعود، وعرفت أستاذاً فى معهد الموسيقى استشعر حبى للعود وهوايتى فى العزف عليه فعلمنى أصول العزف والنوتة والسلم الموسيقى.

كان هذا وأنا طالب فى كلية الطب، واستمر بى الحال وأنا أعزف على العود والناى وأسهر مع أهل الفن حتى انشغلت عن كل هذا وإن لم أنشغل عن سماع الموسيقى.

وكيف لا أحب الموسيقى؟

الكون كله سيمفونية رائعة، فهذا عصفور صوته عذب جميل، وتلك فراشة ملونة جناحها لوحة لا تدانيها أعظم لوحات بيكاسو وتشعر أن لحركة جناحها "إيقاع" و"ميلودى".

التمييز سهل بين هذا الجمال وبين القبح، ولننظر إلى حمار تصدح حنجرته بنهيق حاد "إن أنكر الأصوات لصوت الحمير".

الفهم واضح فى الكون والموسيقى واضحة فيه، ومن أسماء الله الحسنى (البديع) وهذا الاسم هو الحاكم على كل الفنون.

لا يمكن أن يحرم الله - عز وجل - الجمال فى أى صورة من صوره.

البعض - مثلاً - يتحدث عن أن صوت المرأة عورة.

صوت المرأة المحتشمة كيف يكون عورة، أنا أتصور أن المرأة إذا تكلمت دون ميوعة وإثارة ودون استمالة لغرائز المستمع فلا عورة فى ذلك، أما إذا عمدت المرأة إلى إثارة الغرائز وتهييج الشهوات فهو عورة - دون شك - وهناك امرأة بصوتها العادى أسوأ ألف مرة من امرأة "تغنى" باحتشام.

لقد كانت أم كلثوم مثالاً للاحتشام، ولن نرى مثلها قبل خمسين

سنة على الأقل، وهى هبة من هبات الزمان، أخلصت لفنها فسما بها وسمت به حتى سكنت قلوب مستمعيها، ولقد اتهمها يوسف وهبى يومًا أن غناءها يهيئ أجواء مناسبة للحشاشين، وهذا تزيد وافتراء، فقد زادت المخدرات بيعة وترويجًا وتعاطيًا بعد ما ماتت أم كلثوم فهل هى السبب أيضا رحمها الله

والحديث عن الموسيقى والغناء.. حلالهما.. وحرامهما يجرنى إلى الحديث عن فن قراءة القرآن.

أنا شخصيًا أفضل القرآن المرتل، لأننى أحس بالكلمة ومعناها، وأعيش معها جيدًا.. أما قراء القرآن الذين يعتمدون على حسن الصوت ويستعرضون بحناجرهم فتأثيرهم عكسى، لأن المستمع ينصرف معهم إلى موسيقى الصوت، ولا يلتفت إلى جمال وعظمة المعانى، ولذلك أحب الشيخ محمد رفعت، صوته مثل البللور، ويجعلنا نحس بانكسار الصوت وخشوعه.

الشيخ رفعت معجزة

وهو إمام عصره

وما دمنا تكلمنا عن الخشوع فى الأداء الصوتى فلا يمكن أن نتجاوز صوت محمد عبد الوهاب الذى ينضح خشوعًا وخامة صوته متفردة وجديرة وهو صوت أصيل.. أصيل.. أصيل.

أيمكن أن تكون كل مواطن الجمال التى ذكرناها حرامًا؟

على الإطلاق، فالقبح والرداءة والركاكة وغيرها من هذه القيم هى الحرام بعينه بل هى - إن صح التعبير - أبغض الحرام.

الذين عاشوا حياتين وماتوا ميتتين

من رحمة الله بنا أن يمد فى حياتنا فنبلغ الستين والثمانين وأحيانًا المائة وأحياناً نجاوزها، وذلك ليعدد أمامنا الفرص بطول هذا العمل فندرك أخطاءنا ونتوب ونرجع أو نلدغ مرة ومرات كلما سقطنا سقطة أو وقعنا فى مخالفة فيدلنا بلطفه وبرحمته على الحكمة فى شريعته ويأخذ بيدنا كلما تردينا فى حفرة ويمهد لنا الطريق السوى ويدلنا على الخير ويشجعنا عليه وأحيانًا يعجل لنا ببعض ثوابه فى الدنيا ليثبت أقدامنا..

وأحيانًا أتساءل : أتمتد رحمة الله فيعطى للبعض أكثر من عمر ليستنفد كل الفرص ويستهلك كل الأعذار.

أيكون هذا هو المعنى الباطن فى الآيات المذكورة عن المجرمين.. حينما يقول المجرمون وقد وقفوا بين يدى الله يوم القيامة: " ربنا أمتنا اثنتين وأحييتنا اثنتين فاعترفنا بذنوبنا فهل إلى خروج من سبيل".

هؤلاء ناس يقولون إنهم عاشوا حياتين وماتوا ميتتين .

وفى آية أخرى يروى الله عن المجرمين فى سورة الدخان الآية ٣٥ ذاكرًا جل وعلا: "إن هؤلاء ليقولون إن هى إلا موتتنا

ـ مجلة الشموع، العدد السادس، يوليو ١٩٨٧

الأولى وما نحن بمنشرين" والمعنى طبعًا.. أنهم يكذبون، فهم منشرون حتمًا وأن هذه الموتة ليست موتتهم الأولى وإنما كانت لهم موتة قبلها ولكن لا يشعرون.

بينما يقول عن المتقين فى سورة الدخان الآية ٥٦، أنهم " لا يذوقون فيها الموت إلا الموتة الأولى ووقاهم عذاب الجحيم" والمعنى واضح، فالمتقون قد عرفوا ربهم وأصلحوا من أنفسهم فلم يعودوا فى حاجة إلى مزيد بلاء ولا هم بحاجة لأن يذوقوا ضعف الحياة وضعف الممات فقد نجحوا وتفوقوا ولا حاجة بهم إلى مزيد من الفرص أو مزيد من الاختبارات..

اقرءوا معى " وما يفعل الله بعذابكم إن شكرتم وآمنتم. (فبحدوث الشكر والإيمان ينتفى الغرض من البلاء) والموت الوارد فى الآيات هو شىء يذاق ولا يصلح لأن يفسر بأنه النوم (الموت الثانى كما جاء فى بعض كتب التفسير)... وأيضًا لا يصلح هذا التفسير لأن كلا من المجرمين والمتقين يجربون ذلك النوم.. فلا يختص به المجرمون دون المتقين.

فالآيات تشير حتمًا إلى موت يذاق.. وإلى حياة تتكرر بكيفية لا يعلمها إلا الله، ولا يعنى هذا أننا نأخذ بفكرة التناسخ الهندية.. فالهنود يؤمنون بالتناسخ على أنه الجحيم والعذاب الموعود لكل من يرتكب إثما فى حياته فيولد من جديد ليكفر عما صنع. فإذا سرقت فى حياتك الأولى تعود ليسرق منك مبلغًا مماثلاً فى الحياة الثانية.. وإنما العودة عندنا مختلفة تمامًا وبهدف مناقض لما يقوله الهنود.. فالعودة عندنا تتم بهدف الرحمة ليعدد الله الفرص وليستنفد الأعذار حتى لا يقول المجرم يوم القيامة سرقت لأننى فقير.. فيكشف له الله عن الحياة الثانية التى عاشها والتى رزقه الله فيها رزقا واسعًا وكان غنيًا.. ومع ذلك سرق وعاود جريمته.. وهنا يسقط فى يده ويعترف بذنبه.. ومن هنا تكون الآية:

"ربنا أمتنا اثنتين وأحييتنا اثنتين فاعترفنا بذنوبنا فهل إلى خروج من سبيل"

ولا سبيل إلى خروج.. لأن الشر صفة ثابتة فيه.. تقول الآية فى صراحة "ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه وإنهم لكاذبون".

ومعنى ذلك أن الإجرام صفة ثابتة معلومة عند الله عن المجرمين ولا يلزم أن تكون الحياة الثانية تناسخًا بالصورة التى يرويها الهنود.. وإنما هى عندنا عودة بكيفية لا يعلمها إلا الله.. وهى من أمور الغيب.

يبدأ الخلق ثم يعيده. بالكيفية التى يراها وبعدد المرات التى يشاؤها.

وهذا الفهم معناه رحمة إلهية واسعة غير محدودة ومشيئة تمتد على عدة أعمار.. كما أنه يضع المجرم يوم الحساب أمام لحظة رهيبة تسقط فيها جميع الأعذار وتفلس كل الحجج وتنتهى به على اليأس الكامل والاستسلام والاعتراف بأنه من أصحاب النار، لا يصلح لشىء إلا للنار ولا تصلح النار إلا له، فهو من أهل الجحيم الذين هم أهلها حقًّا وصدقًا وعدلاً.. ومن هنا نفهم كلمات القرآن التى تتكرر فى مناسبات عديدة.. "حق القول على أكثرهم، حقت كلمة العذاب على الكافرين.. حق القول منى لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين".

فقد حقت النار على من كانت النارية صفة ثابتة فيهم، النارية بكل صفاتها النفسية.. الغل والحقد والضغن والبطش والكبر والشر والجحود..

أليست كل تلك الصفات نارية فى ماهيتها.. وإعطاء فرصة الحياة مرة أخرى هى علامة رحمة من الله وحكمها حكم الملحق الذى نمنحه للطالب وفرص الرسوب المتعددة التى نعطيها له قبل البت فى فصله من مدرسته.. والله أرحم بخلقه منا بتلاميذنا.. كما أنها دلالة على منتهى اللطف والعدل والصبر على ذنوبنا..

وهى أيضًا علامة المكر الإلهى من خير الماكرين.. وهو القائل:

"فمكروا مكرا ومكرنا مكرا" ، "يكيدون كيدا وأكيد كيدا" ، "فمكروا مكرهم وعند الله مكرهم".

فالذى يولد عبدًا ويرتكب جريمة يولد مرة أخرى ملكًا لتمتنع عليه الأعذار وتنتفى العلل الداعية إلى القسوة والشر فإن عاد إلى جريمته فهو المجرم حقًا وليس لهذا الظرف أو ذاك.

وتقليب النفس فى الأحوال المختلفة لاختبارها وابتلائها سنة كونية وليس هناك ما يمنع من امتداد هذه السنة الكونية إلى حياة ثانية بالنسبة لعتاة الإجرام..

ألم يذكر القرآن عن الذين عتوا فى إجرامهم أن الله قال لهم.. كونوا قردة خاسئين فمسخهم إلى مرتبة دنيا تماما وأنزلهم من الرتبة البشرية إلى الرتبة القردية ليكونوا درسا ونكالا للآخرين.. حدث لهم ذلك فى حياتهم الدنيا نفسها.

"فلما عتوا عن ما نهوا عنه قلنا لهم كونوا قردة خاسئين" (١٦٦ ـ الأعراف).

وكان هذا المسخ استثناء من قاعدة الإمهال وتأجيل العذاب إلى أجل مسمى وهى السنة العادية بالنسبة للكافة.

وكذلك من يموت لا يرد إلى الدنيا فى الناموس العادى للكافة ولكن لا يمتنع على طلاقة المشيئة أن يرد الله عتاة الإجرام إلى حياة ثانية وإلى موت ثان ليحق عليهم القول.. ولتتبين الحكمة من النار.. ونعرف لماذا يحق القول على بعض النفوس بالخلود فى النار إلى الأبد..

لأن تلك النفوس من جنس النار ماهية وسلوكا..

والسنن كلها سنن الله وهو خالقها..

وهو الوحيد الذى يملك أن يخرقها لإظهار كرامة الأنبياء (كما كف النار عن الحرق بالنسبة لإبراهيم) أو إنزال الخزى بالسفهاء (مثل مسخهم قرودًا أو إذاقتهم ضعف الحياة وضعف الممات).

ألم يحذر الله نبيه من الركون إلى الكافرين..

" ولولا أن ثبتناك لقد كدت تركن إليهم شيئا قليلا إذًا لأذقناك ضعف الحياة وضعف الممات ثم لا تجد لك علينا نصيرا" (الإسراء ٧٤ ـ ٧٥).

والتهديد بتضعيف الحياة وتضعيف الممات هو تهديد لنا نحن الأمة المحمدية إذا خالفنا الأمر وإن كان الخطاب جاء للنبى عليه الصلاة والسلام.

والله فعَّال لما يشاء وهو لا يتصرف فى ملك غيره ليسأل.. بل هو يتصرف فى ملكه سبحانه له ملك السموات والأرض وما بينهما وما تحت الثرى ولا يسأل عما يفعل .

هذا هو فهمى لآيات الحياتين والموتتين ..

والله أعلم.

الدكتور مصطفى محمود والقوى المجهولة

الدكتور مصطفى محمود:
"الإلهام" مرحلة العلم اليقينى.. لا يصل إليه إلا الأنبياء
"الكرامات" حقيقة واقعة.. لكن بعضها "شيطانى"
بعض الصوفيين يعرفون الطريق إلى الله
الذين يستعينون بالجن.. يسيرون بأقدامهم إلى الهلاك
المعرفة اللدنية أرفع وأسمى أنواع المعارف يختص بها الله الأنبياء

الدكتور "مصطفى محمود" واحد من المثقفين القلائل.. الذين يتمتعون برهافة الحس وشاعرية المزاج.. لهذا فهو يتلقى المعارف الثقافية والفنية والدينية.. على صفحات وجدانه.. ثم يعكسها تأملات تغلب على عقلانيتها مسحة من دفء الشعر والعاطفة.

إنه - دائمًا - لا يتخلى عن شاعريته.. ومن خلال صعوده المتفرد فى مدارج التعبير الأدبى والتصوير الفنى.. عودنا الدكتور "مصطفى محمود" - من وقت إلى آخر - على التحليق بسفينته الفضائية.. فى الأفق البعيد.. ليكشف لنا - عبر المعانى والأفكار - حجب الكلمات والألفاظ، ويعود بالجديد والممكن وأيضا

- مجلة الشموع، العدد التاسع، أبريل ١٩٨٨.

المستحيل.

والدكتور "مصطفى محمود" لا يعوزه الصدق فيما يكتب.. أو فيما يستوحيه من خلوته الفكرية.. والأداة التى يستخدمها فى كتاباته مزيج من ثقافة الطبيب، وطالب المعرفة العلمية، واستيعاب الأديب القادر على هضم ما يقرأ والغوص فى أعمق أعماق المراجع الموضوعة فى علوم الدين والدنيا.. وهى أداة غنية فى مادتها، ثرية بخبرتها، زاخرة بكل مقومات الوصول للمتلقى.

وليس غريبًا ـ بعد ذلك ـ أن تأتى رؤية الدكتور "مصطفى محمود" من أعلى إلى أسفل.. من الروح الشفيفة إلى المادة الكثيفة.. من ملاك المعرفة إلى إنسان الأرض.

تعالوا نجول ـ معًا ـ فى أوراق كاتبنا الفيلسوف.. ونتوقف قليلاً أمام بعض عصارات فكره.

فماذا يقول فى صفحة "التصوف"؟

رغم أن الصوفية بالغوا كثيرًا فيما ذهبوا .. فإن بعضهم ـ وهم قلة ـ تأدبوا بأدب التصوف.. والتزموا الجادة.. أما السواد الأعظم منهم فقد انحرفوا عن الطريق السوى.. واعتبروا "الولى" أعظم درجة وأرفع مكانة من "النبى" .. وهذا محض افتراء.. بل تخريف.. من هؤلاء بعض أتباع "السيد البدوى" والعارف بالله "إبراهيم الدسوقى" .. فهم يخاطبونهما بقولهم : "السلام عليك يا رسول الله.. السلام عليك يا أحمد يا بدوى" وزاد بعضهم الطين بلة فقالوا: "نحن خضنا فى بحر وقف الأنبياء على ساحله" يقصدون أنهم خاضوا بحرًا لم يقدر الأنبياء على نزوله.. أبعد هذا افتراء؟

المؤسف أن بعض أصحاب الطرق الصوفية.. يرددون هذه المقولة.. ويعتقدون أنهم مميزون عن البشر.. وأعلى مكانة من سائر العالمين.. وهم ـ بذلك ـ لا يزيدون على كونهم دجالين ومنحرفين ومرتزقة

ومع هذا .. فبعض المتصوفين على حق.. وهم الذين يرون أن الاستقامة هى أعظم كرامة.. أما حكاية التحدث عن الملائكة ـ التى يتكلم عنها من يخوضون فى هذه المسائل أحيانًا ـ فليست

ذات قيمة إطلاقًا.. وقد تؤدى بصاحبها إلى منزلق خطير وتلقى به إلى هاوية الشرك ـ والعياذ بالله ـ فيعبد نفسه من دون خالقه.
وبعض المتصوفة يتوهم أنه قطع شوطًا طويلاً من العبادة.. يخول له عدم الصلاة والصوم.. لأن الله رفع عنه التكليف.. لاتصاله به مباشرة.. وتلك شعوذة وتخريف.. بل فتنة فى الأرض وفساد كبير.

بعض الكرامات "شيطانى"

وأعتقد أن حكاية "الكرامات" تلعب دورًا أساسيًا فى وجود تلك المبالغات.. ورغم التسليم بأن "الكرامة" حقيقة واقعة.. فإنها لا تدل ـ أبداً ـ على ارتفاع القدم.. أو النبوة أو الولاية أو حتى الإسلام..
مثلا.. سيأتى يوم يظهر فيه "المسيخ الدجال" فيحيى الميت، ويحيل الصحراء إلى أرض خضراء، ويقطع المسافات سيرًا.. ومع كل هذه الكرامات هو فى أسفل السافلين.. والعياذ بالله
هذه ـ إذن ـ أنواع من المعارف والهمم ـ فقط ـ بدليل أن الإنسان نزل فوق سطح القمر ومشى عليه.. وبعض العلماء استطاعوا زرع قلب متوفى فى جسم شخص حى..
وتوصل البعض الآخر إلى اختراع أدق الأجهزة الإليكترونية وآلات الكمبيوتر.. بينما يخالفون الشرائع بالكلية.. فهل ما توصلوا إليه يدل على نبوة أو كرامة أو إسلام؟
بالعكس.. فقد نجد طبيبًا ـ هو من أعظم الجراحين ـ لكنه بلا دين ولا خلق ولا ضمير!
وما دمنا قد سلمنا بأن "الكرامة" حقيقة واقعة.. فيجب أن نعرف أن بعضها "شيطانى" وبعضها من المعارف التى تتفتح لبعض الواصلين مع الله.. وكل علم يضع الإنسان يده على مفاتيحه ، لا شك سيوصله إلى أشياء أخرى كثيرة..
والمقصود بالكرامة "الشيطانية" مخاواة بعض الناس للجن.. وهذه حقائق معروفة.. فقد سخر الله ـ سبحانه وتعالى ـ الجن

لنبيه سليمان ـ عليه السلام ـ ومنذ ذلك اليوم والمعارف القديمة موجودة .. وهى مخاطبة الجن والاتصال به.. لكن الله حذر من ذلك.. لأنه سخر مملكة الجن لسليمان بالقهر الجبرى.. استجابة لدعوته: " رب هب لى ملكًا لا ينبغى لأحد من بعدى إنك أنت الوهاب".

من هنا.. يجب على الإنسان ألا يتدخل فى شئون هذه المملكة.. بعلمه المحدود.. والله تعالى يقول: " ولا تقف ما ليس لك به علم..".

قوى لا تزال مجهولة

وبعض الناس يمكنه الإتيان بنوع من الخوارق .. كأن يخبر شخصا لا يعرفه باسمه واسم أبويه.. وربما عنوانه أيضًا.. وهذا هو السحر عن طريق استخدام الجن.. وفيه يستحضر الساحر قرينه وقرين الشخص الآخر.. ويخبره قرينه بما عرفه من قرين هذا الشخص..

وهؤلاء الذين يستحضرون الجن فاشلون فى حياتهم.. تمامًا، والكثيرون منهم أصيبوا بالصرع أو العمى أو الصمم.. وألبسهم الفقر ثوب الذل والحاجة.. قال تعالى: "ولا يفلح الساحر حيث أتى...".

وقد يظن البعض أن السحر يقضى المصالح المستعصية.. لكن الحقيقة أن اللجوء إلى عالم الجن يمكن أن يؤدى بصاحبه إلى الهلاك.. والله تعالى يقول: "وأنه كان رجال من الأنس يعوذون برجال من الجن فزادوهم رهقًا..." .. أى استعان بالجن ليريحه فزاده تعبًا ونصبًا ورهقًا

وإن كانت هذه الأشياء تبدو لنا على أنها خوارق.. إلا أن الله ـ سبحانه وتعالى ـ ذمها كلها وحظرها لأنها من قبيل المضار والخوارق الشيطانية.

وهناك فروق عديدة بين هذه الخوارق، وخوارق الهمم والمعارف.. فبعض الهنود ـ مثلا- يستطيعون السير فوق الجمر.. أو ينقصون من عدد نبضات القلب.. أو يحبسون أنفسهم داخل

تابوت لمدة طويلة دون طعام وشراب.. بل إن بعضهم بلغ به التحدى أن عاش داخل ناقوس خال تمامًا من الأوكسجين.. لساعات ليست قصيرة.. وهذه كلها خوارق من نوع المعارف والهمم.. فقد محنا الله قوى مجهولة بداخلنا.. يطلق عليها : "بارا سيكولوجى" وهى قوى فى العقل لم تكتشف بعد.. بالإضافة إلى ما نعرفه من قوى السمع والبصر والمنطق والعقل والذكاء.. وكلنا قرأ عن رياضة "اليوجا".

من هذه القوى المجهولة.. الجلاء البصرى والشفافية واستشعار الخاطر.. فالبعض لديه القدرة على أن يرد - أحيانًا- على كلام لم يقل بعد.. وقد نسمع أن أما تهب مذعورة فجأة لأنها أحست بأن ابنها فى خطر.. بينما تكون فى بلد وهو فى بلد آخر.. ويتضح أنه - فى تلك الأثناء - كان فى غرفة العمليات تجرى له جراحة!

وفى الحديث .. يقول رب العزة: "عبدى أطعنى تكن عبدًا ربانيًا يقول للشىء كن فيكون".. وهذا معناه أن التسابيح والصوم لفترات طويلة والاجتهاد فى العبادة والاعتكاف وترديد اسم من أسماء الله الحسنى.. يمكن أن توصل صاحبها إلى مرحلة الكرامات ومعرفة الهمم.

ورد أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - كان إذا جلس مع أصحابه قالوا: يا رسول الله .. إننا نحس - ونحن معك - بأن نفوسنا قد صفت.. فإذا ما تركتنا لتجارتنا وانشغلنا بدنيانا.. تعكر صفو النفوس .. فقال عليه الصلاة والسلام: "والذى نفس محمد بيده.. لو صفت نفوسكم دون أن ينال من صفائها شىء.. لصافحتكم الملائكة".

وهذا أمر ممكن بحكم التجانس.. فإذا ما استمر الإنسان فى الصيام والعبادة والتسبيح.. حتى تقوى صلته بالله.. يبدأ كيانه فى التجانس مع كيانات الملائكة.. لأن الملائكة كائنات مطيعة بالكلية.. ومن الممكن .. عقلاً - أن يحدث هذا التصافح بينهم وبين الإنسان.

ذات مرة.. جلس الشيخ "على المصراتى" - وهو كاتب ليبى - مع رفاقه فى حلقتهم الدراسية بصحن الأزهر.. واحتدم النقاش فى موضوع حول "ابن رشد" و"ابن الهيثم" .. وفجأة وضع الشيخ "المصراتى" يده على رأسه قائلا: "يا أبتاه..!) وتبين أن والده مات فى اللحظة نفسها بطرابلس.

هى - إذن - مواهب وكرامات واستشعار خاطر.

ثنائية التكوين

وفى معنى الحديث الشريف.. أن من عرف نفسه فقد عرف ربه.. والإنسان ديمومة ممتدة فى الداخل، وزمن موضوعى فى الخارج.. وهو - بهذا المعنى - نموذج مصغر ومثال من ربه..

والمقصود بالديمومة الداخلية والزمن الخارجى أن الإنسان ثنائى التكوين فهو - فى الظاهر - جسد ذو مقاسات من طول وعرض ووزن.. ودرجة حرارة.. وغير ذلك، وهذه تسمى المواصفات المادية.. بينما هو - من الداخل - حقيقة غير قابلة للوزن أو المقدار أو التحديد.. وعلى الرغم من أن الإنسان يعيش فى الزمن.. لكن بداخله شيئًا أقوى من الزمن.

وتفسير ذلك أن خيال الإنسان المادى - الذى هو جسمه - تتناوب عليه عوارض الضعف والقوة.. الصحة والمرض.. السمنة والنحافة.. إلى غير ذلك.. لكننا نلاحظ أن الكيان النفسى ممتد مع الإنسان منذ مولده وحتى يوافيه أجله.. فالرغبة تظل بداخله لا تكبر ولا تصغر ولا تشيب.. ولا يطرأ عليها أى عارض.

وأبسط مثالٍ على ذلك أن الإنسان يفقد أسنانه فى الكبر.. لكنه لا يفقد - مطلقا - حبه للطعام..

الإرادة - إذن - لا تتأثر بالزمن.. لأن جوهرها مختلف.. وهذا - طبعًا - يختلف عن الروحانيات.. التى هى سر البعث.. وما يجوز على الأبدان لا يجوز على السر.. فالسر موجود قبل أن يولد الإنسان وسوف يستمر دون أن يطرأ عليه أى عارض.

لننظر - مثلا - إلى "نوى النخيل".. فالنواة - على ضآلتها وصغر حجمها - إلا أنها تحمل بداخلها سرا عظيما من أسرار الخلق..

ومن خلال المجهر نستطيع أن نشاهد سيمفونية الخلق الأعظم.. مسجلة داخل أجنة النوى.. وهل تأملنا الفرق الكبير بين حجم النواة وحجم النخلة عندما تتضج؟

هذا الفرق هو نفسه بالنسبة للجنين البشرى.. مع الاختلاف فى الدرجة طبعا.. فالكروموسوم بمثابة اللوح المحفوظ.. مسجل به كل تفاصيل الخلق.. سواء فى جسم الإنسان أو موروثاته أو عاداته.. كل هذا مسجل بداخل الكروموسوم رغم ضآلته إلى الحد الذى تصعب معه رؤيته بالعين المجردة.. فحجمه لا يزيد على "واحد من عشرة آلاف جزء من المليمتر"

وبحكم كرم الله ـ سبحانه وتعالى ـ إذا أعطى أحدًا وجودًا لا يسلبه إياه.. لذلك فإن الديمومة والزمن.. مرادفان للروح والجسد.. فالروح التى بداخلنا ـ ولأنها من الله ـ تتصف بالديمومة.. لا يعتريها أى تغيير، بينما الثوب ـ أو الجسد ـ له ميقات .. وهذا هو الزمن.

العلم بلا حدود

وإذا تحدثنا عن العلم والمعرفة نقول : إن العلم ضرورى ـ جدًا ـ للإنسان.. وغايته أنه يأخذ به من مكان ويوصله إلى مكان.. أما أدوات المعرفة فتبدأ بالحسى منها.. كالسمع والبصر واللمس والشم.. وبها يمكن التعرف على البيئة.. كما يحدث بالنسبة للطفل عندما يتحسس ثدى أمه.. أو يرى من حوله، ويتذوق طعم الأكل.. ويلتفت إلى مصدر الصوت..

وعندما يكبر الإنسان وينضج.. تصبح وظيفة عقله تحليل هذه المعلومات الحسية، واستنباط القوانين.. نحن ـ مثلا ـ نرى الشمس تتحرك والأرض ثابتة.. وهى معلومة حسية.. حين حللها العلماء تبين العكس: أن الأرض هى التى تدور حول الشمس.. وهذه هى المرتبة التالية من المعرفة: العلم، وتأتى عندما يتدخل العقل لاستنباط القوانين من المعلومات الحسية.

وبعض العارفين يقول: لا يصح أن نقف فى علمنا عند حد.. حتى لا يجد الإنسان نفسه عاجزًا عن فهم أبعاد قضية ما.. مثل

مسألة الله - سبحانه وتعالى - ومسألة الآخرة وما بعد الموت ولماذا يعذبنا الله؟ وما سر الدموع ما دمنا سنموت وآخرتنا عدم؟

كل هذه الأسئلة لا يستطيع العقل الإجابة عنها.. ولابد أن يستسلم حتى يصل إلى المرحلة الثالثة: مرحلة البصيرة والإلهام.. وهى التى يشترك فيها "بتهوفن" مع الفنانين العظام مع الناس الطيبين أصحاب البصيرة.

وبعد البصيرة يأتى الإلهام.. وهو مرحلة لا يصل إليها إلا أهل الصلة بالله، وهؤلاء يسمون بأصحاب المعرفة اللدنية للعلم اليقينى.. الذى يأتى للأنبياء على طبق من فضة.. وهذا ليس علمًا بل معرفة "أوبرتس" وهى أعلى درجة من العلم "سينس" .

والمعرفة اللدنية هى أرفع أنواع المعارف وأسمى درجاتها .. وهذه يختص الله بها الأنبياء وتصلهم منه - سبحانه - مباشرة.. وهى أعلى درجات اليقين ويتم بها الإدراك الكلى.. فمن يقف عند حد المعرفة العلمية ويتصور أنه عرف.. فهو لا يعرف شيئًا.. لذلك، لابد أن يأخذ قطار العلم مداه.. ثم نتركه لنستقل قطارًا آخر يوصلنا إلى المحطة التالية.

وقد أعطى الله - سبحانه وتعالى - كل واحد من خلقه.. فرصة كى يحسن نفسه.. وها هو الضمير سفير الله بداخل كل فرد ويستطيع أن يحكم على سائر أعماله.. وينبه صاحبه إلى الخطأ فيصححه.. لكن الله خلق نفوسنا قابلة للهداية.. وليس معنى ذلك أنه وضع العناد بداخل النفوس المعاندة.. فقد خلق ربنا النفس وبها لياقة كاملة.. كصفحة بيضاء ، يكتب فيها الإنسان بسره ما يشاء فإن أصابته حسنة فمن الله.. وإن فعل سيئة فمن نفسه.

وسبحان الله.. الخالق.. المعجز.. ليس كمثله شئ.. وهو السميع البصير.

نفحات من الله
لا عبقرية.. ولا إبداع

الإيمان فى حياة عبد الوهاب حقـيقة وليس نفاقًا.. لم يكن يـسـمى فنه شطارة أو عـبقـرية أو إبداعـًا.. بل كـان يسميه خواطر ونفحات من الله سبحانه وتعالى وكان إذا وفق فى عدة ألحان يقول: (ربنا فتح على أو ربنا نفخ فى صورتى)..

وكانت له أيام الصبا نزوات ـ وهذه روايات حكاها لى بنفسه ـ كـان حين يخطئ ويتغلب عليه ضـعـفه كـان يقسم أنه لن يعـود إلى الخطأ ثانيًا وكـان يدعـو الله أن يسـاعـده فى التـغلب على نفسـه.. وكان يتوسل... فالله خـالق الجمـال ومتذوق الجـمـال.. والفنان عـاشق لكل أشكال الجـمـال ولابد أن يكون له عند الله هامش من حرية يدخل فى مجال المغفرة..

بهذا كان يتوسل إلى الله ويتعذب وإحسـاسه الداخلى بأنه يخطئ كان مـصـدر قلق يلازم إيمـانه الراسخ بعدل الله وقوته ومغفرته.

وكـان يبكى كـالأطفـال وهو يعـتـرف لى بأن كل الذنوب التى اقـتـرفـهـا فـى حيـاته قـد اقـتـرفت فى حـقـه بعـد ذلك وهذا هو القـصـاص العـادل فى الدنيـا.. لقـد دفـع ثمن أخطـائه باهظًا.. البيئة الدينية التى نشأ فيها منذ طفولته كان لها أثر كبير فى

ـ مجلة الشموع ، يوليو ١٩٩١، العدد الحادى والعشرون

حياته ونجد أن التلاوة القرآنية والرجع القرآنى الكامن فى باطنه يبدو جليًا فى أغانيه للقصائد فنرى (الفقى) واضحًا فى أبيات كثيرة من (يا جارة الوادى)..

كان يقف طويلاً أمام مقالى (عظماء الدنيا وعظماء الآخرة) ويقول لى : (عشت فى مخى أنى لست من عظماء الآخرة لأنى من عظماء الدنيا..)

الأخلاق هى التى تصل وتقود إلى الصواب وإلى الله لأن الله قال (وإنك لعلى خلق عظيم) ولم يقل (على علم أو فن عظيم..) وذو الخلق يدفع ويحتمل ولذا فقد سميت الآخرة رافعة خافضة..

كان عبد الوهاب (رجلاً مدركًا لعيوبه ومميزاته وبداخله تجد الإنسان المصرى الشرقى المتدين المؤمن..)

كان يطلبنى فى الواحدة بعد منتصف الليل ليناقشنى فى الثواب والعقاب ويبكى بكاء متصلاً.. ويقول المتشددون الآن: (أمال صدام حسين يروح فين)

وهذه أمور ليست من اختصاصنا البت فيها لقد قال سبحانه وتعالى إنه يغفر لمن يشاء بغير حساب وقال (يا أيها الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله) فاليأس من رحمة الله هو الكفر نفسه...

إن الإيجابيات فى شخصية عبد الوهاب أكثر بكثير من السلبيات.. فهو إنسان فيه سماحة ووداعة وخصال طيبة لم أره مرة يغضب أو يشتم أو يظلم.. صبور لديه الجلد وطول البال وقوة التحمل.. بداخله السياسى والدبلوماسى وهى أخلاق العظماء فلو أنه اتجه إلى غير الفن لكان من كبار الساسة فى العالم.. وهو من القلائل الذين جمعوا بين الفن والحكمة..

رحم الله عبد الوهاب وغفر له..

ابن عربى فى مجلس الشعب

ابن عربى فى مجلس الشعب مجلس الشعب هو المتهم وليس ابن عربى كيف يصادر العقل باسم الإسلام .. والإسلام يطرح كل شىء على العقل

مصطفى محمود

أعترف بأننى شعرت بالدهشة والحيرة للقرار الذى اتخذه مجلس الشعب بمصادرة كتاب الفتوحات المكية لابن عربى وتحريم تداوله والتنبيه بجمع نسخه من السوق وساءلت نفسى: ترى هل قرأ أعضاء مجلس الشعب الأفاضل كتاب الفتوحات المكية (وهو من ٣٦ جزءًا) ليحكموا له أو عليه.. أم أنهم قرأوا بعض سطور قدمت إليهم من هنا وهناك..

وهل وجد أحدهم الوقت ليقرأ الأجزاء الستة والثلاثين.. والذى وجد الوقت لقراءتها هل وجد القدرة على فهمها (وقد قرأت من قبلهما ابن عربى فاحتجت إلى عشر سنوات لأفهمه) ولا أنسى ذلك الإحساس الذى غمرنى حينما بدأت أفهم الرجل وحينما بدأت أستشف المعانى من وراء سطوره فشعرت وكأنى أخرج من الظلمة إلى ضوء مبهر.. وقلت لنفسى.. ما أضيع العمر الذى ذهب دون أن أقرأ الفتوحات..

وكلام ابن عربى من قبيل الكلام الخاص الموجه إلى الخاصة وأحيانًا إلى خاصة الخاصة وهو من الكلام المضنون به على غير أهله.

وليس من اختصاص مجلس الشعب الحكم على ابن عربى وإلا

- جريدة الأهرام، بتاريخ ١٩٧٩/٢/٢٧م.

لجاز لهم أيضًا الحكم على كتب آينشتين ومصادرتها لأنها قالت كلامًا من قبيل البدع.. ولجاز لهم أيضًا مصادرة الفلسفة بكل ما جاء فيها لأنها تبدأ من نقطة اللا عقيدة.

أقول إن هذه أمور ليست من اختصاص مجلس الشعب فلا يصلح للحكم على ابن عربى إلا نقاد متخصصون فى مستوى فكر وفلسفة ابن عربى.

ثم إن أغلبية الناخبين الذين انتخبوا أعضاء مجلس الشعب لم ينتخبوهم للإفتاء فى ابن عربى واينشتين وإنما انتخبوهم للنيابة عنهم فى حل مشكلاتهم الحياتية أمثال الماء والنور والإسكان والمواصلات والرواتب والمعاشات والغلاء والتسعيرة إلخ.

ثم إن ابن عربى تراث وليس كاتبًا صحفيًا.. يمنع له فيلم أو يصادر له كتاب وهو هرم موجود لا يمكن تنحيته من مكانه.

وتستطيع أن تختلف معه أو تتفق معه ولكنه سيظل موجودًا وهو تاريخ.. والتاريخ لا يصادر.

ومصادرة ابن عربى سبة وعار ثقافى وحضارى على الذين صادروه والأزهر وهو جهة اختصاص لم يجرؤ على مصادرة ابن عربى.

وقد رأينا الأزهر على النقيض من ذلك يمنح الدكتوراه بدرجة الشرف لباحثين أمثال الدكتور محمد مصطفى قدموا رسالتهم فى ابن عربى وذلك منذ سنوات قليلة مضت وفى عهد رجل مستنير هو الشيخ عبد الحليم محمود رحمه الله.

فما الذى جرى فى بلدنا؟ أنسير إلى الوراء أم إلى الأمام وكيف يصادر العقل باسم الإسلام والإسلام يطرح كل شىء على العقل والقرآن يطالبنا بالنظر العقلى فى كل شىء حتى فى قضايا الإيمان "قل هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين".

والنظر العقلى هو سبيلنا بالرغم من أخطاء العقل وحدوده.. فنحن نعود فنصحح أخطاء العقل بالعقل ولا سبيل لنا غير ذلك ولقد تجمد الدين وتخلف المسلمون وأصبحت الأمم الإسلامية فى ذيل العالم منذ أن نادى المتطرفون بتعطيل العقل.

ثم إن جوهر القضية وهى تهمة "وحدة الوجود" التى اتهموا بها ابن عربى.. هى تهمة باطلة.

والذى يقرأ ابن عربى بشمول وإمعان وبصيرة سوف يبرئ الرجل تمامًا من هذه التهمة فلا اتحاد بين خالق ومخلوق عند ابن عربى ولا يستطيع عبد أن يصبح ربًا.

يقول ابن عربى فى لفظ واضح صريح: كنه وصفا ولا تكنه ذاتًا فعين المحال بادى

أى أنه من المحال أن تكون إلهًا ومن المحال أن تتحد بذات الله.. وإنما كل ما تستطيعه أن تجاهد لتتصف بالصفات والنعوت الربانية فتكون الرحيم الكريم الودود الرءوف الحليم الصبور الشكور وكلها صفات ربانية أسمائية يفيض بها ربنا عليك إذا أنت تأهلت له وتطهرت لها.

إن ابن عربى لا يجعل من الأسماء الحسنى أربابا لهم حكم بذواتهم مثل مجلس أرباب الأولمب.. فذلك إفك وتدليس وافتراء على الرجل هو براء منه وإنما الأسماء الحسنى هى شخوص نورانية آثارها وأحكامها مستمدة من الذات الإلهية.. كما نعمل نحن بالنفحة الإلهية التى أودعها الله فينا.

ونحن نقول إن الطبيب يشفى وأن الله يشفى.. فهل جعلنا الأطباء شركاء لله فى حكمه وهل جعلناهم كأرباب الأولمب أبدا.. فالأطباء يعالجون ويشفون ويشخصون ويعرفون بالنور الذى أودعه الله فيهم ودون الذات الإلهية لا قيومية لشىء ولا قدرة لشىء..

وبدون الذات الإلهية جميع الأسماء الإلهية بلا فعل ولا أثر ولا حيلة ولا وجود ولا غرابة فى القول بأن الأسماء الإلهية شخوص نورانية ألم يقل الله إن المسيح كلمة وأن كل شىء كلمة.. وأنه لو كان البحر مدادًا والأشجار أقلاما ما نفدت كلمات الله..

والفرق بين كلماتنا وكلمات الله فهى شخوص نورانية.. ولكن لا فعل لشخص ولا لشىء ولا لذرة ولا لمجرة إلا بالذات الإلهية.. فالله وحده هو الفعَّال ولكنه يسبب الأسباب ويختار ذواتنا لتكون محلا

لهذه الأسباب يختار الشيطان ليحمل نقمته ويختار محمدا عليه الصلاة والسلام ليحمل رحمته.. فمجال القرب بين العبد والرب هى الصفة الربانية وليست الذات الربانية.. فالذات فى العلو المطلق لا نصيب لأحد فيها ولا شركة لأحد معها فى شىء.

يقول ابن عربى بلسان عربى واضح: وليس إلا الحق لا غيره فعينه الظاهر نعت العبيد، ولا تقل بأنه عينهم بل كما قلته لا تزيد.

أى لا تقل بأن العبد هو عين الرب ولا تقل بأى "وحدة وجود" من هذا النوع.. وإنما مجال النعت والصفة هو مجال اللقاء بين الرب وعباده حيث يتجلى الرب فيهم وفى الدنيا كلها.. فكل أوصاف الجمال منه وكل أوصاف الرحمة منه وكل أوصاف الكرم منه وكل أوصاف الحلم منه هو الظاهر فى كل النعوت وفى جميع الكمالات فنحن لنا نصيب فى نعوته ولكن لا نصيب لنا فى ذاته "أينما تولوا فثم وجه الله" وذلك هو التجلى فى جميل وتلك هى وحدة الشهود الإسلامية وهى غير وحدة الوجود البوذية التى تقول إن الخالق هو عين المخلوق ونحن لا نقول بهذا وإنما نقول إن الله هو الظاهر بأوصافه وأحكامه وأفعاله فى كل شىء تقول هو الظاهر ولا نقول هو المظاهر والفرق كبير جدا بين الكلمتين فالله الظاهر لا نهائى بينما المظاهر التى يتجلى فيها محدودة ولهذا لا تجوز الوحدة بين الاثنين ولا تجوز الوحدة بين اللانهائى والمحدود فالبحر لا يمكن أن يوضع فى فنجان ومع هذا فمياهه تظهر فى الفنجان وهى من عين المياه التى فى البحر وذلك هو التجلى وليس وحدة الوجود.

وهذا ما يقوله ابن عربى ويؤكده فى الستة والثلاثين جزءا من الفتوحات المكية ومن فهم غير ذلك.. فليس الذنب ذنب ابن عربى وليست هذه قضية تطرح على مجلس الشعب.. وإنما هى قضية تطرح للتأمل الهادئ فى ساعات الخلوة والصفاء..

وكتاب الفتوحات لا يقرؤه إلا قلة ولا يفهمه إلا آحاد وجملة المطبوع من كل جزء لا يزيد على ثلاثة آلاف نسخة فلماذا يثور

أعضاء مجلس الشعب الكرام على ثلاثة آلاف نسخة من كتاب لا يفهمه أحد ويسكتون عن كتب لينين التى تطبع وتوزع بالملايين وعلى الكتب الجنسية المكدسة على الأرصفة وعلى مجلات البلاى بوى التى توزع فى البوتيكات لماذا لا يثور الأعضاء الأفاضل على الأغنيات الهابطة والنكات المبتذلة والهزليات.. التافهة التى تهبط بمشاهديها إلى الحضيض.

إننى أطلب إعادة طرح الموضوع على مجلس الشعب لإعادة النظر وسحب قرار المصادرة.. فهو وصمة ونقطة سوداء فى مضبطة المجلس .

إن فلك الشمس يزهو ويفخر بأن أحد كواكبه أنجب هذا المفكر المتألق.. وأنه قد مشى على هذه الأرض ذات يوم أديب وشاعر وفيلسوف وصوفى عملاق أضاء كالفرقد وما يزال.. اسمه ابن عربى ومن لم يفهم الرجل فعلى نفسه يبكى.

وصدق الزميل الذى كتب فى هذه الصفحة قائلاً إننا لو كنا طاوعنا المتطرفين من كل عصر لما بقى عندنا قرآن ولا سنة فقد رفضوا فى عهد عثمان بن عفان تدوين القرآن وجمعه كما رفضوا فيما بعد تدوين الأحاديث النبوية.. وقالوا هى بدعة لم نسمعها عن رسول الله .. وحقيقة القول إن المتطرفين من جميع الملل هم فى الواقع بلا ملة سوى ملة نفوسهم.

لمحات من فكر وحياة المفكر السودانى الذى أُعدم "محمود محمد طه"

بينى وبين الدكتور الفاضل مصطفى محمود

السؤال الأول:

هل يمتلك الدكتور مصطفى محمود مؤهلات المفسر العصرى للقرآن؟

الجواب:

مؤهلات المفسر العصرى للقرآن تقوم على أمرين: أن يكون المفسر ملمًا إلمامًا صالحًا بحاجة العصر.. وأن يكون عالمًا، علما وافيا، ودقيقا، بحقيقة القرآن.. فأما حاجة العصر فإلى الهداية.. فإن البشرية لم تكن، يوما، فى التيه، كما هى اليوم.. وسمة هذا العصر هى القلق، والحيرة، والاضطراب.. هذا عصر الثورات: الثورة الثقافية، والثورة الجنسية، وثورة الشباب، وكلها دليل على القلق، والحيرة، والاضطراب.. هذا عصر (الهيبز).. جماعات من الشباب، من الجنسين، يزيد عددهم كل يوم، ويستطير شرهم، كل يوم، حتى عم جميع الأقطار.. يقوم مجتمعهم على الرفض، فهم قد وجدوا مجتمع الحضارة الغربية الآلية مجتمع إنتاج، واستهلاك، فقد فيه الإنسان المعاصر روحه، وقيمته، وحريته، واستحال إلى آلة، تنتج، وتستهلك، فرفضوه، ورفضوا معه كل عرف، ودين.. فزعوا إلى صور من مجتمعات

- أسئلة طرحتها مجلة الأضواء السودانية على محمود محمد طه

الغابة فهم يلبسون المرقعات، ويسيرون حفاة، ويرسلون شعورهم، ويبيتون على الأرصفة، وفى الطرقات، ويستبيحون بينهم من العلائق الجنسية ما ظلت البشرية على صيانته حريصة، خلال تاريخها الطويل.. هم يبحثون عن حريتهم، وعن إنسانيتهم، وعن فرديتهم، فلا يجدون غير الضياع، وغير القلق، والاضطراب.. فهل عند مصطفى محمود إدراك واسع لهذه الظاهرة، واهتمام بها، وسعى لإيجاد الهداية لها، من القرآن، بتفسيره العصرى؟

ثم حقيقة القرآن ما هى؟ هى العلم المطلق.. وعندما تأذن الله أن يسرع الإنسان فى معرفة المطلق نزله من الإطلاق إلى القيد، فكانت فى قمة القيد الإشارة، وفى قاعدة القيد العبارة.. فأما العبارة فهى: (الكلمة العربية).. وأما الإشارة فهى (حرف الهجاء العربى) وأما حقيقة القرآن فهى فوق الإشارة، وفوق العبارة.. ثم قال تعالى فى ذلك: (حم × والكتاب المبين × إنا جعلناه قرآنا، عربيا، لعلكم تعقلون × وإنه، فى أم الكتاب لدينا، لعلى حكيم) فقوله (حم) إشارة.. وقوله (والكتاب المبين) عبارة.. وقوله: (إنا جعلناه قرآنا عربيا لعلكم تعقلون) عبارة تعطى العلة وراء تقييد المطلق.. وقوله: (وإنه، فى أم الكتاب لدينا، لعلى حكيم) عبارة تحكى، بقدر طاقة العبارة، عن حقيقة القرآن..

وحقيقة القرآن لا تعرف عن طريق القراءة وإنما تعرف عن طريق الممارسة فى تقليد المعصوم، عبادة، وسلوكا، وهو ما سمى، فى آخريات الأيام، بالتصوف.. فهل عند مصطفى محمود قدم فى التصوف؟ لا ولا كرامة.

إن ما أسماه الدكتور مصطفى محمود تفسير عصرى للقرآن ليس بتفسير، على الإطلاق، وإنما هو خواطر.. ولو كان للدكتور الفاضل قدم فى التصوف لمنعه الورع أن يخوض فيما خاض فيه، من أمر الدين، بهذه الخواطر الخطيرة..

ومهما يكن من الأمر، فإن البشرية اليوم لا تحتاج إلى تفسير للقرآن، وإنما تحتاج إلى (تأويله).. وليس ههنا مجال الخوض فى هذا الأمر، وإنما موعدنا، مع القراء الكرام، كتاب، هو الآن تحت الإعداد، فى الرد على محاولة الدكتور مصطفى محمود لما أسماه

بتفسير عصرى للقرآن..

السؤال الثانى:

التشابه بين الدكتور مصطفى محمود والتفسير المسيحى للكتب المقدسة؟

الجواب:

كان الكتاب المقدس محتكرا فى القرون الوسطى لا يطلع عليه غير رجال الدين، حتى كانت ثورة مارتن لوثر، فى القرن السادس عشر الميلادى، فكسرت الاحتكار، وأحدثت ثورة فى الكنيسة، وأشاعت الكتاب بين عامة المسيحيين، ثم جاءت بتفاسير ثورية، متطرفة، خرجت على التقليد الذى درجت عليه الكنيسة فى روما، وأخرجت للناس المذهب البروتستانتى المعروف.. ومن يومئذ بدأت الثورة تستطير، والفرق، والمذاهب، تظهر، والرأى التقليدى فى الدين المسيحى يناجز، وسلطة البابا تتحدى، إلى يومنا هذا، حتى تعرضت الكنيسة، على عهد البابا بولس السادس، لأعنف ما تعرضت له فى تاريخها الطويل، من الاختلاف.. هذا هو وجه التشابه بين مصطفى محمود، والتفسير المسيحى للكتب المقدسة، على حد تعبير سؤالك، وهو تشابه بعيد، ولكنه يقارب بعضه فى اعتبار أن الفهم الدينى، عند من يسمون أنفسهم رجال الدين، عندما يجمد، ويتخلف، وينشر الإرهاب الفكرى، يحمى به جموده وتخلفه، يدفع إلى ثورة طائشة فى الفكر، والعمل.. إن تفسير الدكتور مصطفى محمود يمثل ثورة على جمود الفكر الدينى، وبداية لكسر احتكار من يسمون أنفسهم رجال الدين عندنا للدين.. هذا هو التشابه..

السؤال الثالث:

هل تأتيان، أنت ومصطفى محمود، فى موضوع التفسير بجديد، أم أن الأمر هو عملية إجلاء لوجه كان من قبل مخفيا؟ وهل ثمة علاقة تاريخية بين التجديد فى دعوتك؟ وبين الدعوة المسيحية فى عهود الإصلاح؟

الجواب:

للبدء فى الإجابة عن صدر هذا السؤال أبادر فأقرر أنه ليس

هناك شبه بينى وبين مصطفى محمود، لا من قريب ولا من بعيد.. ولو كنت مكانه ما كتبت عن الدين، ولا تورطت فى هلكة مثل الذى تورط.. ولمواصلة الرد على صدر هذا السؤال أقرر أيضا أن ما جئت به هو فهم جديد لأمر قديم، أو قل، إن شئت، هو عملية إجلاء لوجه كان من قبل خفيا ، أو كان مخفيا على حد تعبيرك .. وهذا الوجه الذى كان من قبل مخفيا هو القرآن، فإنه هو الكنز المخفى، وهو لا يزال بكرا لم يفض الأوائل منه غير ختم الغلاف.. وهذا هو التفسير، وما جئت به يتعدى التفسير إلى التأويل، وذلك أمر سترد معالجته فى الكتاب الذى أعده الآن للرد على الدكتور مصطفى محمود..

وللإجابة عن عجز السؤال أبادر فأقرر أن العلاقة التاريخية موجودة، ولكنها لا تتعدى العلاقة التى تنتظم تاريخ تطور الفكر البشرى، حين يتسامى، للفهم الجديد، كل عهد جديد.. وأما العلاقة التاريخية، بمعنى التشابه فى المبنى، أو فى المعنى، فإنها تكاد تكون منقطعة تماما.

إن ما جئت به هو من الجدة بحيث أصبحت به بين أهلى كالغريب وبحسبك أن تعلم أن ما أدعو إليه هو نقطة التقاء الأديان جميعها، حيث تنتهى العقيدة ويبدأ العلم، وتلك نقطة يدخل منها الإنسان عهد إنسانيته، وللمرة الأولى فى تاريخه الطويل.

- محمود محمد طه مفكر سودانى (١٩٠٩ - ١٩٨٥) أعدم بتهمة الردة، وأيد جعفر نميرى رئيس السودان الأسبق الحكم بإعدامه، ونفذ صباح الجمعة ١٨ من يناير عام ١٩٨٥، وكان الحكم قد أصدرته محكمة صورية، رفض محمود محمد طه التعاون مع تلك المحكمة، الذى سبق له أن رفض قوانين سبتمبر عام ١٩٨٣ المسماة بقوانين الشريعة الإسلامية.

ومن أشهر كتبه: طريق محمد، رسالة الصلاة، الرسالة الثانية من الإسلام، التحدى الذى يواجه العرب، مشكلة الشرق الأوسط، تطوير شريعة الأحوال الشخصية، الإسلام ، قل هذه سبيلى.

مصطفى محمود

مصطفى محمود مفكر وكاتب وطبيب وأديب وفنان مصرى من مواليد شبين الكوم ـ المنوفية مصر ١٩٢١ ميلادية) توفى والده عام ١٩٣٩ميلادية بعد سنوات من الشلل، درس الطب وتخرج عام ١٩٥٣ ميلادية ولكنه تفرغ للكتابة والبحث عام ١٩٦٠ ميلادية تزوج عام ١٩٦١ ميلادية وانتهى الزواج بالطلاق عام ١٩٧٣ ميلادية وله منه ولدان "أمل" و"أدهم". وتزوج ثانية عام ١٩٨٣ ميلادية وانتهى هذا الزواج أيضا بالطلاق ١٩٨٧ميلادية

وقد ألف ٨٩ كتابا تتراوح بين القصة والرواية الصغيرة إلى الكتب العلمية والفلسفية والاجتماعية والسياسية إضافة إلى الفكر الدينى والتصوف ومرورا بأدب الرحلات، ويمتاز أسلوبه بالقوة والجاذبية والبساطة ويشد القارئ له.

وقدم ٤٠٠ حلقة من برنامجه التليفزيونى الشهير (العلم والإيمان) وقام الدكتور مصطفى محمود بإنشاء مسجد فى القاهرة باسمه هو "مسجد مصطفى محمود" عام ١٩٧٩ ميلادية وتتبع له "جمعية مسجد محمود" والتى تضم "مستشفى محمود" و"مركز محمود للعيون" ومراكز طبية أخرى إضافة إلى مكتبة ومتحف للجيولوجيا وآخر للأحياء المائية ومركز فلكى.

تاريخه الفكرى

المفكر د. مصطفى محمود.. عندما نبحر فى عالم مصطفى

محمود: تتلاقى أمواج كثيرة من الفكر والأدب، والفلسفة والتصوف، والعلم؛ فهو رجل شغل الناس بأفكاره وآرائه التى ظهرت من خلال ٨٤ كتابًا، تتراوح بين القصة والرواية والمسرحية، والمؤلفات العلمية، والفلسفية والاجتماعية، والسياسية، وأدب الرحلات، فضلاً عن آلاف المقالات بالجرائد والمجلات المختلفة، و٤٠٠ حلقة من برنامَجه التليفزيونى الشهير "العلم والإيمان".

قال عنه الشاعر الراحل "كامل الشناوى": «إذا كان مصطفى محمود قد ألحد فهو يلحد على سجادة الصلاة، كان يتصور أن العلم يمكن أن يجيب عن كل شىء، وعندما خاب ظنه مع العلم أخذ يبحث فى الأديان بدءا من الديانات الأرضية مثل الزرادشتية والبوذية ثم انتقل إلى الأديان السماوية، ولم يجد فى النهاية سوى القرآن الكريم».

الصحافة لا الطب

هو مصطفى كمال محمود حسين آل محفوظ، من الأشراف، ينتهى نسبه إلى علىّ زين العابدين - ولد عام ١٩٢١، وكان توءما لأخ توفى فى العام نفسه، وعاش مصطفى فى مدينة طنطا فى جوار مسجد "السيد البدوى" الشهير الذى يعد أحد مزارات الصوفية الشهيرة فى مصر؛ ولعل هذا ما جعل التصوف يترك عليه مسحة امتدت معه طوال حياته. بدأ حياته متفوقًا فى الدراسة، حتى ضربه مدرسٌ للغة العربية؛ فاكتأب ورفض الذهاب إلى المدرسة ثلاث سنوات، وما إن رحل ذلك المدرس عن مدرسته، حتى عاد مصطفى وبدأت تظهر موهبته وتفوقه وحبه للعلم! وفى منزل والده أنشأ معملاً صغيرًا، أخذ يصنع فيه الصابون والمبيدات الحشرية ليقتل بها الصراصير، ثم يقوم بتشريحها، وفيما بعد - حين التحق بكلية الطب - اشتهر بـ "المشرحجى"، نظرًا لوقوفه طول اليوم أمام أجساد الموتى، طارحًا التساؤلات حول سر الحياة والموت وما بعدهما.

- المصدر: ويكيبيديا - الموسوعة الحرّة - بتصرُّف وإعادة صياغة

مصطفى محمود فى المرصد

تخرج مصطفى محمود فى كلية الطب متفوقًا، وعلى الرغم من احترافه الطب متخصصًا فى جراحة المخ والأعصاب، فإنه كان نابغًا فى الأدب منذ كان طالبًا، وكانت تنشر له القصص القصيرة فى مجلة "روزاليوسف"، وقد عمل بها لفترة عقب تخرجه، مما دفعه لاحتراف الكتابة، وعندما أصدر الرئيس عبد الناصر قرارًا بمنع الجمع بين وظيفتين، كان مصطفى محمود وقتها يجمع بين عضوية نقابتى الأطباء والصحفيين، ولذا قرر الاستغناء عن عضوية نقابة الأطباء، وحرمان نفسه من ممارسة المهنة إلى الأبد، مفضلا الانتماء إلى نقابة الصحفيين، والعمل كأديب ومفكر.

وعندما سئل ماذا يملك الطبيب من إمكانات تشجعه على أن يكون أديبًا وفنانًا؟ أجاب بأن «للطب علاقة وثيقة بالحياة وأسرارها وخفاياها، فالطبيب هو الوحيد الذى يحضر لحظة الميلاد ولحظة الموت، وهو الذى يضع يده على القلب ويعرف أسرار نبضه، وكل الناس يخلعون ثيابهم وأسرارهم، بين يدى الطبيب، فهو الوحيد الذى يباشر الحياة عارية من جميع أقنعتها، وبما أن الطب علم، والأدب علم، فالتكامل فى الحياة البشرية قضى بأنه لا غنى لأحدهما عن الآخر، يعنى الطب والأدب، وكذلك الطبيب والأديب.

ثلاثون عاما من الغرق

فى عنفوان شبابه كان تيار المادية هو السائد، وكان المثقفون يرفضون الغيبيات، فكان من الطبيعى أن يتأثر مصطفى محمود بما حوله، ولذلك كما يقول فى أحد كتبه: «احتاج الأمر إلى ثلاثين سنة من الغرق فى الكتب، وآلاف الليالى من الخلوة والتأمل مع النفس، وتقليب الفكر على كل وجه لأقطع الطرق الشائكة، من الله والإنسان إلى لغز الحياة والموت، إلى ما أكتب اليوم على درب اليقين». وبالرغم من اعتقاد الكثيرين بأن مصطفى محمود أنكر وجود الله عز وجل، فإن المشكلة الفلسفية

الحقيقية التى كان يبحث عنها هى مشكلة الدين والحضارة، أو العلم والإيمان، وما بينهما من صراع متبادل أو تجاذب: ففى كتابه "رحلتى من الشك إلى الإيمان" ترجم لحياته الروحية قائلاً: إن زهوى بعقلى الذى بدأ يتفتح، وإعجابى بموهبة الكلام ومقارنة الحجج التى تفردت بها، كان هو الحافز، وليس البحث عن الحقيقة ولا كشف الصواب، لقد رفضت عبادة الله لأنى استغرقت فى عبادة نفسى، وأعجبت بومضة النور التى بدأت تومض فى فكرى مع انفتاح الوعى وبداية الصحوة من مهد الطفولة». وقد اقترب مصطفى محمود فى ذلك من الإمام الغزالى وما ذهب إليه فى كتابه "المنقذ من الضلال"، إذ يقول فيه: «كان التعطش إلى إدراك حقائق الأمور دأبى وديدنى، من أول أمرى وريعان عمرى، غريزة وفطرة من الله وُضعتا فى جبلتى، لا باختيارى وحيلتى، حتى انحلت عنى رابطة التقليد، وانكسرت علىّ العقائد الموروثة على قرب عهد الصبا».

هاتف اليقين

ومع هذا العقل العلمى المادى البحت بدأت رحلة مصطفى محمود فى عالم العقيدة. وعلى الرغم من هذه الأرضية المادية التى انطلق منها: فإنه لم يستطع أن ينفى وجود القوة الإلهية، فيقول «تصورت أن الله هو الطاقة الباطنة فى الكون، التى تنظمه فى منظومات جميلة، من أحياء وجمادات وأراض وسماوات، هو الحركة التى كشفها العلم فى الذرة وفى الـ"برٌوتوبلازم" وفى الأفلاك، هو الحيوية الخالقة الباطنة فى كل شىء». وكما حدثنا الغزالى عن الأشهر الستة التى قضاها مريضاً يعانى آلام الشك، حتى هتف به هاتف باطنى أعاده إلى يقين الحقيقة العقلية، وكشف له بهاء الحرية الروحية، ومكنه من معرفة الله؛ نجد مصطفى محمود يتحدث عن صوت الفطرة الذى حرره من سطوة العلم، وأعفاه من عناء الجدل، وقاده إلى معرفة الله، وكان ذلك بعد أن تعلم، فى كتب الطب أن النظرة العلمية هى الأساس الذى لا أساس سواه، وأن الغيب لا حساب له فى الحكم العلمى، وأن العلم

ذاته هو عملية جمع شواهد واستخراج قوانين.

فى فترة الشباب

وهكذا كانت رحلته من الشك إلى اليقين تمهيدًا لفض الاشتباك بين العلم والإيمان، وذلك عن طريق علوّ الإنسان بالمادة إلى ما هو أبعد أفقا وأرحب مدىً. ويبدو أن هذا الأمر وراء أن يوقف جزءا كبيرا من حياته فى مشروع واحد اسمه "العلم والإيمان"، سرد مراحل هذا المشروع من خلال ثمانية كتب، وحينما جاءته فكرة البرنامج كان تنفيذها على أرض الواقع غاية فى الصعوبة، فقد عرضها على التليفزيون المصرى فاعتمدوا له ثلاثين جنيها مصريًا فقط للحلقة الواحدة! فى حين أن البرنامج كان يستلزم السفر إلى الخارج ومتابعة آخر البحوث، ولذا بدأ اليأس يتسرب إلى نفسه، حتى قابل رجل أعمال شهيرا، فحدثه فى أمر البرنامج، فإذا به يخرج دفتر الشيكات، قائلا له: "لن أناقشك فى النفقات، ولكن المهم خروج هذا العمل العلمى والدينى إلى النور". ولاقى البرنامج نجاحًا كبيرًا، واجتذب جماهير كثيرة نظرًا لأسلوبه الذى جذب به قلوب وعقول البسطاء قبل العلماء، ولكن على الرغم من ذلك النجاح، فوجئ الدكتور محمود - بعد سنوات - بإبعاد هذا البرنامج الجماهيرى عن خريطة التليفزيون المصرى دون إبداء الأسباب. سار مصطفى محمود على درب المفكر والأديب عباس محمود العقاد ليؤكد أن الإسلام منهج ليس من فكره الصراعُ الطبقى، بل يهدف إلى التوازن بين الفرد والمجموع، وليس إلى تذويب الأفراد فى المجموع كما فى الاشتراكية، ولا إلى التضحية بالمجموع لصالح قلة من الأفراد كما فى الفكر الرأسمالى. وأوضح أن الأيديولوجية الإسلامية تعمل على إشباع الحاجات الروحية للإنسان، وليس المادية فقط، فالمسلم حينما يتصدق أو يزكى فهو يتعامل مع الله، لما أخبرنا به الرسول صلى الله عليه وسلم من أن الصدقة تقع فى يد الله قبل أن تقع فى يد المحروم، وهذا - عند مصطفى محمود - ما يعطى للمنهج الإسلامى خصوصية وسموًا فى الهدف، إذ يشعر المسلم برقابة من الله

ورقابة من الضمير، وعلى ذلك فالصبغة الروحية للنشاط الاقتصادى شرط من شروط الإسلام، فليس فى الإسلام انفصال بين ما هو روحى وما هو مادى.

تصوير الأفكار

انطلاقًا من بحثه عن الحقيقة وإشباعا لشغفه بالنفس الإنسانية وبحثه عن المجهول، تميز مصطفى محمود بفن قصصى خاص، فبإمكاناته الفنية جمع بين إحساس الأديب وإدراك الفيلسوف ومزج هذين البعدين بأسلوب عصرى فيه عمق الفكرة ودفء العبارة، فيه البصر الذى يوحى بالبصيرة، والمادى الذى يؤدى إلى المعنوى، والعبارة التى تلتقى بالرؤية كأروع ما يكون اللقاء، وكما وصفه جلال العشرى فى كتابه "مصطفى محمود شاهد على عصره" فهو «يتعاطى الأشياء بعقله، ثم يعيها بوجدانه ثم يجسدها بقلمه، فإذا هى مسرحية أو رواية أو قصة قصيرة، فإذا هى قطعة من الواقع وشريحة من الحياة، أو هى بنية حية فيها دسم الواقع ونبض الحياة، فنه القصصى غير قابل للتمذهب، استطاع أن يفلسف حياته ويحيا فلسفته، وأن يتخذ من أزماته النفسية الحادة وزلازله الباطنية العنيفة وتجاربه الحية وخبراته الوجدانية مادة لأدبه». حملت رواياته كثيرًا من التناقضات، لكنه التناقض الحىّ الذى يعبر عن تلك العملية الروحية الشاقة التى يبذلها الفنان لاستجلاء معنى الوجود، فلم يتجه فى قصصه إلى تصوير نماذج كلاسيكية من الشخصيات، وإنما اتجه إلى تصوير أفكار فى مواقف تحس وتتحرك وتتطور من نفسها، فالشخصيات عنده وعاء للفكرة والقضية. والسؤال المحورى فى قصصه القصيرة هو مشكلة تعالى الإنسان على ذاته وعلى ذوات الآخرين، أما فى رواياته فكان المشكل هو: إلى أين يريد الإنسان أن يصل؟ وألاَّ يؤدى هذا العلوّ على كل شىء إلى اللاشىء؟ وما المستحيلات التى لابد أن

يواجهها؟ وهذه المستحيلات عنده هى: الإنسان، المجتمع، الزمن، التاريخ، وروح العصر. ويبرز ذلك الفكر فى رواياته: "المستحيل" و"الأفيون" و"العنكبوت" و"الخروج من التابوت" و"رجل تحت الصفر"، ذلك هو المنهج الفلسفى الذى بنى رواياته عليه، أما واقعية رواياته فهى المادة الحية التى يغترف منها أحداثه وشخصياته، إنه الواقع الأوسع أفقاً، الذى يمتد ليشمل كل معانى الحياة التى هى أشمل من المجتمع.

معارك فكرية

دخل مصطفى محمود فى حياته عدة معارك، ووجهت إليه عدة اتهامات، أهمها:

اتهام منتقديه له بأن مواقفه السياسية متضاربة، تصل إلى حد التناقض فى بعض المواقف، إلا أنه لا يرى ذلك، ويؤكد أنه ليس فى موضع اتهام، وأنَّ اعترافه بأنه كان على غير صواب فى بعض مراحل حياته هو ضرب من ضروب الشجاعة والقدرة على نقد الذات، وهذا شىء يفتقر إليه الكثيرون ممن يصابون بالجحود والغرور، مما يصل بهم إلى عدم القدرة على مواجهة أنفسهم والاعتراف بأخطائهم.

اتهامه بالكفر فى نهاية الستينيات بعد سلسلة من المقالات، وصدور كتابه "الله والإنسان" الذى تمت مصادرته وتقديمه بعدها للمحاكمة التى طلبها الرئيس جمال عبد الناصر بنفسه، بناءً على تصريح الأزهر، باعتبارها قضية كفر، وقد اكتفت لجنة المحاكمة وقتها بمصادرة الكتاب دون حيثيات، وإن كان الأمر انعكس فى عهد الرئيس أنور السادات، فقد أبلغه إعجابه بالكتاب، وطلب منه طبعه مرة أخرى، ولكنه استبدل به كتاب "حوار مع صديقى الملحد"، لتتوطد بعدها علاقته بالرئيس السادات وتدوم حتى وفاة الرئيس، وعندما طلبه السادات ليكلفه بمهام وزارة من الوزارات اعتذر قائلاً: "أنا فشلت فى إدارة أصغر مؤسسة وهى زواجى، فقد كنت مطلقاً لمرتين، فأنا أرفض السلطة بكل أشكالها".

اشتهر بهجومه المتواصل على الصهيونية، ورأيه بأن اليهود وراء هذه الشبكة الأخطبوطية للفساد والإفساد فى العالم كله، مما تسبب فى لزوم حارس بباب منزله منذ سنوات، بتكليف من وزارة الداخلية، لحراسته بعد التهديدات التى تلقاها، أو لعزله عن الحياة العامة كما رأى البعض.

نشر فى مقالاته أفكارًا كثيرة كانت مثار جدل بين المثقفين، كدعوته إلى علم النفس القرآنى، ويقصد به محاولة فهم النفس فهمًا جديدًا مؤسسًا على القرآن والسنة، وهى بمثابة محاولة للخروج بعلم نفس إسلامى جديد، ومثل تنبؤه بسقوط الحضارة الغربية وانهيار الرأسمالية وتوابعها دون أن يطلق المسلمون رصاصة واحدة، بسبب الترف والتخمة وعبادة الشهوات والغرق فى الملذات، كحضارات كثيرة ذكرها لنا التاريخ.

وتأتى الأزمة الشهيرة المعروفة باسم "أزمة كتاب الشفاعة" والتى وقعت عام ٢٠٠٠م لتثير الكثير من الجدل حوله وحول أفكاره، وتتلخص فكرة الكتاب فى أن الشفاعة التى سوف يشفع بها رسول الله علية الصلاة والسلام لأمته، لا يمكن أن تكون على الصورة التى نعتقدها نحن المسلمين، ويروِّج لها علماء وفقهاء الشريعة والحديث.

إذ الشفاعة بهذه الصورة تمثل دعوة صريحة للتواكل الممقوت شرعًا، وتدفع المسلمين إلى الركون إلى وهم حصانة الشفاعة، التى ستتحقق لنا لمجرد الانتساب إلى رسول الله صلوات الله وسلامه عليه. وعليه ظهر مصطفى محمود وكأنه منكر لوجود الشفاعة من أساسها، وانفجرت الثورة فى وجهه من جميع الاتجاهات، وكثرت الردود على كتابه، حتى تجاوزت أربعة عشر كتابًا أهمها كتاب الدكتور محمد فؤاد شاكر، أستاذ الشريعة الإسلامية بجامعة عين شمس، وقد رد على إنكار الشفاعة ردًا مفحمًا وقاسيًا للغاية. وحاول مصطفى محمود الصمود والانتصار لفكره، خصوصًا أنه لم يكن يقصد إساءة للدين الذى قضى جل عمره

حـامـلاً راية الدفـاع عنه، ودافع عن تصـرفـه بحـرية الفـكر والرد والاعتراف بالخطأ، إلا أن هذه الأزمـة مع كبر سنه وضعف صحته أدت إلى اعتزاله الحيـاة الاجتماعية، فامتنع عن الكتابة إلا من مقـالات بسيطة فى مجلة الشبـاب، وجريدة الأخبـار. ثم أصيب عـام ٢٠٠٢ بجلطة فى المخ أثرت على الحـركـة والكلام، ولكن مع العـلاج تحسنت حالته الصحية، واستعاد القدرة على الحركة والنطق مرة أخرى، واستمر فى عزلته مع رفيقه الوحيد: الكتاب. وفى أحد حواراته اعتبر حياته هجرة مستمرة نحو إدراك الحياة والبـحث عن الحـقيقـة، وكل كتاب قـام بتـأليفه هو محطة على طريق هـذا السـفـر الطويل، وعلى الرغم من ذلك فـهـو - على حـد تعبيره - مـازال فى بداية الطريق، وكل مـا كتبـه يعد فـى نظره بعيدا جداً عن أحلامه، وبالتالى ابتعاده عن الحياة الاجتماعية لا يعنى أنه أنجـز المهمـة، ولكنه يعتـرف بالضـعف البـشـرى. كـان مصطفى محمود يحتفظ لنفسه بجدول صارم فى حياته، قائم على الزهـد فى الحيـاة والتـأمل فيهـا، وهو دائمـا يقـرأ كل شىء سواء أكان تفسيرا أم نقدا ولا يلفت نظره اسم الكاتب فالمهم عنده موضوع الكتاب، حياته كلها كانت قراءة لدرجة أن ابنته "أمل" تقول إنهم كانوا يظنون أنه غير موجود فى المنزل بسبب اعتكافه على الكتب بالسـاعات، وازداد حبه للقراءة بعدما اعتزل التأليف بكل أنواعه، وكان لا يشاهد التليفزيون إلا لمتابعة الأخبـار، وأصبحت عبـارة "شىء مؤسف" تعليقه الوحيد على معظم مـا يراه، وكان مـيّالا إلى العزلة ويعترف بأنه فقد ملكة الابتكار.

خادم كلمة التوحيد

فى عام ١٩٧٩ بنى مسجده الشهير "مسجد مصطفى محمود" فى منطقة المهندسين بالجيزة، تحديداً فى منتصف شارع جامعة الدول العربية، والمسجد من الحجم المتوسط من حيث المساحة، وقـد اكتسب أهـميتـه من كم التبـرعـات المالية والعينية التى يقدمها للفقراء ويضم مراكز طبية ومستشفى يهتم بعلاج ذوى

الدخل المحدود ويقصدها الكثير من أبناء مصر نظرا لسمعتها الطبية الجيدة، وشكل قوافل طبية للرحمة، وبالمركز مراصد فلكية، ومتحف للجيولوجيا، ويضم أساتذةً يعطون دروسًا فى الفلك، الأساس فيها النظر والتفكر فى السماء والأرض كجزء من العبادة. ويضم المتحف مجموعة من الصخور الجرانيتية، والفراشات المحنطة بأشكالها المتنوعة وبعض الكائنات البحرية. وتقدم العيادة الملحقة بالمسجد خدمات طبية فى متناول الجميع وعلى درجة عالية من الكفاءة، وكذا مشروع الإطعام الخيرى المسمّى "مائدة الرحمن" والتى تقدم الطعام إلى عابرى السبيل والفقراء فى شهر رمضان من كل عام.

وقد كتب الدكتور مصطفى محمود بعد فشل زواجه الثانى مقالا شهيرا يستشهد هو به دائما يلخص فيه رؤيته للحياة يقول: «قررت بعد الفشل الثانى أن أعطى نفسى لرسالتى وهدفى كداعية إسلامى ومؤلف وكاتب وأديب ومفكر. وقد اقتنعت تماما بأن هذا قدرى، ورضيت به. ومنذ هذا الحين وأنا أعيش فى جناح صغير بمسجدى بالمركز الإسلامى. أغرق وحدتى فى العمل وتعودت أن أعطى ظهرى لكل حقد أو حسد ولا أضيِّع وقتى فى الاشتباك مع هذه الأشياء وأفضِّل أن أتجنبها وأتجنب أصحابها حتى لا أبدد طاقتى فيما لا جدوى وراءه.. انتصاراتى على نفسى هى أهم انتصارات فى حياتى.. وكانت دائما بفضل الله وبالقوة التى أمدنى بها وبالبصيرة والنور الذى نور به طريقى». وبعد رحلة العمر استطاع مصطفى محمود تحديد هويته أخيرًا، إذ يقول: «.. ولو سئلت بعد هذا المشوار الطويل من أكون؟ هل أنا الأديب القصاص أو المسرحى أوالفنان أو الطبيب؟ لقلت: كل ما أريده أن أكون مجرد خادم لكلمة لا إله إلا الله، وأن أكون بحياتى وبعلمى دالاً على الخير».

ومن أهم كتبه :

مجموعات المؤلفات الكاملة

١- الله والإنسان

مجموعة مقالات كتبت فى صيف ١٩٥٥ .

٢- أكل عيش

مجموعة قصص قصيرة كتبت بين ١٩٥٢ ـ ١٩٥٤ .

٣- عنبر ٧

مجموعة قصص كتبت بين ١٩٥٥ ـ ١٩٥٧ .

٤- شلة الأنس

مجموعة قصص كتبت بين ١٩٦٢ ـ ١٩٦٤ .

٥- رائحة الدم

مجموعة قصص قصيرة كتبت بين ١٩٦٥ ـ ١٩٦٦ .

٦- إبليس

دراسة كتبت فى عام ١٩٥٧ ـ ١٩٥٨ .

٧- لغز الموت

دراسة كتبت فى عام ١٩٥٨ ـ ١٩٥٩ .

٨- لغز الحياة

دراسة كتبت فى عام ١٩٦٧ .

٩- الأحلام

دراسة كتبت فى عام ١٩٦١ .

١٠- أينشتين والنسبية

دراسة كتبت فى عام ١٩٦١ .
١١- فى الحب والحياة
مجموعة مقالات كتبت بين ١٩٦١ ـ ١٩٦٦ .
١٢- يوميات نص الليل
مجموعة مقالات كتبت بين ١٩٦١ ـ ١٩٦٦ .
١٣- المستحيل
رواية كتبت فى عام ١٩٦٠ .
١٤- الأفيون
رواية كتبت فى عام ١٩٦٤ .
١٥- العنكبوت
رواية كتبت فى أوائل عام ١٩٦٥ .
١٦- الخروج من التابوت
رواية كتبت فى أوائل عام ١٩٦٥
١٧- رجل تحت الصفر
رواية كتبت فى عام ١٩٦٦ .
١٨- الإسكندر الأكبر
مسرحية كتبت فى صيف ١٩٦٣ .
١٩- الزلزال
مسرحية كتبت فى صيف ١٩٦٣ .
٢٠- الإنسان والظل
مسرحية كتبت فى عام ١٩٦٤ .
٢١- غوما
مسرحية كتبت فى شتاء ١٩٦٨ .
٢٢- الشيطان يسكن فى بيتنا
مسرحية كتبت فى أبريل ١٩٧٣ .
٢٣- الغابة
رحلة إلى أفريقيا الاستوائية كتبت فى أكتوبر ١٩٦٣ .
٢٤- مغامرة فى الصحراء
رحلة إلى الصحراء الكبرى فى صيف ١٩٦٩ .

٢٥- المدينة (أو حكايات مسافر)
مجموعة سفريات إلى أوروبا بين ١٩٥٦ ـ ١٩٦٨ .
٢٦- اعترفوا لى
مختارات من رسائل القراء بين ١٩٥٦ ـ ١٩٥٩ .
٢٧- ٥٥ مشكلة حب
مختارات من رسائل القراء بين ١٩٦٠ ـ ١٩٦٦ .
٢٨- اعترافات عشاق
مختارات من رسائل القراء بين ١٩٥٦ ـ ١٩٦٦ .
٢٩- القرآن محاولة لفهم عصرى
دراسة كتبت فى شتاء ١٩٦٩ .
٣٠- رحلتى من الشك إلى الإيمان
دراسة كتبت فى عام ١٩٧٠ .
٣١- الطريق إلى الكعبة
رحلة حج كتبت فى عام ١٩٧١ .
٣٢- الله
دراسة كتبت فى أوائل ١٩٧٢ .
٣٣- التوراة
دراسة كتبت فى أوائل ١٩٧٢ .
٣٤- الشيطان يحكم
مجموعة مقالات كتبت بين ١٩٦٥ ـ ١٩٧٠ .
٣٥- رأيت الله
دراسة كتبت فى صيف ١٩٧٣ .
٣٦- الروح والجسد
مجموعة مقالات كتبت فى شتاء ١٩٧٣ .
٣٧- حوار مع صديقى الملحد
مجموعة مقالات كتبت فى مارس ١٩٧٤ .
٣٨- الماركسية والإسلام
صدر عن دار المعارف فى فبراير سنة ١٩٧٥ .
٣٩- محمد

صدر عن دار المعارف فى يوليو ١٩٧٥ .

٤٠- السر الأعظم

صدر عن دار المعارف فى ديسمبر ١٩٧٥ .

٤١- الطوفان

مجموعة قصص ومسرحيات قصيرة ـ يناير ١٩٧٦ .

٤٢- الأفيون

سيناريو وحوار ـ مارس ١٩٧٦ .

٤٣- الوجود والعدم

دراسة ـ ١٩٧٧ .

٤٤- من أسرار القرآن

دراسة ـ ١٩٧٧ .

٤٥- لماذا رفضت الماركسية؟

دراسة ـ ١٩٧٦ .

٤٦- نقطة الغليان

مجموعة قصص قصيرة ـ ١٩٧٧ .

٤٧- عصر القرود

مقالات فى الحب ـ يناير ١٩٧٧ .

٤٨- القرآن كائن حى

دراسة ـ يونيو ١٩٧٨ .

٤٩- الإسلام فى خندق(أخبار اليوم)

٥٠- زيارة للجنة و النار (أخبار اليوم)

٥١- عظماء الدنيا و عظماء الآخرة(أخبار اليوم)

٥٢- علم نفس قرآنى جديد(أخبار اليوم)

٥٣- الإسلام السياسى و المعركة القادمة(أخبار اليوم)

٥٤- المؤامرة الكبرى(أخبار اليوم)

٥٥- عالم الأسرار(أخبار اليوم)

٥٦- على حافة الانتحار(أخبار اليوم)

٥٧- أكذوبة اليسار الإسلامى (دار المعارف)

٥٨- نار تحت الرماد(دار المعارف)

٥٩- أناشيد الإثم و البراءة(دار المعارف)
٦٠- جهنم الصغرى(دار المعارف)
٦١- من أمريكا إلى الشاطئ الآخر(دار المعارف)
٦٢- أيها السادة اخلعوا الأقنعة(دار المعارف)
٦٣- الإسلام..ما هو؟(دار المعارف)
٦٤- هل هو عصر الجنون؟ (دار المعارف).
٦٥- و بدأ العد التنازلى(دار المعارف).
٦٦- حقيقة البهائية(دار المعارف).
٦٧- السؤال الحائر(دار المعارف).
٦٨- سقوط اليسار(دار المعارف).
٦٩- قراءة للمستقبل(أخبار اليوم).
٧٠- ألعاب السيرك السياسى (أخبار اليوم).
٧١- على خط النار(دار المعارف).
٧٢- كلمة السر(أخبار اليوم).
٧٣- الشفاعة(أخبار اليوم).
٧٤- الطريق إلى جهنم (أخبار اليوم).
٧٥- الذين ضحكوا حتى البكاء (أخبار اليوم).
٧٦- حياتى و فكرى .. آرائى و مواقفى(دار المعارف).
٧٧- المسيخ الدجال(دار المعارف).
٧٨- سواح فى دنيا الله (أخبار اليوم).
٧٩- إسرائيل البداية والنهاية(أخبار اليوم).
٨٠- ماذا وراء بوابة الموت؟ (أخبار اليوم).
٨١- الغد المشتعل(أخبار اليوم).

مجموعات المؤلفات الكاملة

قصص مصطفى محمود صدرت فى بيروت عام ١٩٧٢ .
روايات مصطفى محمود صدرت فى بيروت عام ١٩٧٢ .
مسرحيات مصطفى محمود صدرت فى بيروت عام ١٩٧٢ .
رحلات مصطفى محمود صدرت فى بيروت عام ١٩٧٢ .

حازت روايته "رجل تحت الصفر" على جائزة الدولة لعام ١٩٧٠ .

موسوعة العلم والإيمان
للدكتور مصطفى محمود

وهى موسوعة علمية وثقافية شاملة تبحث فى مجالات متعددة طبيعية وجغرافية وطبية وفلكية وفى علوم النبات والحشرات والعلوم البيئية والطبيعية مع تعليق للدكتور مصطفى محمود ، تصلح لجميع المدارس والكليات والمعاهد العلمية والمراحل المختلفة وتعتبر موسوعة علمية فى المنازل من أجل رفع مستوى ثقافة الأسرة جميعًا، وعددها ثمانى وخمسون أسطوانة دى فى دى DVD وتحتوى على:

المجموعة الأولى :

الشريط الأول : الروماتيزم ، العقرب

الشريط الثانى : الإيدز ، حصى الكلى

الشريط الثالث : الشيخوخة ، الوصول إلى كوكب أورانوس

الشريط الرابع : الذين يسمعون دون أذن ، الصراع الرهيب

الشريط الخامس : الصرع ، البومة

الشريط السادس : الإبر الصينية ، التنويم المغناطيس

الشريط السابع : الشعوذة والطب ، السم فى العسل

الشريط الثامن : الهرم المعجزة ، الأرض المغنطيس العظيم

الشريط التاسع : زرع المخ ، غلطة دارون

الشريط العاشر : المشّاءون على الماء ، ملكة النمل

المجموعة الثانية :

الشريط الأول :- أبطال السيرك ، الحبار
الشريط الثانى :-المقاومة صفر ، زهرة النار
الشريط الثالث :- المرحوم فى الثلاجة ، النعامة
الشريط الرابع :- وقود لا ينفد، الهندسة الوراثية
الشريط الخامس :- أختنا الشجرة ، اللغز الفلكى
الشريط السادس :- الأنف الجذاب ، ميكروسكوب لتكبير الزمن
الشريط السابع :- سلاح مدرعات، الديدان
الشريط الثامن :- سرطان المرئ، الزواحف الطائرة
الشريط التاسع :- الإنسان الآلى، الضوء المبهر
الشريط العاشر :- الجمبرى السفاح، السم الرهيب

المجموعة الثالثة :

الشريط الأول :- دراكولا المرعب، هندسة الكون
الشريط الثانى :- القطع فى اللحم الحى، السفروت
الشريط الثالث :- نصف خنزير نصف إنسان ، القاتل الخفى
الشريط الرابع :- جريمة قتل عمرها ٢٥٠٠ سنة ، مزرعة الصواريخ
الشريط الخامس :- الألوان، مصادر الإلهام
الشريط السادس :- حفلة تنكرية، روح الفريق
الشريط السابع :- مقاومة السرطان بالإدارة، سفينة النفايات
الشريط الثامن :- عجائب المخ البشرى، كيف نشأت العائلة
الشريط التاسع :- اليد اليسرى، لماذا توقفت المصانع
الشريط العاشر :- عفريت المآتة، التموجات الخفية

المجموعة الرابعة :

الشريط الأول :- معجزة المخ البشرى الجزء الأول والثانى
الشريط الثانى :- البحث عن دليل، الحواس الخارقة
الشريط الثالث :- الجلادون الحلقة الأولى والثانية

الشريط الرابع :- معجزة حاسة الإبصار، إدمان من نوع آخر
الشـريط الخـامس :- الصـيـدليـة الإلهـيـة، من فـضلك إطفى السيجارة
الشريط السادس :- الجحيم فى لبنان، أسطورة التنين
الشريط السابع :- مرضى وهن العظام، لغز مرض السرطان
الشريط الثامن :- اللمسة الشافية، موال
الشريط التاسع :- بحر النور الحلقة الأولى، والثانية
الشريط العاشر :- الأنامل التى تبصر وتتكلم، أسباب جديدة للمرض

المجموعة الخامسة :

الشريط الأول : - عظماء الدنيا وعظماء الآخرة، الحياة فوق سطح ساخن
الشريط الثانى :-الأناقة القاتلة ، سنغافورة معجزة الإدارة
الشريط الثالث :- شمس منتصف الليل، الغشاء السحرى
الشريط الرابع :- الديمقراطية فى عالم الحشرات، هندسة
الشريط الخامس :- شمس فى أنبوبة اختبار، حوض الأمازون
الشريط السادس:- ومن كل شىء خلقنا زوجين، السر الأعظم
الشريط السابع :- الذرة والمجرة، مبروك جالك ولد
الشريط الثامن :- الأكل والمأكولات، ترقيع العظام
الشريط التاسع :- الفأر الجبلى وعائلته، رقص الثعابين
الشريط العاشر :- الحاسب الآلى، نبش الماضى
الشريط الحادى عشر :- الصغير المتوحش، الصحراء
الشريط الثانى عشر :- الوعل، حديقة الحيوان

مَقَالَاتٌ أُخْرَى
لاكْتِمَالِ الرُّؤْيَةِ

كثيرةٌ هى المقالاتُ التى كَتَبَها مصطفى محمود.
متنوعةٌ ومختلفةٌ.
باقية، وراسخةٌ فى الذهن والوجدان.
من يقرؤها تُحْفَرُ فى ذاكرَته كنقش مَصرىٍّ قديمٍ.
ولكلٍّ كاتب مَقَالات بعينها، أَوَ نُصُوصٌ لا تُنسَى.

وقد حَرصتُ أَنْ أَضَعَ فى كتابى هَذَا مقالاتٍ لمصطفى محمود نَشَرَهَا فى "الشُّموع".

ولأنَّنى تناولتُ فى مقدمتى لهذا الكتاب مُصْطَفَى محمود من أَوْجُه عديدة، فَقَدْ اخترتُ مقالات أُخْرَى تتواءم مع ما ذكرته فى مقدمتى من تَنَوُّع مصطفى محمود، وهذا من سماته الفارقة، ربَّما فى جيله ومن الأجيال اللاَّحقة.

وهذه المقالات مُجَّردُ عينةٍ - لَيْسَتْ عشوائيةً - من إبداع مصطفى محمود،

الذى تتسمُ كتابتُهُ بالعمق، والحبكة، وسلاسة الأسلوب، وبلاغة السَّردِ، وحضور الإقْنَاعَ، وَسُطُوعِ اللُّغةِ، من حَيْث وَهَجها، ونصاعتها، وبسطاتها العَميقَة.

هذه المقالاتُ تُعَضِّدُ وجْهَةَ نظرى فيما ذَكَرْتُ من ثراءِ مصطفى محمود، وغِنَى روحِهِ، واكتمالِ قَمَرِهِ عِنْدَما يُمْسِكُ بقَلَمِهِ فى لَيْلِ الكِتَابَةِ الطَّويل

الذى امتَدَّ سَنَوات فى حَيَاته الغريبةِ والمدهشةِ والحافلةَ بالقِرَاءةِ والسَّفَرِ والسَّهَرِ والذهابَ نحو الذاتِ المشغولةَ بدَوَاخِلِها وَأَسْرَارِهَا.

سُقُوطُ اليَسَار وسُقُوطُ الخَلاَص
بَيْنَ مصطفى محمود وعبد الرحمن الشَّرقاوى

نادراً ما رأيتُ مصطفى محمود يردُّ فِى مقال لَهُ على منتقديه أو "مهاجميه" أو مُعَارضى فِكره ومعتقَداته،

وربَّما قَدْ أَخَذَ هَذَا الدَّرْسَ وَوَعَاه من الجيل السَّابق عَلَيْه،

والذى يجيءُ نجيب محفوظ أبرزَ مُمَثِّل لَهُ على عدَم الردِّ على أَحَد مهما عَلاَ قَدْرُهُ أو شَأْنُهُ الأدبىّ أو الصَّحفىّ،

وَهُنَاكَ كثيرونَ غَيْرَهُ.

وقد انْتُقِدَ مصطفى محمود كثيرًا،

وهذا شَأْنُ أىِّ كاتب يحمل قَلَمًا،

ويقولُ رأيًا شفهيًا أو مكْتُوبًا،

وهناك كتبٌ كثيرةٌ صَدَرَتْ فى "ذَمِّ" مصطفى محمود والنَّيْل منْهُ، خُصُوصًا منَ المتشَدِّدينَ إسلاميًا، والذين لا يعرفونَ أُصُولَ الجَدَل، بل يَسبُّون ويَشْتمُونَ.

وكان مصطفى محمود قد كَتَبَ مَقَالاً عام ١٩٨٧ ميلادية - صَارَ شهيرًا بعد ذَلكَ من فَرْط الردُّود والتعقيبات عَلَيْه من أهْل اليَسَار عُنوانه: "سقوطُ اليَسَار".

وَلَعَلَّ من أَبْرَز الذين ردُّوا عليه الكاتب والشَّاعر المبدع عبد

الرحمن الشّرقاوى فى مقال نُشِرَ بجريدةِ الأهرام عُنْوانُهُ: "سُقُوطُ الخَلاَصِ".

وقد أثْبَتُّ مقالىْ مصطفى محمود وعبد الرحمن الشَّرقاويٍ (المقال والردّ أو التعليق)، لأُبَيِّنَ كيف أنَّ هُنَاك نَماذِجَ رائعةً ولافتةً في أسلوبِ المجادلةِ والمحاورةِ والمناقشةِ بَيْن الكُتّابِ والمبدعينَ بتْنَا نَفْتَقِدُهَا.

وأيضًا لنتأمَّل المَقَالَيْنِ وَحُجَجَهُمَا والبراهينَ التى سَاقَهَا كُلُّ كاتب لإثبات وجْهَة نَظَره.

وهُمَا مَقَالاَن لمبدعَيْنِ بارزيْنِ من جيلٍ أدبىٍّ وَاحدٍ، مُقْتَربيْنِ فى الرُّؤى والأَفْكَار.

سقوط اليسار

مصطفى محمود

لو سئلت.. ما المشكلة المصرية التى لها الأولوية المطلقة الآن.. لقلت دون تردد الفساد.

السرقة والغش وخراب الذمم والكسل والسلبية والأيدى الممدودة التى تريد أن تأخذ ولا تعطى والأصوات التى تطالب بالحق دون أن تؤدى الواجب النهم والجشع وتعجل الربح وضياع القيم وعدم الانتماء

المواعظ لم تعد تجدى لأنها تخرج من أفواه لا تعمل بها.

الكل يهدى ولا مهتد..

لو سئلت .. ما السبب.. لقلت.. سقوط الهيبة.. وانعدام القدوة وتراخى قبضة الحكم فى محاولة لإرضاء الكل.

والحاكم الأمثل لا مفر له من أن يغضب البعض ويصدم البعض ويواجه البعض بما لا يرضى.

لقد وقفت مسز تاتشر أمام إضراب عمال المناجم ولم تهادن ولم تلن وطرحت القطاع العام للبيع رغم الاحتجاج والهتاف وأصوات الاستنكار وأنقذت اقتصاد بلادها وعالجت التضخم وأعلنت أنها عائدة لتستأصل الاشتراكية لشجاعتها.

ـ جريدة الأخبار - ٤ من يوليو ١٩٨٧ م

والإصلاح أحيانًا يحتاج إلى جراحة وإلى إسالة بعض الدم لإنقاذ المريض من موت محقق والطبيب لا يكون طبيبا إذا افتقد هذا الحد الأدنى من الجرأه ليجرح ويضمد عند اللزوم.

وفى مصر تركة من الأخطاء القاتلة لابد من مواجهتها فى جرأه. مجانية التعليم الجامعى التى حولت الجامعات إلى مجموعة كتاتيب لا تعليم فيها ولا تربية ولا حتى مجانية (انظر الدروس الخصوصية) وأضعف الإيمان أن يحرم الطالب الراسب من هذه المجانية وأن يدفع تكاليف تعليمه وإلا كان حالنا حال من يمول الفشل والرسوب والإهمال من الخزانة العامة.

والخمسون فى المائة عمالاً وفلاحين فى مجلس الشعب التى لا مثيل لها فى الصين أو فى الهند أو فى روسيا ولا فى أى بلد رأسمالى أو اشتراكى والتى لم تكن سوى رشوة قدمها عبدالناصر ليستدر بها التصفيق والهتاف.

وحق التعيين لخريج الجامعة فى الوظائف الحكومية سواء وجدت هذه الوظائف أم لم توجد وسواء كانت هناك مسوغات وضرورات للتعيين أم لم توجد.. وهى رشوة أخرى وبدل بطالة قدمه عبدالناصر من خزانة مفلسة ترزخ تحت عبء الديون لكل عاطل متبطل ليقود له المظاهرات ويوقع على الاستفتاءات.

غوغائية زعيم أراد أن يكتل الشارع خلفه ليضرب به أية طبقة تناوئه..

الدرس الأول الذى تعلمه فى سنة أولى شيوعية.. فى كيفية الحفاظ على الكرسى.. اضرب الطبقات بعضها ببعض وأشعل فتيل الحقد الطبقى.. ثم احتفظ بعربة الإطفاء الوحيدة.. يلجأ الكل إليك ويقبل الكل قدميك ويستنجد بك الخصم والصديق.. لأنك تكون حينئذ مرفأ الأمان الوحيد فى بحر الفتن والأحقاد والتناقضات.

وهكذا فعل صاحبنا.. فقد وعى الدرس وطبقه بحذافيره.

وهكذا ترك البلد بحرًا من الفتن والأحقاد والتناقضات وميراثًا

من الخراب لكل من حمله بعده.

ولم يجد السادات مفرًا من أن يلقى بهذا الحمل على خليفته من بعده دون أن يبت فيه أو يواجهه.

ولم يجد حسنى مبارك إلا أحد خيارين أن يؤجل المشكلة ويلقى حملها على من يخلفه أو يواجهها برمتها وكلا الخيارين صعب..

ولكن هل كانت الزعامة دائمًا إلا الخيار الصعب.

وإنى أشفق على حسنى مبارك فكل خيار منهما باهظ الثمن.

لو أنه أعطى نفسه تمامًا لمشكلة الاقتصاد والإنتاج واختار تأجيل المواجهة فإن التعليم بشكله الراهن لن يخرج له منتجين ولا التوظيف الحالى سوف يدفع بالإنتاج الدفعة التى يرجوها.. بل الهيكل الوظيفى والهيكل التعليمى كلاهما يدفع بمصر إلى الوراء وإلى مزيد من التخلف والبيروقراطية.. وأصوات الخمسين فى المائة عمالاً وفلاحين.. هى أصوات معوقة وهى فرملة القصور الذاتى والباكم الذى سوف يمنع أى تطور.. وأية زيادة فى الإنتاج سوف تذهب فى بالوعة الدعم والتضخم السكانى.. ثم لا يجد فى النهاية مخرجًا.. سوى أن يقترض ويقترض ويقترض.

ولو أنه اختار المواجهة فسوف يحتاج إلى الجيش والبوليس للضبط والربط وتحسب العواقب وهو لا يريد الملاحة فى العواصف ويخشى على الديمقراطية الوليدة من القوة ومن أجهزة القوة.

لكن دون المواجهة لا إصلاح.. وإنما مجرد مسكنات ومراهم.. بينما الصديد يضرب فى الجرح والمرض يشتمل الجسد كله.

ومجانية التعليم الجامعى تغرى العمالة "الريفية" بأن تهجر الأرض ليحقق كل فلاح حلمه فى أن يصبح مهندسًا أو طبيبًا أو محاميًا وينقلب معمل التفريخ البشرى فى الريف إلى مضخة تصب فى اتجاه واحد من الريف إلى المدن إلى حيث مزيد من التكدس والزحام واختناق المرافق بينما تجف الأرض وتتصحر ولا

تجد من يزرعها.

ثم يتراكم ألوف وملايين الخريجيين الذين لا يجدون وظائف تستوعبهم إلى كم هائل من البطالة يخلق مشكلة من حيث تصور الحاكم أنه يؤجل المشكلة وتدور الحلقة المفرغة لتضيق شيئًا فشيئًا على عنق النظام القائم.. ولهذا يخطط الرفاق اليساريون ويرسمون حيث يعتقدون واثقين أنهم الورثة الشرعيون للخراب والفقر والأزمات فإن لم توجد أزمات فإنهم يخلقونها وإن لم يكن هناك خراب فإنهم يصنعونه.

فهو بيئتهم الطبيعية التى لا يعيشون إلا فيها..

ولهذا يتنادى اليساريون وتتجاوب مقالاتهم وتتعالى صرخاتهم إذا مس أحد هذا الثالوث المقدس.. مجانية التعليم والخمسين فى المائة عمالاً وفلاحين والوظيفة المقدسة لكل خريج.. لأنهم يعلمون أنها القنابل الموقوتة التى تركها عبدالناصر بعد موته لتفرخ التناقضات والأزمات والمشاكل حتى تأتى على البنيان المتهالك من قواعده.

ولقد كان عبدالناصر يعلم حينما زرع هذه الوعود فى التربة المصرية أن الوفاء بها سيكون مستحيلاً كما أن الرجوع عنها سيكون مستحيلاً.. وأنها ستظل الشرخ القاتل الذى يقصم ظهر كل من يأتى بعده.

ولكن مسز تاتشر باعت القطاع العام فى المزاد فى إنجلترا ووقفت فى وجه عمال مناجم الفحم المطرودين وأعلنت أنها عائدة لتستأصل الاشتراكية من بلادها.. وعادت تحملها إرادة الأغلبية إلى كرسيها من جديد.

وما ظن اليسار أنه مستحيل لم يعد مستحيلاً.. ولم يعد اليسار بالقوة التى كان عليها فى الخمسينيات والستينيات..

لقد تحول التيار السياسى فى العالم كله وسقط الفكر الماركسى حتى فى بلاده وتراجع اليسار فى إنجلترا وفرنسا وإيطاليا وإسبانيا وفقد أكثر مقاعده فى هذه الدول.. وفقد سمعته وفقد شرفه.. وفى مصر سقط رئيس حزب التجمع فى

دائرته الانتخابية ولم ينجح أحد من الحزب الناصرى ولا من حزب التجمع.. ولم يبق عامل نشطا فى ساحة اليسار إلا أمثال الألوية الحمراء وأخواتها من خلايا التخريب والإرهاب والخطف والسيارات الملغومة.

واليسار المصرى مجرد أعمدة فى الصحف وشعارات ولافتات وصيحات ولكن فى لحظة الامتحان لا يجد له رصيدًا شعبيًا ولا سندًا جماهيريًا.

وهو مجرد بقية مما ترك عبدالناصر.

وقد جاء وقت المواجهة ولا مهرب.. مواجهة الفكر بالفكر ومواجهة الأكاذيب بالإحصاءات والأرقام الدقيقة ومواجهة التزييف بالوقائع وبالتاريخ الثابت.

وقد عجبت لزميل مثل أحمد بهاء الدين يقول إن عبدالناصر ليس مسئولاً عن الإهمال والتسيب والفساد والتدمير الذى وصل بنا إلى ما نحن فيه.. وهو أول من يعلم أن الفساد ما ولد إلا فى حكم عبدالناصر الذى غابت فيه الحرية وقطعت الألسن وقصفت الأقلام وسادت مبادئ النفاق والانتهازية وحكمت مراكز القوى وانطلقت عصابة القتل تعيث فى الأرض فسادا.. وما ولد الإرهاب الذى نعانى منه اليوم إلا فى زنازين التعذيب فى السجن الحربى بأمر وتوجيه وإشراف من عبدالناصر.

وعجبت له يتكلم عن قامة عبدالناصر الطويلة وحجمه التاريخى وهو القائل إن عبدالناصر جعل مصر كبيرة والمصريين صغارا..

وفى الحق أنه ما جعلها كبيرة وإنما هو نفخ الأبواق وقرع الطبول ودوى الأجهزة وهتاف المرتزقة الذى أفاق منه الكل فجأة على هزيمة منكرة وأرض محتلة ومصر صغيرة أصغر مما ورثها عبدالناصر بمقدار سيناء وبمقدار حجم السودان كله.

ثم من قبيل التعريض بالموجود يقول إن عبدالناصر ترك الخزانة مدينة بأقل من ألف مليون واليوم هى مدينة بأربعين ألف مليون.. والظاهر أنه نسى أصول الجمع والطرح ونسى جدول

الضـرب أو تناسى أين أنفقت الأربعـين ألف مليـون.. وكـيف أنفقت لإنشاء بنية أساسية تركها عبدالناصر منهارة مخربة.. أنفقت ليجد تليفونًا يتكلم فيه ومواصلات يركبها وماء يشربه ومدنًا سكنية يجد فيها الشباب غرفة يأوى إليها وكهرباء يقرأ عليها ومصادر طاقة وأمن غذائى يغطى احتياجات عشرين مليونًا زادوا فى التعداد منذ رحيل رجله وكل هذا بأسعار الثمانينيات وبالدولار الحاضر ثم حرب منتصرة محت عار وخزى ٦٧ بكل ما تكلفه الحرب المنتصرة.

ثم يمن علينا أحمد بهاء الدين بالسد العالى الذى أقامه صاحبه وأولى به أن يتلفت حوله ليجد أن نفق المترو وحده بأعماله الخرسانية مضافًا إليه عشرات الكبارى والأنفاق والمصانع والسنترالات ومحطات توليد الكهرباء والموانى الجديدة والمدن السكنية والوادى الجديد وتوسيع القنال وغزو الصحارى والتنقيب عن البترول.. الخ.. الخ.. هى أضعاف السد العالى من ناحية الحجم الإنشائى ومن ناحية الأثر.. ومع ذلك فقد تمت جميعها دون أن نرى حسنى مبارك يقتل أحدًا أو يسجن بريئًا أو يعذب مخالفًا له فى الرأى..

ونذكره بالإنجازات الحافلة التى أنجزها صاحبه وكيف انتهت كلها إلى الإحباط وفى حياته.

الإنجليز الذين أخرجهم من القنال دخل مكانهم اليهود.

والقناة التى أممها ردمها.

والوحدة التى أعلنها مع سوريا رفضتها سوريا.

والاشتراكية التى تصورها راية قومية تجمع العرب تحولت إلى معركة تفرقهم.

ومجانية التعليم انتهت إلى حال لا هو مجانية ولا هو تعليم.

والإصلاح الزراعى هبط بالزراعة حتى جاء اليوم الذى أصبح فيه القمح يأتينا تبرعًا من إخوة لنا فى السعودية خضروا الصحارى وزرعوها دون اشتراكية ودون شعارات.

وأخيرًا انتهى الرجل وانتهت سياسته إلى الهزيمة والخراب

الاقتصادى وجميع أفكاره أخذت حظها من الامتحان وسقطت.. وكان على السادات أن يبدأ من الصفر وكان على حسنى مبارك أن يبدأ من مشاكل لا تنتهى..

فماذا يحاول الزميل إحياءه وما هى التقدمية والعلمانية التى يكلمنا عنها كل يوم.. إن مدلول الكلمة الحرفى والصريح هو نظام لا يؤمن إلا بهذا العالم ولا يعمل إلا من أجله ويرى فى حكاية الآخرة والله والحساب والعقاب أنها غيبيات ومسائل غير مطروحة لا تخص سوى أصحابها ولا تتخطى باب المسجد.. أما فى الشارع وفى المجتمع فلا حكم إلا للقانون الوضعى الذى ارتضاه البرلمان فإذا وافق البرلمان بأغلبية على إباحة الزنا والشذوذ والخمر والقمار والربا فإنها تصبح مشروعة وتكتسب قوة القانون وإن خالفت الأديان وصادمت الشرائع.. هذه هى علمانية أحمد بهاء الدين.

والأمثلة الموجودة والحاضرة لهذه العلمانية فى البلاد الإسلامية والعربية هى لبنان واليمن الجنوبى وبنجلاديش ونظام أتاتورك وجميعها أمثلة متفاوتة للأزمات الاقتصادية والديون والتخلف والتبعية وفقدان الهوية.

بل إن الكعبة التى يتجه إليها العلمانيون ويتلقون منها وحيهم وإلهامهم نرى فيها العمال الكادحين يقفون فى طوابير ليشتروا الكرنب بالبطاقة بينما أعضاء الحزب الشيوعى يأكلون الكافيار ويركبون عربات الزيم الفاخرة.. ونقرأ عن برجنيف أنه كان يمتلك جراجًا به أكثر من عشرين عربة فاخرة من أغلى وأفخر أنواع الرولزرويس والمرسيدس والليموزين.

ذلك ما يقوله دفتر أحوال هؤلاء العلمانيين برواياتهم وتوقيعهم ودون تشنيع ومن أجل هذا سقط اليسار فى العالم كله وتراجع جورباتشوف عن أفكار لينين وستالين وبرجنيف وضرب بها عرض الحائط.. كما تراجعت الصين كما انتكست الأحزاب الشيوعية الأوروبية على رؤوسها.. ولم يبق من دراويش الماركسية إلا اليسار المصرى يرفع رايات عتيقة بالية انتهت

موضتها.. ويحلم بأمجاد ولت.

ويقول لنا الزميل أحمد بهاء الدين.. موتوا بغيظكم.. وما مات بغيظه إلا صاحبه بل لقد مات بحسرته يغص بهزيمة منكرة وإحباط لم يشهده زعيم قبله.

والزملاء الرفاق الذين يلبسون قميص عبدالناصر ينسون أن القميص مهلهل أدركه البلى وأنه دخل فى تركة ماض انتهى وأصبح مخلفات. وأن العصر بمشكلاته ومتغيراته تجاوز عبدالناصر وفكر عبدالناصر وأن المشاكل التى استجدت تحتاج إلى فكر جديد.. وأن نقود أهل الكهف التى يدورون بها فى الأسواق لن تشترى لهم شيئًا.

افتحوا النوافذ يا رفاق.. واستنشقوا الهواء..

نحن على أبواب التسعينيات..

عمتم صباحا..

طريق للخلاص

عبد الرحمن الشرّقاوى

ما من زعم أمعن افتراء، ولا أشد غباء من إلصاق الإرهاب بالإسلام..

فلماذا يبادر بعض الناس إلى هذا الاتهام؟..

لأن فيمن يقترفون جرائم الإرهاب من يدينون بالإسلام؟.. ولكن من الذين يمارسون الإرهاب والاغتيال والابتزاز من يدينون بالمسيحية أو اليهودية.. وما من أحد يمكن أن يربط بين الإرهاب، وبين أى من هاتين الديانتين السماويتين.. فالشرائع السماوية جمعاء ترفض الإرهاب.. والجرائم البشعة التى ارتكبتها العصابات اليهودية الصهيونية على أرض فلسطين لم تدفع أحدًا منا إلى اتهام الديانة اليهودية بأنها ديانة إرهاب.

إن زعماء تلك العصابات قد أصبحوا الآن قادة سياسيين ورجال دولة فى إسرائيل ومازالوا يتحركون تحت رايات الدعوات العنصرية التى كانت شعارات لعصاباتهم الإرهابية.. وبالرغم من ذلك فلم يُحمِّل أحد الدين اليهودى مسئولية جرائمهم، مهما يسرفون فى التطرف، ومهما يشتطون فى رفع

- جريدة الأهرام - ١٩٨٧/٧/٦م

الشعارات الدينية وفى إساءة تأويل بعض آيات التوراة.

وليت الذين يلقون الاتهامات على هذه الجماعة أو تلك من الجماعات المنتسبة للإسلام، ليتهم يكفون عن إلقاء الاتهام ويتركون الأمر كله لسلطات التحقيق.. فما ينبغى لأحد أن يقيم من نفسه محققًا وقاضيًا ومنفذًا للحكم وإلا تورط دون أن يدرى فيما يحذر منه، وأوقع نفسه فى أسلوب المحظور واتبع الأسلوب الذى يدينه.. أسلوب أهل الإرهاب.

إن الإسلام لا يتحمل مسئولية خطأ المسلم، والإسلام شىء والجماعات الإسلامية شىء آخر والجماعات الإسلامية التى تفهم الإسلام حق الفهم، وتدعو إليه حق الدعوة تعرف أن الإسلام يرفض الإرهاب ويلعنه وما من مسلم حسن الإسلام يجهل هذا.. فما يعرفه المسلم بالضرورة هو أنه ليس من حق أحد ـ لا دولة ولا فرد ـ أن يروع آمنا أو أن يسلب الآخر حقه فى الحياة فهذا مما اختص به الله.. والقاتل ملعون لا يغفر الله له أبدا.

وأنا أطالب الذين يحسبون أنهم لهم وحدهم الحق فى أن يتكلموا باسم الإسلام - وهذا غريب على الإسلام - أطالب أولئك الذين يستعلون ليطلقوا على غيرهم الأحكام، ويخصون من يشاءون برضاهم أو سخطهم.. أطالب هؤلاء السادة أن يدركوا أن الآخرين ليسوا أمثالهم يريدون علوا فى الأرض فكم من الدعاة إلى الإسلام من لا يريدون علوا ولا فسادا فى الأرض، وما يريدون إلا الإصلاح والصلاح.

لقد مضى إلى غير رجعة ذلك الزمن الذى كان يحتفظ فيه بعض الكهان بأسرار الكهنوت ويملكون قرار الحرمان وصك الغفران.. فليت أولئك المستعلين يفهمون أن الآخرين ليسوا فى حاجة إليهم.. وليت علماء الدين من الذين تتوزعهم الجماعات والتكتلات ومن الذين استقلوا عن الجماعات الدينية فتلقفتهم الأحزاب ومن الذين استقلوا بأنفسهم عن هؤلاء وهؤلاء.. ليت علماءنا الأفاضل من حفظة القرآن الكريم وأهل الفقه.. ليتهم يتعاهدون على أن يتحاوروا بدلا من أن يتناحروا.. وليتهم

يأخذون على أنفسهم ميثاقا غليظا ألا يزرى بعضهم على بعض فهم بعض أعمدة الجبهة التى ستكون حصنا حصينا للوطن.. ليتهم يواجهون - فى وعى كامل بمسئولياتهم - بعض المكر السيئ الذى يلقاه الإسلام من أعداء الإسلام.

هناك ممن يحسبون أن لديهم توكيلا من جهة ما باسم الإسلام فينشئون بوتيكات باسم الإسلام.. يجب أن نرفض هذا الزيف وهذا الارتزاق باسم الإسلام.. فما من وصمة تزرى بالمسلمين مثل هؤلاء الرجال وأساليبهم فى الحياة.

وبالقدر نفسه يجب أن نرفض الارتزاق باليسار ونفضحه ونتخلص منه. وما أكثر وأبشع الاتجار باسم الإسلام أو اليسار، فما من فرد أو جماعة لديها توكيل من جهة ما باسم اليسار.. وما من جهة تمنح هذا التوكيل فردا أو جماعة ما.. وليس من حق أحد أن ينشئ بوتيكات باسم اليسار للتجارة أو الاسترزاق..

فاليسار لا يعرف المرتزقة ولكنه يعانى منهم ويطاردهم ويعزلهم... وليس من الصحيح أن الانتخابات الأخيرة فى مصر قد أسفرت عن سقوط اليسار كما كتب الصديق الدكتور مصطفى محمود.. وما من ظلم لليسار أكثر مما استخلصه كاتبنا الكبير العزيز.. فليس الذى سقط هو اليسار ولكنهم بعض اليساريين يا عزيزى مصطفى.. ولو أنك درست سبب هذا السقوط لوجدت العلة فى أخطائهم لا فى انتمائهم.. وهذا هو سبب انحسار اليسار الفرنسى.. أخطاء اليساريين.. أما فى إيطاليا حيث يتبنى اليسار سياسة شعبية راشدة واعية فقد انتصر اليسار وإذن فالعلة فى الرجال والنساء لا فى المبادئ والأفكار والانتماء وبعض المتحدثين باسم اليسار أشد وطأة على اليسار من بعض الذين يحتكرون الحديث باسم الإسلام على الإسلام فهم يصورون الإسلام على نحو يسوء الإسلام ولا يحسن إليهم أو يحسن صورهم.. أولئك أضل الله أعمالهم.. وهم الذين فى قلوبهم مرض طبع الله على قلوبهم واتبعوا أهواءهم.. "أولئك الذين لعنهم الله فأصمهم وأعمى أبصارهم أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب

أقفالها".

والاتجار بالدين يحتم على علماء الدين أن يتساندوا ويتآزروا ليواجهوا تلك الظاهرة الفاسدة الوافدة المعربدة.. والانحراف بالدين يوجب على الفقهاء أن يشرحوا للكافة حقائق الدين ليستنقذوا من تضللهم دعوات التطرف.. والتطرف يتأتى من الرفض، وللرفض بريق خادع ثم إن التطرف خلاب.. من أجل ذلك فما يواجهه الإسلام اليوم فى حاجة إلى همم أولى العزم من علماء الدين وفقهائه ليستخلصوا جوهر الإسلام مما عسى أن يغشاه به الانحراف وسوء الفهم.. وهو واجب يتحتم على كل ذى فقه وعلم أن ينهض به من تلقاء نفسه ولا يغنى عنه فى ذلك نهوض غيره. فإن لم يفعل فما أدى أمانته بل لقد خان إذن رسالته.. ونحن لا نحب أن يصبح الناس فوضى لا قوام لهم.. ولا قوام إذا جهالهم سادوا.

من أجل ذلك وجب ألا يتصدى أحد للحوار إلا إذا كان يملك من العلم ما يمكنه من هذا الحوار، وليس من حق أحد أن يتهجم قبل أن يتفهم أو يتعلم.. ولكننا نجد من يعتزل وسط الغرور البارد على قمة كبرياء خادعة ليحاكم الآخرين ويحكم عليهم وهو لا يملك أدوات الحكم وربما لا يملك حتى وسائل حسن الفهم.

ولكن بعض الناس يراد لهم أن يفهموا الأمور على نحو ما فإذا بهم لا يفهمون إلا ما أريد لهم فهمه لا ما استوعبته العقول.. أولئك شر مكانا وشر أبدا.. وما ينبغى لأهل العلم والفقه أن يتركوا أمثال هؤلاء ينفردون بالساحة.. ولئن أدى أهل العلم والفقه أمانة علمهم وفقههم، فإن أنصاف الجهلاء إذن لخاسرون وسيذهب ما يهذون به جفاء أما ما ينفع الناس فيمكث فى الأرض.

إننا لنطالب علماء الدين وفقهاءه من كل المذاهب والاتجاهات أن يشحذوا الهمم وألا يتركوا فراغا فى الحياة الروحية فمن هذا الفراغ تتسلل الأباطيل وتتخلخل القوى الاجتماعية ليصدم بعضها بعضا ويذوق بعضهم بأس بعض.. والخاسر فى النهاية هو

هذا الوطن الذى يعتبر الدفاع عنه والنهوض به من أقدس الواجبات التى فرضها الله.

وعبث كل ما يكتبه ويذيعه علماء الإسلام إن لم يحقوا به الحق ويدحضوا به الباطل وإن لم يشرحوا حقائق الإسلام للذين تفسد عقولهم الخرافات والترهات وإن لم يعملوا على تحقيق المجتمع الإنسانى الفاضل الذى يريده الإسلام مجتمع العدل والإخاء والبذل والتكافل والتراحم.. المجتمع الذى يتفاضل فيه الناس بالتقوى والصدق والنقاء والبناء.

لا جدوى من كل مواعظ علماء الدين إن لم تكن من أجل حماية حقوق الإنسان.. وإن لم يكونوا هم أنفسهم قدوة فى سيرتهم فلا يأمرون الناس بالبر وينسون أنفسهم ولا يحضون على البذل وهم يكنزون ولا يبيت الواحد منهم شبعان وجاره جائع.

لا جدوى من كل المواعظ التى يكتبونها فى الصحف والتى يذيعونها فى المساجد والإذاعة والتليفزيون إن لم يؤمنوا بما آمن به السلف الصالح ويعملوا بما عمل به أولئك السلف، إنه إذا مات أحد من الجوع فى الأمة الإسلامية فلا مال لأحد، وكم من الأطفال فى الأمة الإسلامية يموتون من سوء التغذية وهو لون من الجوع، وفى الأمة الإسلامية بالرغم من ذلك أصحاب ملايين وبلايين منهم علماء دين.

أمخطئ أنا؟ أذيعوا إذن على الناس كم تملكون وكم تكنزون وكم تستثمرون لعمارة الأرض وبكم تتصدقون، إن منكم من لا يؤتى الزكاة حق إيتائها على أنه إذا كان فى الأمة أصحاب حاجة فللفقراء حق فى أموال الأغنياء غير الزكاة.. أليست هذه هى القاعدة الشرعية.. فكم منكم يعمل بها؟

أنا أدعوكم يا أهل الفقه ويا علماء الدين إلى لقاء حول مبادئ الإسلام لتحقيق أهدافه العليا.. وهى إقامة المجتمع الفاضل وتحصيل المصالح وصيانتها وعمارة الأرض والعدل والإحسان والنهى عن الفحشاء والمنكر والبغى وإصلاح أمور الناس للدنيا

والآخرة.. أنتم ركن ركين فى الجبهة الوطنية فأدوا ما تحملون من المسئوليات.. أدوا الأمانات إلى أهلها.

ثم أدعوا قوى اليسار إلى الوحدة فليس من الممكن أن تنهض جبهة وطنية أو تحالف قومى فى غياب قوى اليسار.. ولئن تمزقت قوى اليسار كما هو واقع اليوم إنه إذن لعذاب واقع وإنه لتمزق لكل القوى الوطنية، إن قوى اليسار المصرى لأضعاف أضعاف ما يضمه الحزب الشرعى لليسار.. ولقد ناضل هذا الحزب فى إصرار وشرف وفى قياداته وجوه مضيئة تشرفه من ذوى التاريخ النضالى الوطنى ولكن هذا كله ضائع لسوء الحظ فقد اختفى الوجه الجميل لحزب اليسار الشرعى وراء وجوه كريهة شوهاء سلطها أعداء التقدم على اليسار واستخدمتها أجهزة مكافحة الشيوعية وسلحتها بالبذاءة وبالقدرة المتبجحة على القذارة كما تحتمى بعض الكائنات الدنيا خلف روائحها الكريهة أو منظرها الذى يثير الغثيان فتصيب الإنسان بالحيرة فهو إن تركها تقزز وإن سحقها اشمأز.. تلك حال الإنسان مع بعض الكائنات الدنيا كالخنفساء والصرصار وما أشبه، أو الكائنات الدنيا الآخرى التى تتسلح بالأشواك ولكن أولئك النفر الذين أساءوا إلى حزب اليسار الشرعى لا يزيدون على خمسة نفر أو ستة ويقولون سبعة وثامنهم قلبهم.. أو رأسهم أو ذيلهم لست أدرى.. وهؤلاء الثمانية قد سيطروا على صحيفة الحزب فهووا بها إلى الحضيض وانصرف عنها القراء لأنهم سئموا افتراءاتها وأكاذيبها وترهاتها وبذاءاتها ولقد نعجب كيف يتحكم أولئك وهم دون العشرة فى صحيفة الحزب وسياسته، ولكن العملة الرديئة تطرد العملة الجيدة.. هذا حق وهذا هو ما انهار بالحزب والصحيفة، فلنذكر صحيفة الحزب أيام كان يقودها صحفى كبير القدر كبير النفس طاهر اليد عف اللسان هو الأستاذ حسين فهمى، أين المكانة العالية التى كانت تتمتع بها تلك الصحيفة حينئذ من حضيض العفونة والأكاذيب وكل ما تمرغها فيه اليوم تلك الأسرة المالكة للصحيفة الحاكمة المتحكمة فى

الحزب؟ إذا كان الغراب دليل قوم يمر بهم على جيف الكلاب.. وهذا هو ما حدث للصحيفة وللحزب معًا.

إن هؤلاء هم اليسار، بل هم شر من أساءوا إلى اليسار فكل كفاحهم تمزيق لوحدة اليسار وتشويه لمبادئه، وهم يضربون اليسار بإحدى وسيلتين أو بهما معًا: بتمزيقه من الداخل وهم محترفو انشقاق مدربون، علمهم مستعملوهم إلقاء أوحال انهيارهم على نصاعة الآخرين، أما الوسيلة الأخرى فهى محاولة عزل الحزب الشرعى لليسار عن جماهيره بتبنى سياسة مغامرة أو انتهازية تنبذها الجماهير.. من ذلك إلحاحهم على إسقاط النظام.. إن الطبقة العاملة المصرية لا تريد إسقاط النظام المصرى بل تريد تقويم ما اعوج منه وإصلاح ما فسد وتصويب أخطائه.. والجماهير لا تطيق مغامرة كالتى يريدها أولئك لحساب مستعمليهم من رؤساء الأنظمة الأخرى التى ترزقهم الأموال الطائلة بغير حساب، حقًا إنهم مدربون على مهمتهم كأمهر كلاب الصيد المدربة.

أما سياستهم الانتهازية الهابطة التى تحتقرها الجماهير فهى محاولتهم الدخول فى تحالف حزب العمل والأحرار مع الإخوان بالرغم من الخلاف العريض والتناقض الحاد بين مبادئ حزبهم وذلك التحالف، ولكن التحالف لم يقبلهم، وأحسب أن ذلك هو حقا عرض النفس للبيع على من يشترى وما أتعس من يرفضه المشترون بعد أن عرض نفسه فى سوق النخاسة على الأعداء.

ولا حل إلا أن ينتفض حزب التجمع وينفض عنه أولئك الذين احتلوا شرفاته وشوهوه وشوهوا معه اليسار ومزقوه، فلينتفض حزب التجمع لينفضهم عن جسده كما ينفض الأسد عنه الحشرات الضارة القذرة وإلا اقتاتت بدمه.

إن اليسار كله مطالب بأن يتحد.. فوحدة اليسار ضمان للوحدة الوطنية والتحالف الوطنى إنما ينطلق من وحدة كل قوى اليسار ولا يمكن أن نظفر بتحالف صحيح إذا خلا من إحدى القوى الاجتماعية.. لقد علمتنا أرضنا المصرية الطيبة أنها لكى

تؤتى خير الثمار يجب أن نطهرها من الأعشاب السامة ومن الديدان. فليفعل ذلك اليسار كله بما فيه حزب اليسار الشرعى فليخلص الأرض من الأعشاب السامة ومن الديدان كى لا تقتات بالخضرة بعد وكى لا تخرب الأرض وتفسد فيها ولكى تتيح للأرض الخصبة أن تنتج أفضل الثمرات وأينع الثمرات..

إن القوى الوطنية لا تستطيع أن تتجاهل قوى اليسار واليسار الحق يتفق مع القوى الوطنية أكثر مما يختلف وما ينبغى لأحد أن يحاسب اليسار بما يفعله الذين استعملوا لتخريبه وتمزيقه وتشويهه وهم كما قلت ثمانية من الرجال أو النساء أو إن شئنا الدقة من أشباه الرجال وشبيهات النساء.. وما ينبغى لأحد أن يحاسب اليسار بما يفعله أعداؤه وإن كانوا قد تسللوا إليه، وإن اختفوا تحت رايته.. واستظلوا بها ليمزقوها، إن كل قوى التقدم فى مصر وكل الرماة الأحرار عن شرف الوطن وكل المدافعين عن حقوق الإنسان الحريات العامة وعن الاستقلال السياسى والاقتصادى وكل صناع التقدم وكل حماة الحرية كل أولئك وفيهم قوى اليسار الحق مدعوون إلى الاتحاد والعمل معا ليصوغوا لهذا الوطن مستقبله الأفضل.. ولكن البناء الديمقراطى الذى يحقق المستقبل الأفضل لهذا الوطن يجب أن يستكمل وسيظل ناقصا حتى نطلق حرية إنشاء الأحزاب والصحف لتجد كل القوى التى لا تنتمى إلى الأحزاب أداة تعبيرها الشرعية المعترف بها.

وحتى لا تلغى القوانين والمحاكم الاستثنائية وما لم نطلق حرية إنشاء الأحزاب والصحف ستبحث تلك القوى الاجتماعية عن وسائل أخرى للتعبير.. وسائل غير شرعية.. ربما كان من بينها العنف أو الإرهاب..

سيحقق الشعب جبهته، بالرغم من المستوزرين الذين يتصورون أن وجود جبهة سيحرمهم مناصبهم وبالرغم من المسترزقين الذين يعملون فى دأب وإصرار على تشويه اليسار وعلى تمزيق وحدة اليسار - وهى أساس الجبهة - لحساب مستعمليهم فى أجهزة مكافحة التقدم.. أولئك يريدون إسقاط

النظام المصرى لحساب مموليهم من رؤساء الأنظمة الأخرى هؤلاء الذين يخلعون عليهم صفات خارقة من البطولة وحتى النبوة ومن ينسى كيف سموا أحد الرؤساء العرب نبى الصحراء.. والنبى الذى جاء فى غير زمانه.. كم كان ثمن هذا كله؟.. إن اليسار برىء مما يفعلون.

ولن أفقد إيمانى بأن الجبهة
هى طريق الخلاص.

معنى الفن

مصطفى محمود

محمود أمين العالم

إن تطور الفن فى هذه المرحلة من حـ ياتنا يحتاج إلى حرية وهواء نقى.. ويحتاج إلى حراسة أقلام شريفة..

حاولت أن أتصور الدنيا بلا فن.. بلا أغنيات.. بلا موسيقى.. بلا شعر.. بلا رقص.. بلا صحافة.. بلا سينما.. بلا مسرح.. حاولت أن أتصور الشوارع بلا تماثيل.. والحجرات بلا صور.. والمدن بلا حدائق.. والميادين بلا نافورات.. ولم أستطع أن أسترسل فى تصوراتى.. لقد كانت أقبح من أن تحتمل.

إن الفن يجرى فى حياتنا كما يجرى النبض فى الشريان.. إنه ليس القصيدة وليس اللوحة فقط.. إنه كل شىء.. إنه النقش على الثوب.. واللون على القماش.. والتفصيل على الفستان.. والتصميم فى قطعة الأثاث.. والبناء فى العمارة.. والتخطيط فى المدينة.

إنك تراه فى تسريحة الشعر.. وتقرؤه فى آيات الإنجيل.. وتسمعه فى خطب الساسة.. وتعثر عليه فى كل مكان.. حيثما وجد الخلق والجدة والابتكار.. فالفن خلق وإبداع.

ـ صباح الخير ٧ من يونيو عام ١٩٥٦م.

الفنان ينظر إلى الشىء.. فلا يسجله كما هو.. وإنما يسجله بعد أن يضيف إليه جزءًا من ذاته.. بعد أن يضيف إليه حبه وعاطفته وانفعاله.. وهذا هو الفرق بين الفن والعلم.. فالعلم ينظر نظرة محايدة إلى الأشياء.. كما ننظر إلى عاصفة من خلال الزجاج فنقول: الجو عاصف ودرجة الحرارة صفر.. وسرعة الريح مائة كيلو متر فى الساعة..

ولو شاهد هذه العاصفة رسام.. لسجلها بصورة بعيدة عن هذه الصورة العلمية.. وبعيدة أيضًا عن صورتها الفوتوغرافية الواقعية.. لأنه لن يحتكم إلى ترمومتر أو عدسة.. وإنما سوف يحتكم إلى عاطفته الحية.. سوف ينظر إلى التجربة من خلال دمه وانفعاله وإحساسه.. ويعانيها من جديد ويسجلها نابضة ساخنة على الورق.. فتبدو شيئًا أكثر من مجرد موضوع.. تبدو موضوعًا أضيفت إليه قطعة من الذات فأصبح خلقًا جديدًا..

رسام الكاريكاتير حينما يشوه الخلقة الطبيعية.. يفعل هذا بقصد الإضافة.. إنه يقلب السحنة كما يقلب الشراب ظهرا لبطن.. ليكشف الحقائق المختفية داخله.. ويضيف إليها الرأى والنقد والسخرية اللاذعة..

والنحات حينما يغير فى الحجم والكتلة.. يفعل هذا بقصد إيجاد لغة جديدة يتحدث بها غير لغة الأبعاد الطبيعية.. لغة أكثر إفصاحًا من لغة الواقع المحدود..

والأديب حينما يلعب بالألفاظ والجمل والتراكيب والحوادث والمعانى.. يفعل هذا ليكشف الأعماق البعيدة.. التى لا تتكشف للرؤية السطحية فى الحياة العادية..

والموسيقار هو أسعد الفنانين جميعًا لأنه يجد نفسه فى مملكة غنية بالأدوات والمفردات.. يجد ألفاظًا موسيقية أكثر طواعية من الألفاظ اللغوية وأكثر طواعية من الطين فى يد النحات واللون فى يد الرسام.. فيمرح فى هذه المملكة الخصبة كما يمرح العصفور فى الهواء..

وبين هؤلاء الفنانين جميعًا على اختلاف لغاتهم يظل هناك

شىء واحد مشترك.. هو العمل الفنى.. وهو نتاج يختلف تمامًا عن نتاج العلم.. فالعلم على الدوام رؤية محايدة موضوعية تكتشف العلاقات الخارجية فى الأشياء.. والفن رؤية عاطفية ذاتية بعيدة كل البعد عن الحياد.. رؤية تربط بين الموضوعات الخارجية وبين ذات الفنان فى مخلوقات جديدة مبتكرة تنبض بالحرارة والحياة..

العلم والفن أسلوبان لإدراك الحقيقة.. أحدهما يدركها من الخارج.. والآخر يدركها من الداخل.. أحدهما موضوعى والآخر ذاتى.

وأذكر أن هذه التعاريف طالما ألقت بى فى معارك حامية مع زميلى محمود العالم.. وهى معارك تبدأ دائمًا بتبادل الاحترامات، فأقول فى لهجة ملؤها التوكيد واليقين وأنا أدق المائدة بيدى: أؤكد لك يا محمود أنى احترم العلم.. وأعتبر الأسلوب العلمى الموضوعى أكثر الأساليب يقينًا ووضوحًا.. ولكنى لا أؤمن بالمفتاح الواحد الذى يفتح كل الحقائب.. فالعلم الذى يمدنى بالحقائق الأولية عن بيئتى وعن سكنى، وعن جسمى، وعن سلوكى، وغرائزى مفتاح جيد يفتح لى كل هذه الصناديق.. ولكن تبقى هناك حقيقة كبيرة داخلها.. تبقى أنا.. أنا.. ذاتى..

من أقرب إلى هذه الذات.. وهذه الأنا.. منى أنا نفسى.. وأى أسلوب مباشر لإدراك حقيقتها غير أسلوب المعاناة والانفعال.. إن الفن يقدم الاثنين فى وقت واحد.. يقدم الموضوعية العلمية والذاتية الانفعالية فى خلق واحد مكتمل.. إنه مفتاح ثان لتصوير الحقيقة.. وهو مفتاح خطير لا يجب إخضاعه لأى استبداد، وعلى العلم أن يقف عند حد تفسير الفن ولا يقيده..

ويجيب محمود وهو يمسح على شعره الأبيض: إن العلم يبحث فى كل شىء.. وعيبك أنك تنظر إلى العلم نظرة آلية تشريحية جامدة.

فأجيب فى تأكيد قائلا: إننى لا أنظر إلى العلم نظرة آلية جامدة.. إنه يرتبط عندى بالحياة.. بل إنه ليبدو فى نظرى

متطورًا على الدوام.. وحدوده فى اتساع مستمر.. وآفاقه تزداد عرضا سنة بعد أخرى.. ولكنه سيظل دائمًا مفتاحا يصل إلى الحقيقة من الخارج.. وهذا لا ينفى الأسلوب الآخر الذى يدرك الحقيقة من الداخل.. أعنى به الفن..

ويطول الجدل حول معنى العلم ومعنى الفن.. ولا ينتهى أبدا..

إن السؤال عن معنى أى شىء.. سؤال فلسفى، ولكنه ضرورى لرجل الشارع.. لأنه يساعده على تخطيط ذهنه.. وعلى معرفة أين تبدأ المعانى الكبيرة.. وأين تنتهى.. وأين يقف هو منها..

إن جملة ما كتب فى نقد الفنون عندنا حتى الآن.. أغلبه عمليات إرهابية كما قال بهاء.. وسببه أن الناقد لا يعرف معنى كلمة فن.. وبالتالى لا يستطيع تقييم الفن الذى ينقده.. وتطور الفن فى هذه المرحلة العصبية من تاريخنا يحتاج إلى حرية وهواء نقى.. ويحتاج إلى حراسة أقلام شريفة.

ولهذا أترك المقال مفتوحًا وأدعو صديقى وزميلى محمود العالم إلى الكلام.. فالجدل فى الحجرات المغلقة لم يعد ينفع..

إننا نتجادل فى الماء الذى يشربه القراء كل يوم على الورق.. ومن حق القراء أن يعلموا.. هل هذا الماء عذب أو مالح.. من حقهم أن يعرفوا المقياس الذى يكتشفون به غش اللبن..

فما هو المقياس عند محمود.. ما هو معنى الفن.. ومعنى العلم.. وأين يفترق الأسلوبان فى إدراك الحقيقة..

"مصطفى محمود"

ماذا يتوقع منى الزميل مصطفى محمود.. هل يتوقع مثلا - كما يوحى مقاله - بأن أقول إنه لا شىء سوى العلم، وأنه لا أحد أحق بصولجان الفن من العلماء أنفسهم، ثم أتمادى فأهيب بعلماء الصوت أن يؤلفوا لنا موسيقى وبعلماء اللغة أن ينظموا لنا شعرا، وبعلماء الجيولوجيا أن ينحتوا لنا تماثيل وعلماء الكيمياء أن يرسموا لنا لوحات.. ويبدو أننى سأخيب ظنه..

ذلك أنه لم تتفق آراء المفكرين قديما وحديثا على شىء قدر

اتفاقها على هذه الحقيقة البسيطة التى يكررها الزميل العزيز مصطفى وهى أن العلم نظرة "موضوعية" والفن نظرة "ذاتية" ومن هنا لا يذكر كلمة فرانسيس بيكون التى قالها فى بداية التفكير العلمى الحديث: الفن هو الإنسان مضافا إلى الطبيعة.. وكذلك كلمة كلود برنار فى القرن التاسع عشر: إذا كان الفن هو "أنا" فالعلم هو "نحن".. لا خلاف فى الحقيقة حول "موضوعية" التعبير العلمى، و"ذاتية" التعبير الفنى.. على أن الشىء الذى أختلف فيه تماما مع مصطفى ويختلف فيه المفكرون جميعا وينقسمون إلى معسكرين واضحين هو هذه الدعوى بأن العلم معرفة من الخارج.. وأن الفن معرفة من الداخل..

والدعوى فى ظاهرها توكيد للمعنى السابق موضوعية العلم وذاتية الفن.. ولكنها فى الحقيقة توجيه جديد تماما للمسألة وحول هذا التعبير البرىء الذى يذكره مصطفى يلتقى جميع الفلاسفة والمفكرين المتاليين.. لماذا؟..

إنهم يجعلون للحقيقة خارجا وداخلا.. ظاهرا وباطنا.. ثم يقولون للعلم: أيها العلم.. إن ملكوتك محدود بحدود الخارج، بحدود الظاهر فحسب أما ما وراء ذلك من جوهر، من حقيقة باطنة، من شىء فى ذاته، من مطلق، فهو أبعد من أن تبلغه مقاييسك وعدساتك..

أما هذا الباطن الخبئ .. هذا الجوهر المطلق فهو ملكوت الميتافيزيقا.. فلسفة ما وراء الطبيعة.. ما وراء الظواهر.. والعلم ليس العربة التى تقودنا إلى هناك.. وإنما السبيل هو الحدس، كما يقول الفلاسفة الغربيون أو المعرفة اللادنية والنفث فى الروع كما يقول الفلاسفة المسلمون.. فهذا السبيل الذى لا وسائط فيه ولا أدوات.. يندمج الإنسان بوجدانه - دفعة واحدة - بحقيقة الشىء وجوهره.

هذا هو سبيل الفن وسبيل الشطح الصوفى وهو السبيل الذى اختاره برجسون وكروتشه وعشرات المفكرين المثاليين والمتصوفة المسلمين واختاره أيضا مصطفى محمود..

إنه تعبير عن عجز المنهج العلمى وقصوره عن الوصول إلى الحقيقة المطلقة.. إلا أن العلم لا يعرف الخارج والداخل.. ولا تستعصى عليه حقيبة من الحقائب.. وهو إن لم ينجح فى فتحها اليوم فسيفتحها غدًا أو بعد غد.. حتى أسرار النفس، وأعمق أعماق الأنا.. إن حقيبة الذات أو الأنا.. التى يقول مصطفى إنها تستعصى على العلم يفتحها العلم كل يوم.. يفتح جوانب منها، ويلقى بأضوائه الباهرة على أسرارها الخفية.. والعلم لا يقتصر منها على دراسة البيئة والسكن.. والسلوك والغرائز والجسم.. هذه المظاهر "الخارجية" للأنا ، ولكنه يدرس العواطف ويحلل الانفعالات، ويتعمق الحب، ويكشف أسرار الحرية.. والعلم منهج رحب للغاية.. إنه لا يستخدم مشرطا واحدا لفتح كل الخزائن والمغاليق.. ولا يستخدم مخبارا مدرجا لقياس جميع الظواهر.. وهو عندما يدرس الحب لا يحيله إلى سائل ويسعى إلى تبخيره وتكثيفه، وعندما يدرس نصا أدبيا لا يسعى إلى قياس حرارته بترمومتر.. وعندما يعرض لظاهرة البطالة لا يشرحها بالمشرط الذى يشرح به أرنبًا.

لكل ظاهرة من الظواهر الإنسانية والطبيعية منهج علمى، ولكن هناك هدفا واحداً.. تلتقى عنده هذه المناهج جميعا، هو معرفة قوانين هذه الظواهر..

وعندما نعرف قوانين شىء نستطيع أن نوجهه كما نشاء.. نسرع من تطوره أو نوقف من هذا التطور أو نقضى عليه.. ونستطيع أن نتنبأ بكل مساراته فى المستقبل..

وعندما يعرف العلم قوانين الشىء.. قوانين حركته ونموه وتطوره، وعندما يسيطر على مصيره.. فلن يستطيع أحد أن يقول إنها معرفة من الخارج.. من الخارج فحسب.. ولكن أين هو الداخل..

الفن.. ما هو الفن؟..

يقول مصطفى إنه رؤية عاطفية ذاتية.. وهذا صحيح.. ولكنه غير كاف.. فالفن رؤية ذاتية.. لا تتمثل نتائجه فى معادلة

رياضية أو قانون منضبط شأن العلم.. ولكنه يتمثل فى قصيدة أو فى سوناتا أو فى لوحة أو ناطحة سحاب أو فيلم سينمائى، وهو لا ينقل إلينا "معلومات"، وإنما "تجارب وجدانية"..

ولكن هناك فارقًا كبيرًا.. بين أن يكون التعبير عن هذه التجارب تعبيرًا كبيرًا.. بين أن يكون التعبير عن هذه التجارب تعبيرًا ذاتيا.. وبين أن تكون هى تجربة ذاتية فقط..

ولعل مصطفى يذكر المناقشات الحادة التى دارت بينه وبين الصديق لطفى الخولى حول هذه التفرقة..

فالشعر الرومانطيقى مثلا والشعر الواقعى كلاهما تعبير ذاتى، ولكن الشعر الرومانطيقى شعر ذاتى.. ينقل أزمة الفرد المنعزل..

أما الشعر الواقعى فيعبر تعبيرًا ذاتيًا كذلك عن تجربة أشمل من تجربة الفرد.. تجربة تضع الفرد موضعه الصحى من حركة الحياة.. إنما نستطيع أن نجترئ ونسمى القلاع فى العصور الوسطى فنًا ذاتيًا.. إنها مخابئ يختبئ فيها رجال الإقطاع من ثورات الفلاحين ويخفون فيها ثرواتهم، ويقيمون داخلها حكمهم الاستبدادى.. ولكن بيوت العمال فى مارسيليا التى بناها المهندس العظيم لاكوربوزييه وفتحها للهواء والشمس ليست فنا ذاتيا وإن تكن تعبيرا ذاتيا لأنها فن.. إن هذه التفرقة الدقيقة تفيدنا فى التفرقة بين المدارس الفنية المختلفة.. إنها جميعا تعبير ذاتى.. وإنها جميعا تنقل إلينا تجارب وجدانية حية، ولا فن ما لم يكن تعبيرًا ذاتيا وجدانيا..

ولكن يبقى بعد ذلك سؤال مهم: ما مضمون هذا التعبير الذاتى.. هل هو مضمون فردى منعزل، أم مضمون يحتضن نموذجًا عريضًا من تجارب الآخرين؟..

على أن هذه الحقيقة ليست موضع خلاف كذلك وموضع الخلاف الجدى إنما فى أن الفن ليس مجرد رؤية عاطفية فحسب.. بل هو كذلك وفى الوقت نفسه ثمرة معرفة موضوعية علمية فليست الرؤية العاطفية وحدها هى التى ألهمت تصميم بيوت العمال أو محطة موسكو للمهندس لاكوربوزييه، وليست

وحدها التى أوجدت التطور، أو أتاحت الاتجاه التأثرى فى فن الرسم، وليست وحدها التى حققت الثورة الصياغية فى موسيقى بيتهوفن، وألحان سيد درويش..

والتى أنشأت فن السينما والتليفزيون.. وأوجدت فن كتابة الروايات المطولة والقصص القصيرة..

الفن ليس مجرد انفعال وعاطفة.. إنه معرفة موضوعية عميقة بالأشياء.. معرفة تستند إلى العلم ونتائجه.. وتتطور بتطور الحياة الاجتماعية، والتعبير الفنى تعبير ذاتى، ولكنه فى الوقت نفسه تعبير اجتماعى شارك المجتمع فى وضع ما فيه من أشكال.. وصياغات وصناعة، إنه تعبير تاريخى عميق الجذور بكل ما فى المجتمع البشرى من إضافات علمية وفكرية..

وفى كل مرحلة اجتماعية معينة ينشأ فن جديد.. له أشكاله الجديدة وخصائصه ووظائفه حقًا إن التعبير عنه يكون تعبيرًا ذاتيًا.. إلا أنه تعبير يحتضن الواقع الاجتماعى بكل ما فيه من قوى وطاقات وتجارب ومعارف.. فمثلا..

لماذا لم تبدأ الرواية قبل ظهور النظام الرأسمالى الحديث؟..

المسألة ليست انعدام الرؤية العاطفية الانفعالية قبل ذلك.. ولكن لأن الرواية المطولة كانت أداة من أدوات إسقاط النظام الإقطاعى وتنمية الحس الفردى فى النظام الجديد..

سرفانتس كتب "دون كيشوت" بأعصابه.. وانفعالاته.. ولكن دون كيشوت - بل كتابة الرواية نفسها - هذا الشكل الفنى الجديد، كان تعبيرا عن أوضاع اجتماعية متصارعة.. وكان تعبيرا موضوعيا..

وفن الرسم.. عندما اتخذ التطور أساسا له.. كان ذلك ثمرة دراسة علمية للواقع البصرى..

والتقت المعرفة العلمية والتطبيق الفنى عند ليوناردو دافنشى الفنان والعالم العظيم..

والمدرسة التأثرية فى الرسم.. كانت ثمرة المصابغ والدراسات اللونية فى القرن التاسع عشر وكانت تعبيرا عن ثورة اجتماعية..

والمدرسة التكعيبية ليست مجرد رؤية عاطفية انفعالية، وإنما تقوم على أقيسة هندسية دقيقة.. والمدرسة السيريالية إنما تقوم كذلك على الإيمان بنتائج علم النفس التحليلى ونتائج مدرسة فرويد بوجه خاص..

إن تطور الفن من رسم ثابت على كهوف العصر الحجرى.. إلى الصور المتحركة على شاشة السينما فى عصرنا هذا، ومن الدراما اليونانية ذات المسرح المستدير إلى الدراما الإذاعية، ومن أنغام الغابة المثقوبة والطبول، إلى التأليف الأوركسترى، ليس مجرد تطور فحسب للرؤية العاطفية الانفعالية للإنسان، بل هو ثمرة لتطور المجتمع وتطور الصناعة، وتطور العلم، إنه تتويج لهذا كله..

فى كل مرحلة من مراحل التاريخ كان يتخذ الفن طابعا يتفق مع نمو الصناعة والعلم فى هذا العصر، ومع طبيعة الأوضاع الاجتماعية المتصارعة..

حقا لقد كان الفن فى كل مرحلة من هذه المراحل تعبيرا ذاتيا.. ولكنه فى كل مرحلة من هذه المراحل كان يعبر عن الوضع الاجتماعى القائم ويستعين بكل إمكاناته الصناعية والفكرية .. ويحتضن كل التراث السابق عليه من أشكال وأدوات..

وهكذا يصبح الفن تعبيرًا ذاتيًا وموضوعيًا معا، إنه تعبير ذاتى أولا، وهو بما يستعين به من أدوات وأشكال ووسائل اجتماعية وما يتخذه من موقف اجتماعى فى اللحظة التاريخية المعينة إنما يحدد دلالته الموضوعية كذلك..

ولكن ما هو الفارق إذن بينه وبين العلم.. العلم يكشف القوانين المتحكمة فى الإنسان والكون، ويصوغها صياغة رياضية دقيقة، ويسعى للسيطرة عليها والتنبؤ بمساراتها فى المستقبل.

أما الفن فيقيم حياته على هذه المعرفة العلمية، وعلى الخبرة الإنسانية عامة، ويصوغها فى أشكال خاصة هى الأشكال الفنية المعروفة، على أن صياغته تأخذ تعبيرًا ذاتيًا..

والعلم والفن ليسا سبيلين للكشف عن الحقيقة أبدًا.. فلكل

منهما هدفه المستقل.. العلم يعرف قوانين العالم ليتمكن من تغييره.. تغيير العالم..

والفن يقتصر مجاله على القيم الإنسانية ويسعى إلى تغيير الإنسان عن طريق تعميق هذه القيم وتوحيدها ونقلها بين الناس.. ولكنهما يتصلان معًا فى نهاية الشوط..

العلم يغير العالم من أجل أن يغير الإنسان ويرفع من مستواه الفكرى والثقافى والمعيشى.. والفن - كما يقول كودويل - يغير وجدان الإنسان - ليتمكن من تغيير العالم..

وهما يتشابكان فى أكثر من موضع.. يتشابكان على خشبة المسرح، وفى لوحة الرسام وعلى شاشة السينما، وفى التوزيع الموسيقى.

وهما يحققان للإنسانية هدفًا توحيديًا جليلاً العلم يبحث عن الوحدة فى تنوع القوانين والظواهر..

والفن يسعى إلى التوحيد بين الوجدان الإنسانى.. بنقل التجربة، وتعميق الخبرة، وإشاعة القيم وإبرازها وتنظيم المشاعر والعواطف والانفعالات..

فى القرن التاسع عشر فى ألمانيا مثلا، كان الإقطاع الألمانى يترنح، وكان الفنان الألمانى يوحد الوجدان الألمانى حول قيم وجدانية جديدة..

كان بيتهوفن يحقق ذلك عن طريق الموسيقى وجيته وشيلر وهيلدرلن عن طريق الشعر.. وكانت وفخته وهيجل عن طريق الفلسفة، وكان الصراع الاجتماعى فى الوقت نفسه على أشده بين قوى الإقطاع والتفكك والدويلات الصغيرة، وبين البرجوازية الجديدة الساعية إلى الوحدة والتطور.. وكان العلم الإنسانى المنضبط يدفع هذا كله ويمده بالطاقة التى لا تنفد..

إن الفن والعلم ليسا أسلوبين مختلفين للوصول إلى الحقيقة وإنما هما أسلوبان متكاملان للمعرفة ليس بينهما تنازع ولا صراع.. وإنما يصب كل منهما فى الآخر.. ولكل منهما سكوته..

العلم يسعى بالربط والضبط بين حقائق الوجود الإنسانى

والمادى.. والفن يسعى بالوحدة بين مشاعر البشر وقيمهم.. إنهما وسيلتان ثوريتان لتغيير العالم وتطوير الإنسان، ودفع التقدم..

"محمود أمين العالم "

عزيزى محمود..

أرجو أن تعود إلى مقالى، لقد قلت بالحرف الواحد إن الفن هو التقاء الموضوعية العلمية الذاتية الانفعالية فى خلق واحد مكتمل..

قلت إن العمل الفنى هو موضوع مضاف إليه قطعة من الذات وليس ذاتاً منعزلة على الإطلاق، لقد خلقت خلافا لا وجود له، ولم تأت بجديد، ومازلنا حيث كنا..

وأما عن حدود العلم فقد ذكرت أنا.. أن تقدم العلم غير محدود فى الزمن الطويل.. وقلت إنه معرفة من الخارج، أما أن العلم يستطيع أن يدرس العاطفة.. فهو ليس جوابًا لأن العاطفة شىء والذات شىء آخر..

"مصطفى محمود"

أصداءٌ ورؤى

لكتاباتِ مصطفى محمود

أَعَدْتُ قراءةَ ما كَتَبَ مصطفى محمود من كُتُبٍ هى مقالاتٌ جمعها،

أو كتب كتبها فى إطار سياقٍ واحدٍ،

أو أعماله الأدبية،

واستعدتُ أشياءً كَانَ الزَّمنُ قَدْ طواها، وبحثتُ فى ذاكرتى،

وفى ذاكرةِ المؤسّساتِ التى عمل فيها كاتبًا،

وقرأتُ الكُتُبَ التى كُتِبَتْ عنهُ

وهى للأسف قليلةٌ لم تتعد أصابعَ اليَدِ الواحدة،

وإنْ كانَ واحدٌ فقط منها كان مصطفى محمود دائمَ الحديثِ عَنْهُ

وهو الكِتَابُ الذى كَتَبَه الراحل جلال العشرى عنه

وكم حدَّثنى كثيرًا عن هذا الكتاب باعتباره أفضل وأهم وأعمق ما كُتِبَ عَنْهُ،

بينما بقيةُ الكتب هى حواراتٌ مطوَّلةٌ مع مصطفى محمود الذى كانَ يريدُ دائمًا مَن يحلِّلُ شخصيتهُ،

ويفكُّ لُغْزَهُ، ويسبرُ أغوارَهُ،

ويتعاملُ مع غوامضهِ وبواطنه كإنسانٍ وكاتب.

وأنا أبحثُ لأُنجِزَ هذَا الكتابَ - توقَّعتُ - مثلًا - أن أجدَ مئاتِ

المقالات أو الدراسات عن مصطفى محمود،
ولكننى لم أجد إلا القليل الجاد من أسماء أجلها وأحترمها قد كتبت عنه منذ عام ١٩٦٠ وحتى التسعينيات من القرن الماضى،
أى خلال أربعة عقود،
وجاءت من كتاب مختلفين فى توجهاتهم الفكرية والأدبية والأيديولوجية،
فمنهم اليسارى ومنهم الشيوعى ومنهم اليمينى ومنهم الليبرالى، إلى غير ذلك من التصنيفات.
وإن كانت أغلبها ممن كانوا قريبين من مصطفى محمود فكريًا خصوصًا فى حقبتى الستينيات والسبعينيات،
أى بعد التحول الفكرى الذى حدث له.
وفى تلك الحقبتين كانت كتبه أو قل أعماله الكاملة - وقتذاك - قد نشرت فى بيروت،
أى تم "تدشينه" كصناعة تغزو عربيًا، مثل رفقائه فى الشعر والرواية والقصة القصيرة، التى استوعبتهم بيروت خلال هاتين الحقبتين.
وأنا أبحث
توقفت أمام الأسماء "الكبيرة" و"اللامعة"
التى تناولت كتابات مصطفى محمود،
وكذا بعض الحوارات العميقة التى أجريت معه،
ولكننى توقفت أكثر، واسترعى انتباهى أن الكتابات قلت أو قل ندرت أو اختفت أو صمتت، ولم يعد ينتبه أحد من أبناء جيله (وهو من جيل الخمسينيات مع يوسف إدريس ومحمود السعدنى ونعمان عاشور وصلاح حافظ وحسن فؤاد وفتحى غانم وآخرين)
أو من أبناء معسكره السابق (أهل اليسار والشيوعيون فى مصر والبلدان العربية). ولم تعد هناك مقالات تواكب ما ينشر أو يصدر من كتب.
وكان أغلب ما كتب عبارة عن متابعات صحفية، أو نقد شديد

اللَّهجة أقرب إلى النقض والتقويض والتهجُّم على ما يَكْتُبُ، وصار التعاملُ معه كأنه مُقدِّمٌ برَامج تليفزَيونية،

وكاتبُ مقالات سياسية فى الصحافة،

مثله مثل أىِّ كَاتب صحفىٍّ، كأنَّ تاريخَهُ الإبداعىَّ لم يَشْفَعْ لَهُ عند رفقاء جيله وفكرهِ (السَّابق).

ولولاَ أنَّ كُتُبَهُ كَانَ يُعَادُ طَبْعُهَا بشكل دائم وَمُسْتمر ولافت للانتباه (دار المعارف وأخبار اليوم)

نظرًا لإقبال الأجيال الجديدة عليها، رغم خفوت الضَّوْءِ الإعلامىِّ عَنْهُ، وَعزلته وصَمته، وانقطاعه عن الكتابة، والتزامه بَيْتَهُ، بعدما (اشتدَّ عليه المرضُ).

واستطعتُ خلالَ بَحْثى

أَنْ أفُوزَ بعدد من المقالات كُنْتُ أَعَدْتُ نَشْرَ بَعْضها فى مجلة "الشُّموع" فى العددِ الذى خصَّصْتُهُ عن مصطفى محمود العدد ٧٠ - يونيو ٢٠٠٨،

وفُوجئ من حَوْلى من الكُتَّاب والأدباء بـ "حجم" الأسماء التى كَتَبَتْ عن مصطفى محمود على مَدَار أربَعين سنة، ولمَّا قَرَّرْتُ ألا أكتفى بهذا العدد من "الشموع"، رأيتُ أَنْ أُخَصِّصَ كتَابًا لواحد مِمَّنْ أثروا وأضافوا وأناروا الحركة الثقافية والأدبية المصرية والعربية،

فَزِدْتُ فى بَحْثى، وعثرتُ على بضع مقالات أُخْرى أَرَاهَا نادرةً الآنَ، وَربَّما لا يتَذكَّرُهَا مصطفى محمود نَفْسُهُ، وهى تُضَافُ إلى سابقاتها، لتشكِّلَ صُورةً عن غِنَى وتنوُّع وتعدُّد مصطفى محمود،

إذ جاءتْ هذه المقالاتُ متعدِّدةَ الرُّؤى والأساليب والمناهج والنظرات والقراءات بحيث أتتْ أصداءً موازيةً أو متعَانقة معَ مُنْجَز مصطفى محمود الأدبىِّ والثقافىِّ الذى اتسم بالجَمْع بين ما هو سَياسىٌّ وما هو إبداعىٌّ.

وأكتفى هُنا ببَعْض منهَا، طَامحَةً أَنْ تُجْمَعَ هذه الدراسات والمقالات فى كتَابَ، وهىَ فى حوزتى، كىْ تفيدَ الباحثينَ والقُرَّاء على حَدٍّ سَوَاء.

قصة .. صاحب القصة

كامل الشناوى

زارنى اليوم الدكتور مصطفى محمود وقدم لى قصته الجديدة "المستحيل".. وكنت أتابع قراءتها فى مجلة صباح الخير، بشغف، وسألت مصطفى وأنا أبدى إعجابى بها، متى سنقرأ القصة كاملة فى كتاب، فقال : عندما نجد الناشر

وعقبت قائلا: ألا يوجد عندنا ناشرون؟

فأجاب: عندنا ناشرون ولكن ظروفهم تمنعهم من دفع الثمن المجزى للمؤلفين.. ولعل لهم عذرا .. فإن إقبال الجمهور على شراء الكتب، قد تحول كله إلى الصحف والمجلات

وفهمت من مصطفى أنه سبق أن طبع بعض كتبه على نفقته، فدرت عليه أرباحا لا بأس بها.

ولكن إجراءات الطبع والنشر أخذت كثيرًا من وقته الذى يخصصه للقراءة، والكتابة، والاستماع إلى الموسيقى والراديو ومشاهدة المسرح، والسينما، والتليفزيون.

ولم يشر مصطفى إلى الوقت الذى يقضيه فى مهنته الأصلية، وهى الطب.. ولما نبهته إلى ذلك ضحك بصوت مرتفع، كأنى أقول نكتة

ـ جريدة الجمهورية بتاريخ ١٩٦٠/١٢/١م.

والواقع أنه من حسن حظ الفكر، وحسن حظ المرضى أيضًا.. أن مصطفى محمود الطبيب ذاب فى مصطفى محمود الكاتب المفكر

وأكد لى مصطفى أنه إذا استمر الحال على هذا المنوال فإن المؤلفين سيضطرون إلى أن يقوموا بدور المؤلف، ودور الناشر معاً

وتسلمت قصة المستحيل من مؤلفها وناشرها مصطفى محمود.. وفرحت بها، فقد أتيحت لى فرصة قراءتها مرة أخرى.

أين النفس؟

والواقع أن "المستحيل" قصة جديرة بالقراءة أكثر من مرة، فهى تقوم على فكرة فلسفية عميقة.. الإنسان دائما يبحث عن نفسه، إنه يطرق كل باب، ويتجه إلى كل ناحية، ويفتش وينقب عن نفسه الضائعة.. هل هى فى الجنس؟ هل هى فى الحب؟ هل هى فى الثراء؟ هل هى فى العمل والإنتاج؟

وفى قصة "المستحيل" نجد البطل يحس بأن نفسه ضاعت منه.. أن كل ما حوله من جو ، وأوضاع ، وملابسات لم يكن له فيه حق الاختيار.. إنه لا يعمل إلا ما يريده له أبوه..

مهنة الهندسة فرضها عليه أبوه هذه الصور اختارها له أبوه.. حتى الزوجة التى تزوجها ليست من اختياره ، هذه الغرف الخمس أسكنه فيها أبوه.. ولكن من اختيار أبيه.. ومات الأب بعدما عاش حياته ، وحياة ابنه..

ويخلو الولد - وهو بطل القصة - إلى نفسه، فيسجل فى مذكراته هذه الخواطر:

هذا أول يوم أجلس فيه مع نفسى، وأنظر وجها لوجه فى حياتى، وأتأملها.. أى حياة ؟ إننى لم أعش أبدا.. ليس فى حياتى يوم واحد أقول إنه كان يومى..

إننى لا أعيش ولكن أتدحرج كحصاة كبيرة ثقيلة.. تسوقنى الوظيفة إلى المكتب.. ويجرنى الزواج إلى البيت .. ويدفعنى الملل إلى المقهى.. ويلقى بى الجوع إلى مائدة الطعام.. ويقهرنى الغيظ على التدخين.. ويقذف بى التعب إلى الفراش.

خمسة وعشرون عاما مرت من عمرى كأنها لا شيء.. ازددت في الوزن.. في الطول.. في العرض.. ولكني لم أزدد في الحياة .

والبطل يحس ضياع شخصيته فيقول: حتى الجاكتة التي ألبسها كانت مسكينة مثلي، بلا شخصية، تطول، وتقصر، وتتسع، حسب الموضة.. الحياة كلها كانت تلبسني.. حركاتي تلبسني.. وأنا أتضاءل سنة بعد سنة تحت الردم.. تحت ركام كلمات كبيرة لزجة

ويتحمل الولد عبء الحياة بعد وفاة أبيه، يحاول أن يمشي فيجد قدميه مكبلتين بأوامر الأب.. بالعادات.. والغرف.. والتقاليد.. حياته تردد، وتوجس، وخوف، من كل شيء، ومن لا شيء

كيف يواجه الحياة قبل أن يجد نفسه وأين هى نفسه؟ هل هى في الحياة الزوجية التي لم يكن له فيها إرادة أو اختيار؟ هل هى في البنوك التي تكدس فيها رصيد والده وأصبح وارثا لها؟ هل هى في الأرض الطيبة التي ورثها؟ هل هى في الوظيفة؟

كلا، إنه زوج، وموظف، وصاحب رصيد ضخم، وأطيانه كثيرة.. ومع ذلك فهو يبحث عن نفسه فلا يجدها

لعله يجد نفسه في إدارة أطيانه الواسعة.. ولكنه لا يكاد يتجه إلى هذا الاتجاه حتى ينتابه الملل، والاشمئزاز .. لقد عزل الخولى القديم، وعين آخر مكانه.. وسال دم الخولى الجديد.. دم، وقتل، ورعب.. إن نفسه التي يبحث عنها لا يمكن أن تكون هناك

هل يجد نفسه في اللذة؟

لقد كانت علاقة جنسية بينه وبين فاطمة المحامية ، ولكنه لم يجد نفسه في هذه العلاقة..

وأحب "نانى" فلم يجد نفسه ولكن وجد ضياعا جديدا له ولها.. فهى متزوجة من رجل كان زوجا لأختها ولها منه أولاد! وهو متزوج وله أولاد، وإذا تزوج من "نانى" فقد أولاده وقد لا يجد نفسه، وفقدت هى أولادها وقد لا تجد نفسها

ولكن ألا يستطيع الحب أن يقهر هذه الصعوبات؟ لا ..

فالحب طاقة من الشعور أكبر من الواقع.. لا يوجد فى واقعنا ما يمكن أن يستنفد طاقتنا من الحب، إن العثور على النفس فى الجنس مستحيل.. فالجنس لذة تنتهى.. والعثور على النفس فى القوة مستحيل.. فالقوة تضمر وتنكمش.. والعثور على النفس فى الحب ثالث المستحيلات .. لأن الحب نظرية عاطفية لا يمكن تطبيقها فى الحياة

وأخيرا يحاول البطل أن يجد نفسه فى عمل يختاره، ويمارسه، ويشرف عليه وينشئ مصنعا لإصلاح السيارات .. ويسجل خواطره فيقول:

النفس والعمل

منذ شهر وأنا أعمل فى ورشة السيارات التى فتحتها، كل يوم من الصباح إلى المساء أشعر بلذة من الانهماك فى عملى.. أشعر بسعادة لأنه عملى.. أوظف فيه خبرتى، وذكائى، ومجهودى، دون وساطة أحد.. أنا والآلة نقف وجها لوجه ، أفكها، وأربطها، واضبطها، وقد تطورت العلاقة بيننا إلى صداقة فأنا أصادقها كأنها آدمى له قلب، وأحشاء، ولحم، ودم

تمنيت اليوم وأنا راكع تحت إحدى العربات لو أنى استطعت أن أفك نفسى وأعيد تركيبها، تمنيت لو أنها طاوعتنى .. إن الحديد يطاوعنى ولكن قلبى لا يطاوعنى

إننى أبث عقلى فى الآلة فتتحرك وتنتظم ولكنى عاجز عن أن أبث عقلى فى عاطفتى

ولكن هل وجد البطل نفسه فى العمل الذى اختاره؟ إن أشواقه، وهواجسه ونزوات عاطفته وحنينه إلى حبيبته "نانى" لا تزال تحرقه.. وهو يود لو عاد إليها وإن كان يعلم أن نفسه ليست هناك، ولكنهما لا يلتقيان أبدا.. إنه لا يجد نفسه بالإرادة الصغيرة، إرادة الشهوة والحب، ولكن بالإرادة الكبيرة.. سيجد نفسه، وستجد "نانى" نفسها.. الإرادة الكبيرة بالنسبة إليها أن تعيش لأولادها، وبالنسبة إليه أن يعمل فى الورشة

ربما كان هناك أوجه شبه متعددة بين بطل القصة ومؤلف

القصة.. ولكنى سأختار منها وجها واحدًا، هو أن البطل ورث عزبة ووظيفة مستقرة فأصابه الملل وأخذ يبحث عن نفسه بلا جدوى.. فترك كل شىء وفتح ورشة لإصلاح السيارات

وكذلك مصطفى محمود ورث عزبة هى دراسة الطب، ووظيفة طبيب، وترك الوظيفة، وترك مهنته، لشعوره العميق بالملل، ورغبته الملحة فى البحث عن نفسه.. ترك المهنة والوظيفة، وفتح ورشة لصنع الأفكار والأشواق.. وتركيب الحروف والكلمات.

الأدب الحزين

د. لويس عوض

لست أدرى ما سر هذا الحزن الهادئ الذى يشيع فى أعمال قصاصنا الشاب، الدكتور مصطفى محمود، فالذى لاشك فيه أن أكثر قصص مصطفى محمود قصص حزينة، وهو كلما انتقل من مجموعة إلى مجموعة انتقل من حزن إلى حزن وفى هذه المجموعة الأخيرة من أعماله، وهى "شلة الأنس" نجده لا يقل حزنًا عنه فى كتبه السابقة مثل "المستحيل"، أو "قطعة السكر" أو "أكل عيش"، وحتى كتبه المتفلسفة مثل "الله والإنسان" و"لغز الموت" كتب يشوبها الحزن كذلك. ولكن حزن مصطفى محمود حزن هادئ لا حزن عنف، ولأنه حزن هادئ ورتيب لا تتخلله أفراح ولا تقطر منه دموع، أراه حزنًا عميقًا مخيفًا يدعو المرء إلى تأمله وتأمل صاحبه، ويفضى إلى السؤال الوحيد: ترى هل ظهرت فى أدبنا مدرسة المتشائمين؟

فإن بحثت عن مكان واحد فى "شلة الأنس" يصارحك فيه مصطفى محمود بأنه حزين لم تجد هذا المكان. وإنما وجدت أن فى كل قصة من قصصه القصيرة التفاتة إلى وجه من وجوه الحياة يدعو إلى الانقباض، وربما إلى اليأس أيضًا. ويبلغ هذا

- جريدة الأهرام بتاريخ ١٧ - ٥ - ١٩٦٣م.

الانقباض قمته حين تحس بأن أبطال مصطفى محمود وأشخاص قصصه يبحثون دائما أبدا عن شىء مستحيل وكأنهم أطفال بسطاء أطهار يمدون أيديهم إلى النجوم ليمسكوا بها ولكن هيهات هيهات أن يدركوها. وليس يحضرنى لتصوير هذا اليأس الكونى الذى تخصص مصطفى محمود فى التعبير عنه إلا أبيات للشاعر "شلى" تحدثنا عن:

"شوق الفراشة إلى النجم
وشوق الليل إلى النهار
شوقنا إلى شىء بعيد
عن دائرة أحزاننا".

وهذا الشوق إلى شىء بعيد موقف رومانسى مألوف نجده فى عامة الأدب الوجدانى، ولكن مصطفى محمود يمعن فيه إلى درجة تخرجه عن دائرة الشاعرية الرومانسية المألوفة وتجعل منه موقفا شبه فلسفى من الحياة ومن طبيعة الوجود. فبينما يذكرنا "شلى" بأنه حينما وجد لهب حومت من حوله الفراشات، يوحى لنا أيضًا بأن الفراشة وهى لا شىء غير روح الإنسان حين تنزع إلى النجم البعيد الوضاء إنما تنزع إلى نور الأبدية الهادئ ولقد تحترق الروح بنور الأبدية أو بنارها ولكن الأبدية "حقيقة" لا مرية فيها تتلألأ من بعيد. وبينما يذكرنا "شلى" بأن ليل الحياة مشوق دائما أبدا إلى نهارها، يوحى لنا أيضا مادام هناك فلك دوار فإن النهار لا شك سيعقب الليل، وأن وراء كل ليل نهارا، أو كما قال "شلى" فى مكان آخر: "يا رياح لئن جاء الشتاء فهل يطول انتظارنا للربيع؟".

أما مصطفى محمود فهو يدخلنا فى "شلة الأنس" وفى بقية قصص هذه المجموعة مثل "مدام س" و"البطل" و"المظاهر" و"دواء منوم" بل وفى "ساندويتش مخ" وفى "مسألة كرامة" .. إلخ، يدخلنا فى شتاء ليس بعده دفء ولا ربيع. فإن جاء بعد الشتاء ربيع كما حدث لحليمو العجلاتى فى "شلة الأنس"، فهو ربيع أشد صقيعًا من الشتاء. وهكذا يسقط الظل دائماً فى مصطفى محمود بين الحلم والحقيقة وبين ما ينبغى أن يكون وما هو كائن بالفعل،

ويمس الإنسان سقف السعادة وكأنه يمس سقف الكون، ولكن للحظة واحدة ثم يتمزق السقف فى يده وكأنه نسج من نسيج العنكبوت. وحين يتمزق نسيج الأحلام فى يد الإنسان لا نسمع مصطفى محمود يصرخ كما صرخ "شلى": "واها لى، على أشواك الحياة أهوى ويدمى جسدى"، وإنما يحمل كل منا يأسه فى شجاعة وهدوء، بل وأحياناً فى غباوة وكأنه لا يفهم شيئا مما يجرى حوله، يحمله كصليبه، يحمله وكفى، أو كما قال الشاعر العظيم "أ. أ. هاوسمان" "لأن كل ابن أنثى يشقى بهيكله العظمى"، وكأنه يحمل فى هيكله العظمى صليبه، أو كما قال الشاعر العظيم "أراجون": كلما فتح المرء ذراعيه على أشواق الحب والسعادة ليحتضن حبيبته انتشر ظله على الحائط كصليب أبدى.

فالظل إذن هو مشكلة مصطفى محمود، الظل الملازم للوجود، فإن كنت من السعداء سقط ظلك من خلفك فلم تره وسعيت فى هذا العالم تحمل ظلا لا تراه ويراه غيرك كما حدث لحليمو ورفاقه.

وإن كنت من الأشقياء سقط ظلك أمامك فرأيته رؤية العين وعشت بعذابه كما حدث لفطمطم أو للأستاذ حجاب فى "مدام س" ولكن الجميل فى أبطال مصطفى محمود أنهم يحملون كل هذه الأعباء والأثقال فى شجاعة وقبول، وكأنها عندهم سنة الحياة أو إرادة قدر قاس لا سبيل إلى تغييره أو الاحتجاج عليه، وربما يذرفون دمعة أو دمعتين أو يطلقون آهة أو آهتين لأنهم بشر من لحم ودم، بل بشر جدا فيهم كل ضعف البشر وسذاجتهم وتعلقهم بجزئيات الحياة. ولكنهم سرعان ما يكفكفون الدمع ويخوضون تجربة السعادة المسلوبة فى شجاعة كشجاعة الرواقيين.

ولا تحسب رغم كل هذا الكلام أن مصطفى محمود يحدثك فى قصصه عن النجوم والكون والظلال والضياء وعامة هذه المجردات التى نتذرع بها لنصف وجوه الحياة، فمصطفى محمود ككل فنان أصيل أبعد ما يكون عن لغة التجريد.

تقرؤه فتحس بأنه رجل يعيش بلا أفكار لأنه يترجم أفكاره دائمًا أبدا إلى أحداث الحـ ياة، أو على الأصح هو لا يترجم الأفكار إلى

أحداث ولا يترجم الأحداث إلى أفكار، وإنما يبدأ بأحداث الحياة وينتهى بها، وإنما يدفعك دفعا إلى الإحساس بهذه القوى المجهولة التى تكيد للبشر باستمرار لكثرة وقوفه أمام تناقضات الحياة.

وهو يجول بك فى "شلة الأنس" مثلا فى حارة أشبه ما تكون بزقاق المدق ويعرفك بليمو أو حليمو العجلاتى وبأبو سريع الدخاخنى وعزوز الخردواتى وبرعى البقال ومنصور الحلاق والشيخ رشوان المكوجى، وهى الشلة التى كانت تجتمع كل مساء حول الجوزة والمعسل، كأن الجوزة هى البؤرة التى تتجمع فيها كل خيوط القصة وتحفظ وحدة الحدث والزمان والمكان التى حدثنا عنها أرسطو. وهو يعرفك مع كل هؤلاء ببنات الحى، من تراه منهن مثل الممرضة فطمطم وصاحبتها بسبس أو بسيمة، ومن لا تراه منهن مثل زوجات الشيخ رشوان والخادمات المترددات على دكان عزوز. وسرعان ما نكتشف أن لكل من هؤلاء حلما صغيرا يعيش له ويسعى أو لا يسعى لتحقيقه وسرعان ما نكتشف أن لكل من هؤلاء شخصيته المتميزة تمام التميز عن كل من عداها رغم أنهم جميعًا يجمعهم إطار واحد هو بيئة الحى وعقلية الحى وثقافة الحى ومنطق الحى. فإذا حدثك مصطفى محمود عن الفتى سعد طالب الطب وأخى بسيمة وحبيب فاطمة، أحسست فورا بأنك إزاء جسم غريب فى هذا التكوين الطبيعى، رغم أن سعد نابع من البيئة نفسها لأنه ابن أم بلبل.

وكعامة البسطاء نجد أعضاء شلة الجوزة يحلمون بصوت مرتفع. أما حليمو العجلاتى بالذات فلم يكن له حلم واحد ولكن كان له حلمان. كان يحلم باختراع صواريخ كصواريخ "جاجارين" أدواتها من أدوات العجلاتى ووقودها من حرارة العنبر ومن أنفاس الجوزة، ولكن حلمه الأكبر كان الممرضة فطمطم بنت الجيران التى أذلت بشموخها وسلاطتها وأنوثتها وذكائها كل شباب الحى ومسحت شخصيتها كل شخصياتهم، فكانت الأمنية المستحيلة فى صدر كل منهم، ولا سيما فى صدر حليمو. أما فطمطم المتجبرة على حليمو فقد كان حلمها العزيز الرقيق الجارف المعز

المذل هو حبها لسعد طالب الطب الأشقر الرقيق النحيل الهش الذى يكاد يذوب لفرط نعومته وكأنه بنت تذوب خفرا وحياء، وكان من نقائض الحياة أن تزهد كل هذه الأنوثة المتفجرة فى رجل كحليمو له قوة الثور وفحولة الرجال الأجلاف الأشداء ولا تجد من تنجذب إليه إلا هذا الفتى الجميل النحيل المؤنث القسمات والطباع، كأنما القانون الأول فى الحياة هو تجاذب الأضداد وتنافر النظائر ويتم تداخل الأضداد حين تكشف فطمطم أن سعد يبادلها الحب ويسعد معها بأمل الزواج. ولكن حلمها الأكبر لم يلبث أن طار بعد أن تخرج سعد وعرفت منه أن أمه لا ترضى بهذا الزواج وأنه لا يستطيع أن يعصى لأمه أمرا. فأدركت فطمطم بفطنتها أن هذه نهاية القصة الجميلة، لأنها لو وفقت فى الزواج من حبيبها الضعيف فلن ينتهى أمرها إلا بأن تصبح خادمة لأمه. ولم تكف فطمطم عن حب سعد وهلة واحدة ولكنها عرفت أن ساعة الانصراف قد حانت فكفكفت دموعها وحملت قلبها الكسير إلى ذلك الفحل الرومانتيكى الرابض فى ذلة عند بابها رهن إشارة منها. وهكذا تلاقت النظائر فى الحياة، ولكننا نعلم أن قلب فطمطم ظل دائما يحوم حول حبها الأول والأخير.

كذلك كانت أحلام الباقين أحلاما غير قابلة للتحقيق إلا بالوهم. فمنصور الحلاق له أمنية واحدة أو على الأصح ندم واحد كبير، وهو أنه لم يكن كوافير سيدات وهو حلم يائس لأن منصور قعيد الهمة لا يفكر فى العمل على تحقيق حلمه بتعلم هذا الفن، وإنما يكتفى بسب الزمن الذى لم يخلقه ملما به كأن البشر يولدون بصناعاتهم فى الحياة. أما الشيخ رشوان المزواج فنعرف من نظرياته فى الزواج حقيقة ما يجرى فى بيته، فهو يرى أن الحكمة فى شريعة تعدد الزوجات هى جعل الزوجات يتنافسن على إرضاء الزوج فنعرف من فلسفة التعويض هذه أن له مشكلة هى مشكلة تنازع السلطة فى بيته بينه وبين امرأته فهو ملك بلا رعايا أو ملك برعايا وهميين، وعزوز الخردواتى بعد التفاف خادمات الحى حول دكانه يكتشف وهمه الكبير وهو أنهن

كن يجثنه "لاستقطاع" الغوايش والحلقان والمناديل لا لسواد عينيه أو إعجاب بشاربه المدبب المخفف. حتى برعى البقال الإمعة الضائع فى عالم خال من الأحلام، والمؤمن على كل ما يقال ولو كان نقيض ما قيل منذ دقائق، هو الآخر يفيق فى النهاية على أنه يحيا بلا أحلام ويتكون فى ذهنه لأول مرة حلم ببنت الحلال، ولكنه لا يلبث أن يختم حائرا: "بس فين هى بنت الحلال" كل هذه الشخصيات عند مصطفى محمود هى دراسات فى المستحيل، المستحيل من الداخل والمستحيل من الخارج على حد سواء.

وتبلغ قمة المستحيل فى هذا الكتاب فى قصة "مدام س" التى أعدها مع "شلة الأنس" أجود ما فى الكتاب، وإن فاقتها قسوة وضراوة، ولكنها كالعادة قسوة مكظومة وضراوة خفف من وقعها أنها ذابت فى الحزن العميق. فالأستاذ محجوب وهو موظف مريض لسنوات طويلة بروماتزم القلب، هو دراسة فى الوحدة والانطوائية واعتزال الحياة والأحياء. نراه بفندق الليدو بمرسى مطروح يقضى طرفا من الصيف بغرفته ذات السريرين، يكلم الفراش الخالى، وكأنه يكلم نفسه، وهو فى حقيقة الأمر يكلم شريكة العمر التى لا وجود لها حتى فى عالم الأمانى، ويستعين على ملل الشاطئ والصحراء بالروايات المكتوبة ومن حوله روايات الحياة تترى بين المصطافين، أو قل هو يستعين بروايات الكتب حتى تصرفه عن روايات الحياة. فهو يعلم أن من كان مثله مريضا بروماتزم القلب كتب عليه أن يلزم عالمه وإلا هلك، فهو لن يكون بطلا فى رواية أو حتى شخصية ثانوية أو حتى أن يكون مشاهدا للحياة خشية أن تؤذيه الانفعالات وذات يوم خرج إلى البلاج ونسى نفسه أمام امرأة جميلة هى "مدام س" تلاعب طفلها فأخذ أولا يشاهد فخفق قلبه بحب صغير فبدأ يشارك، ثم نسى نفسه تماما فاندمج فى لعبة الحياة البريئة ومضى يعدو خلف الكرة ويقذف بها ويحاورها بين الأم وطفلها ولم يكن يحتاج إلى أكثر من دقائق لتدهمه أزمة القلب، فهرع إلى غرفته فجأة دون استئذان حتى لا تقف السيدة على مرضه وبعد أن عالج سكرات المرض واستعان عليها بالدواء نهض وأسدل

الستار. وغطى عينيه "حتى لا يرى نور النهار" كأنما الستار وحده لا يكفي. لقد كان بحاجة إلى أطباق من الحجب لتدرأ عنه كل ما فى هذا العالم من ضياء وبهاء.

قصة أخرى أحببتها وإن كانت أقل جودة من هذه وتلك هى قصة "المظاهر" وهى تذكرنا بإحسان عبد القدوس فى قصصه القصيرة وطريقته فى الإنشاء أكثر مما تذكرنا بمصطفى محمود، وهى قصة مدرسة خشنة المظهر تبدو عليها مظاهر الرجولة أحبت زميلا لها فى المدرسة، وتأهبت للحب فأخذت تتجمل لتبدى أنوثتها. ونشأت بينها وبينه صداقة متينة وبعد شهور من عذب الأمانى وجميل الأحلام فاجأها زميلها بقوله: "جسمك رياضى درجة أولى أنت لازم تلعبى سويدى.. وتجديف ومصارعة.. أنت عندك مواهب خطيرة، جمعية موسيقى إيه يا شيخة إللى واخداها أنت مكانك فى الإستاد الرياضى.. رئيسة فريق الهوكى" وهكذا نترك هذه الفتاة الحائرة ونحن نسمع لسان حالها يقول "روحى ناعمة بللورية.. وعواطفى تتدفق كأنهار من العطر.. لشدة ما تكذب المظاهر يا ربى..".

ولكن مصطفى محمود ليس دائما فى مستوى واحد من الاتقان الفنى. فمن قصصه ما هو محدود القيمة، وهذه هى قصصه التى يمكن أن يسميها الدكتور محمد مندور قصص "الاوتشرك" أو الريبورتاج الأدبى، ولعلها من آثار اشتغال مصطفى محمود بالصحافة وكتابته لجمهور المجلات الأسبوعية. وهى كلها قصص "لذيذة" و"طريفة" و"مسلية" إلى حد كبير، ولكنها ناقصة من الناحية الفنية لأنها جهيرة النبرة تحاول "إثبات" فكرة من الأفكار.

ومثل هذه القصص قصة "البطل" وهى تدور حول شخصية "جوليانو" البطل فى سرك ميدرانو، تتعلق أنفاس المشاهدين لشجاعته فهو يضع رأسه فى فم الأسد، ثم نتبين أن الأسد أسد عجوز بلا أسنان، ونخرج بالموعظة وهى أن الناس سعداء بجهلهم. موعظة أخرى نخرج بها من قصة "ساندويتش مخ" وهى أن مخ العبقرى ومخ الأبله يتساويان فى القبر. فهذه قصة السفاح جاد الرب عوضين، الذى دوخ البوليس أعواما، ولم يمت كما كان

ينبغى لمثله أن يموت، صريعا فى معركة بطولية بل مات بالسكتة القلبية كما يموت أتفه جبان. وكان بلا أوراق تحقيق شخصية فانتهى إلى مشرحة قصر العينى حيث مزقت أوصاله إربا إربا وفتت مخه لتعليم التلاميذ. كذلك قصة "مسألة كرامة" قصة محدودة القيمة، وهى أقرب إلى اللقطة الصحفية منها إلى العمل الفنى، فهى قصة جماعة يقتلهم الملل فى القهوة فيبتكرون لعبة لدفع الملل وهى الرهان على شرب أكبر كمية من الماء.

وينتهى الأمر فى حمى المنافسة أن ينسى المتراهنون حكاية اللعبة وتسيطر عليهم مسألة الكرامة فيموت الفائز لكثرة ما شرب من ماء.

كل هذه القصص الأوتشركية، وهى كثيرة فى مصطفى محمود، لا ينبغى أن تنسينا أنه فى مقدمة كتاب الجيل الجديد المتخصص فى القصة القصيرة. وأنه حيث يتخفف من أثر الصحافة عليه أن يبلغ درجات من الإتقان الفنى لا يبلغها إلا كتاب الجيل المستقر. ففى قصة "دواء منوم" مثلا تتجلى دربة مصطفى محمود الفنية فى الموازنة الماهرة بين نوم الموت ونوم الحياة وفى الموازنة الماهرة بين الجد الراضى النفس القابل لكل ما تأتى به الأقدار كأنه يعيش فى غبطة الأولياء ورضوان القديسين، وبين الحفيد البرم النفس الذى تنهشه الأفكار السوداء والملل من الحياة ولا يجد حلا إلا فى أفكار الانتحار التى تراوده. الجد تراوده أفكار النوم الطبيعى فى شيخوخته الطاعنة فيريح رأسه الكليل ويغمض عينيه نهائيا وهو يبتسم فى وداعة الطفل الغرير، والفتى تراوده أفكار النوم قبل الأوان فلا يعرف أين يسند رأسه المتعب القلق رغم الأقراص المسكنة التى يتعاطاها كل يوم بلا حساب. ولكن مصطفى محمود رغم انطوائيته البالغة وحساسيته الشديدة لهذه الظلال الكثيرة التى تتساقط من كل جانب حيثما وجدت سعادة الإنسان يرسم الحياة وظلالها الكثيرة بقلب يحب الحياة ويحس جمالها بكل خلية فى جسده وبكل ذرة فى وجدانه. وهذا ما حال بينه وبين الاستسلام للمرارة وطبع تشاؤمه بالحزن الهادئ العميق.

عندما شاهدت القمر

فى مرصد مصطفى محمود

رشدى صالح

عندما ينتج الفنان عملاً جديدًا يأخذ الحياة بين ذراعيه ويقبلها على خدها لأن أعظم شهوة فى حياته هى شهوة العمل.

دعانى مصطفى محمود - فى حماسة - أن أشاهد معه القمر كان يتحدث إلىَّ فى التليفون وكأنه يسلمنى إنذارا بالحرب.

- إذا لم تحضر قبل العاشرة، خسرت القمر

وذهبت إلى بيت مصطفى محمود، وعندما دخلت حجرته، طالعتنى صفوف الكتب المرصوصة، والأقنعة والتماثيل، الأفريقية ومنظار ضخم "تليسكوب" يتوسط باب الشرفة، وقد سدده مصطفى محمود صوب القمر

قال: - تعال.. هذا هو القمر

وكان مزهوا "كأنه يدعونى لركوب "صاروخ" كونى

وبدت لى قشرة القمر، كوجه عجوز بلغت المائة والخمسين.. فهذه أخاديد وظلال، ومرتفعات وسهول.. ولا أحد يدرى حتى اليوم، حقيقة الأسرار التى تعيش فوق الكوكب.. الساحر الجميل

لقد كان القمر، رؤية جميلة للعشاق والشعراء والفلاسفة

- نُشر هذا المقال فى جريدة الأخبار بتاريخ ٥ من يوليو ١٩٦٦م.

وعلماء الفلك وكان سببا فى جنون المجانين.
وأصبح الآن، "غراما" يعشقه مصطفى محمود الطبيب البشرى الذى أقول له فى كل لقاء:
- انصحنى.. كيف أعالج ضغط الدم؟
فيقول بضحكاته المرسلة الصغيرة وكأنه يتبرأ من مهمة الطب
- اذهب إلى طبيب
إنه ينفض "يديه" من أجسام الناس، لأنه مشغول بأرواحهم يكتب عن "الروح" و"النفس" وقد علق عينيه بقبة السماء، لأنه يكتب رواية خيالية علمية عن الإنسان بعد مائة سنة، وعلى مائدة صغيرة بجوار باب الحجرة، يحتفظ مصطفى محمود بمنظار آخر (ميكروسكوب) يكبر أدق الأشياء.
قال لى وقد فرغنا من مشاهدة القمر:
- الآن انظر معى إلى "خلية النبات"
وذكرنى منظاره الصغير، بمعامل كلية الزراعة
كان مصطفى قد وضع شريحة من ساق نبات تحت عدسة المنظار. وبدت لى الخلية النباتية أجمل من القمر.. فجدارها وسائلها، و"النواة" و"الحبيبات" التى تجرى فى داخلها، مصبوغة باللون الأخضر الصريح.. قاتما وفاتحا.. واللون الأحمر كالعقيق.
وقال مصطفى بطريقته: - ما رأيك فى هذا الكون العجيب .. علامة الحياة فى الخلية النباتية استمرار هذه الحركة التى تراها وكانت عدسة المنظار، تكشف عن حركة مستمرة غاية فى الدقة والنظام .. وخطر لى خاطر غريب.. قلت لمصطفى:
- كأنى أرى ميدان التحرير من الجو فالحبيبات تجرى بعضها وراء بعض كالسيارات العمومية المزدحمة بالركاب وسيارتك الخاصة البطيئة والخائفة من الزحام وكلها يلف عند زاوية الجدار
والفرق الوحيد أن حركة المرور فى خلية النبات ليس فيها مخالفات مرور.. لأن كل شىء يجرى إلى مستقره، فى هدوء ودقة.. تحكمه القدرة الأبدية، التى أحكمت مسار القمر والأرض،

وأدق الأشياء فى جسم الإنسان والحيوان، وذرات المعادن، وهشيم الحجر.

وسألت مصطفى: - لماذا هذا الغرام بالقمر؟

وفهمت أنه يضع نفسه فى جو روايته القادمة.. وفى الماضى كان الأدباء يقعون فى حب «الأقمار» الأرضية ليكتبوا عن الحب.

أما مصطفى محمود فيقع فى حب «القمر» السماوى، لأنه سيكتب عن حياة الإنسان على الأرض.

د. لوتس عبد الكريم

صاحبة ومؤسِّسة مجلة الشُّموع الثقافية الفصلية التى رأس تحريرها الكاتب أحمد بهاء الدين ووضع لها شعارًا «من أجل قيمة الجمال فى الأدب والفن والحياة» وجعل لها معنى «بدلاً من أن تلعن الظلام أضئ شمعة» فكانت شموعًا للفنون بأنواعها والسير الذاتية لكبار الكتَّاب والفنَّانين.

- ولدت بالإسكندرية
- تخرجت فى جامعة الإسكندرية قسم الفلسفة
- حصلت على ماجستير فى العلوم الاجتماعية من جامعة لندن، والدكتوراه فى الفلسفة من جامعة باريس.
- تنقَّلت معظم حياتها خارج مصر بحكم زواجها الدبلوماسى، فعاشت فى بلدان آسيا وأوروبا سنوات طويلة، وكانت حصيلة ذكرياتها فى هذه البلاد مُدَوَّنة فى مذكرات نُشِرَتْ على فترات متقاربة، كما كتبت دراسة عن شعب اليابان وتقاليده، وقامت بالتدريس فى جامعة طوكيو.
- صاحبت كثيرًا من أدباء العالم وفنَّانيه، كما فى مصر.
- أصدرت كتابًا عن موسيقار الأجيال محمد عبد الوهاب دوَّنت فيه أحاديثه وندوات صالونه، وصدرت منه طبعة ثانية

عن الهيئة المصرية العامة للكتاب عام ٢٠٠٣، كما أصدرت كتابًا عن فارس الرومانسية الأديب يوسف السباعى ٢٠٠٤، ثم كتابًا عن حياة الكاتب إحسان عبد القدوس وأدبه، وكتابًا عن عميد المسرح يوسف وهبى.

أما كتابها عن الملكة فريدة (صدر عام ١٩٩٣م) فكان عنوانًا لصداقة كبيرة وعميقة قامت بينهما حين اختارت الملكة مرسمها وقاعة لِلفن الذى تبدعهً فى منزل لوتس عبد الكريم، فكانت قاعة الشموع أول قاعة خاصة للفن التشكيلى بمصر. وظلّت تقدّم أعمال كبار الفنانين بعد رحيل الملكة.

- أصدرت فى فبراير ٢٠٠٨ كتابًا آخر عن الملكة فريدة عنوانه "الملكة فريدة وأنا ـ سيرة ذاتية لم تكتبها ملكة مصر" عن سلسلة "كتاب اليوم" التى تصدر بشكل شهرى عن مؤسسة أخبار اليوم.
- أصدرت فى أكتوبر ٢٠٠٨ كتابًا بعنوان «مصطفى محمود سؤال الوجود ـ بين الدين والعلم والفلسفة" عن سلسلة كتاب اليوم.

كما خصّصت ندوات بصالونها الثقافى يحضرها الساسة وكبار الكتّاب، وتحتفل فيها كمًا بمجلة الشموع المتخصصة بذكرى الأدباء والكتّاب أمثال طه حسين وتوفيق الحكيم وعبد الوهاب وأم كلثوم وبليغ حمدى ونزار قبانى وسيد مكاوى، مصطفى أمين، العقاد، يوسف إدريس، مصطفى محمود، يوسف وهبى، سناء جميل، محمد الموجى، الملكة فريدة، حسين بيكار، صلاح طاهر، صبرى راغب، محمود مرسى، وغيرهم.

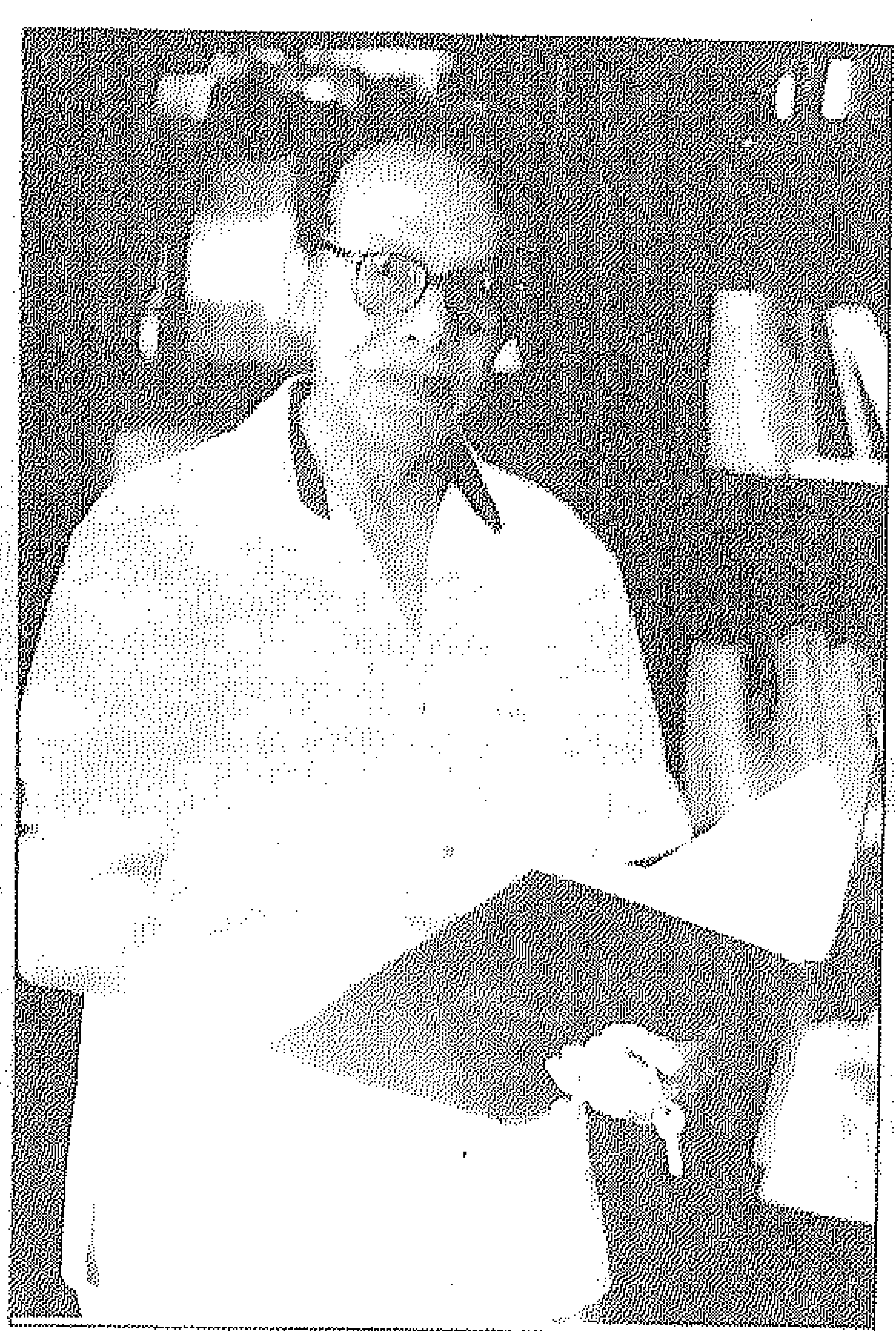
- عضو بالمجلس الأعلى للثقافة
- عضو بمجلس الشئون الخارجية
- عضو مجلس إدارة نقاد الفن التشكيلى
- رأست تحرير «كتاب الشموع» الذى صدر عن مجلة «الشموع» وصدر فيه كتاب «توفيق الحكيم.. مئة عام» بتقديم وإشراف لوتس عبد الكريم.

الفهرس

الصفحة

الصفحة

حياته..
في صور



■ القارىء العارف



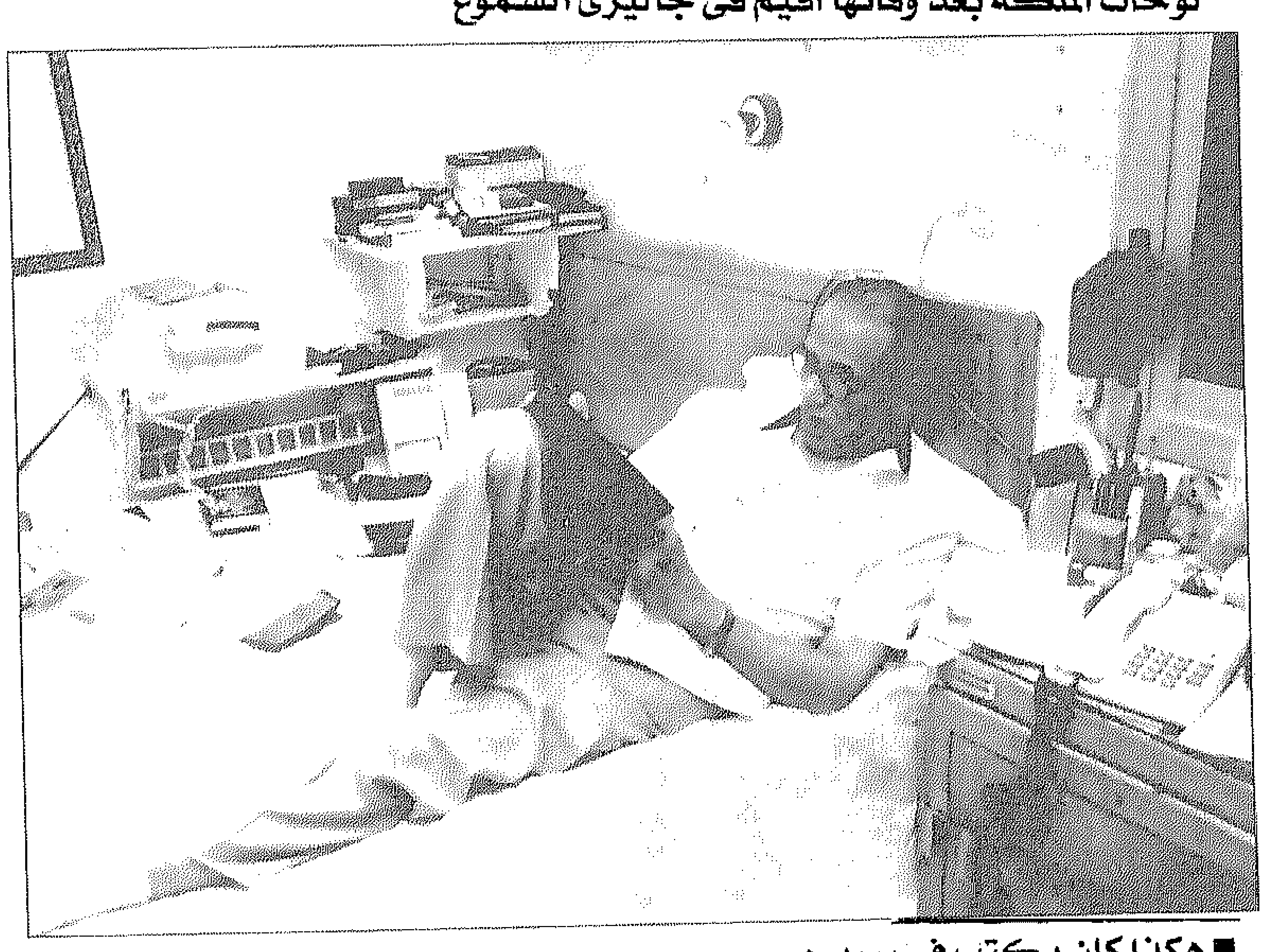
■ مع د. لوتس عبد الكريم



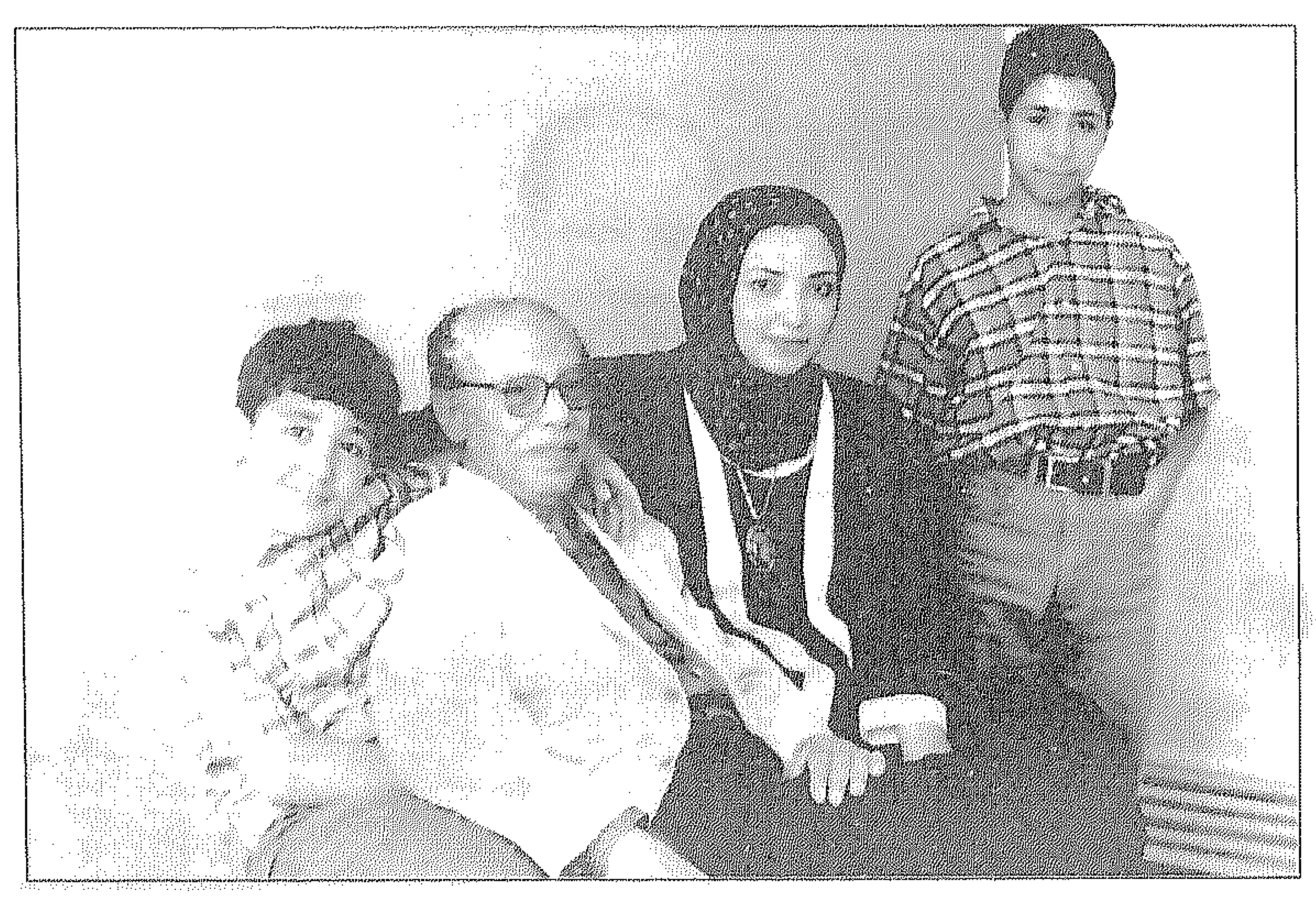
■ متحدثا إلى د. لوتس عبد الكريم ومعها آمال فهمى وصفية العمرى وراوية راشد



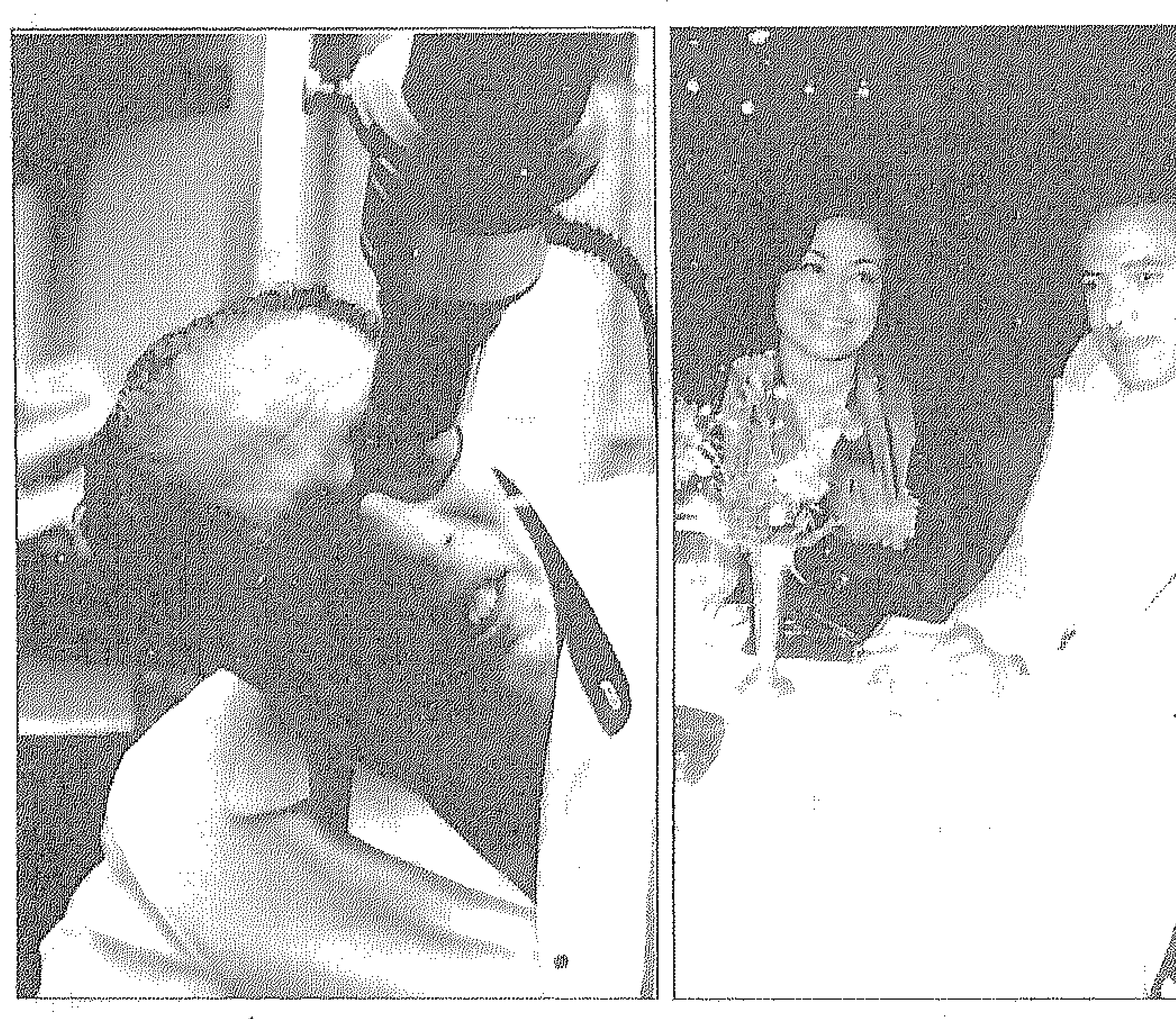
■ مع حفيـدة الملكة فريدة ياسمين فى افتتاح معرض لوحات الملكة بعد وفاتها أقيم فى جاليرى الشموع



■ هكذا كان يكتب فى سريره



■ بين أبنته وحفيديه



■ حواره مع الدكتورة لوتس عبدالكريم لم ينقطع أبدا

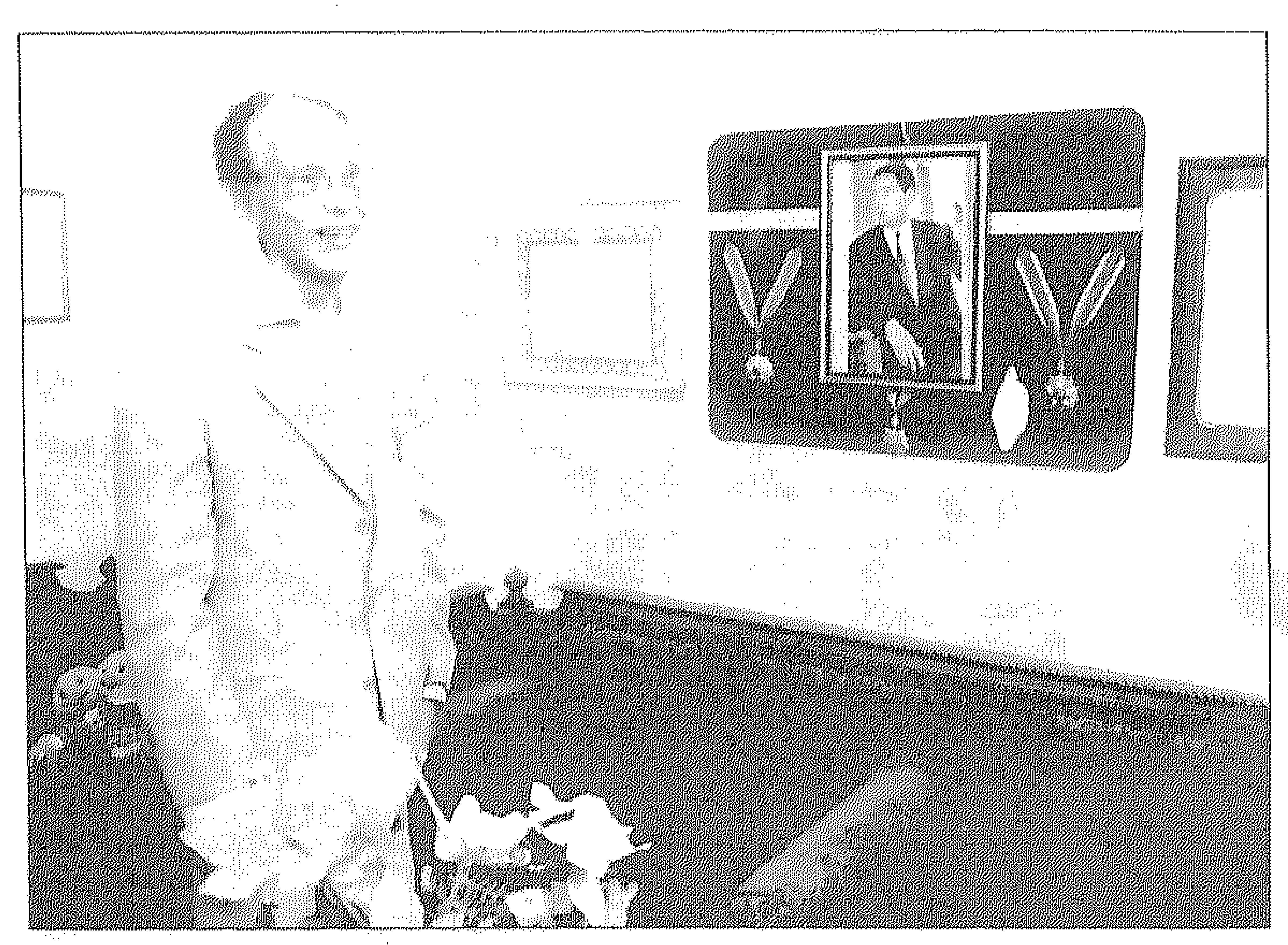
■ دوما كان يرى ما وراء الأشياء



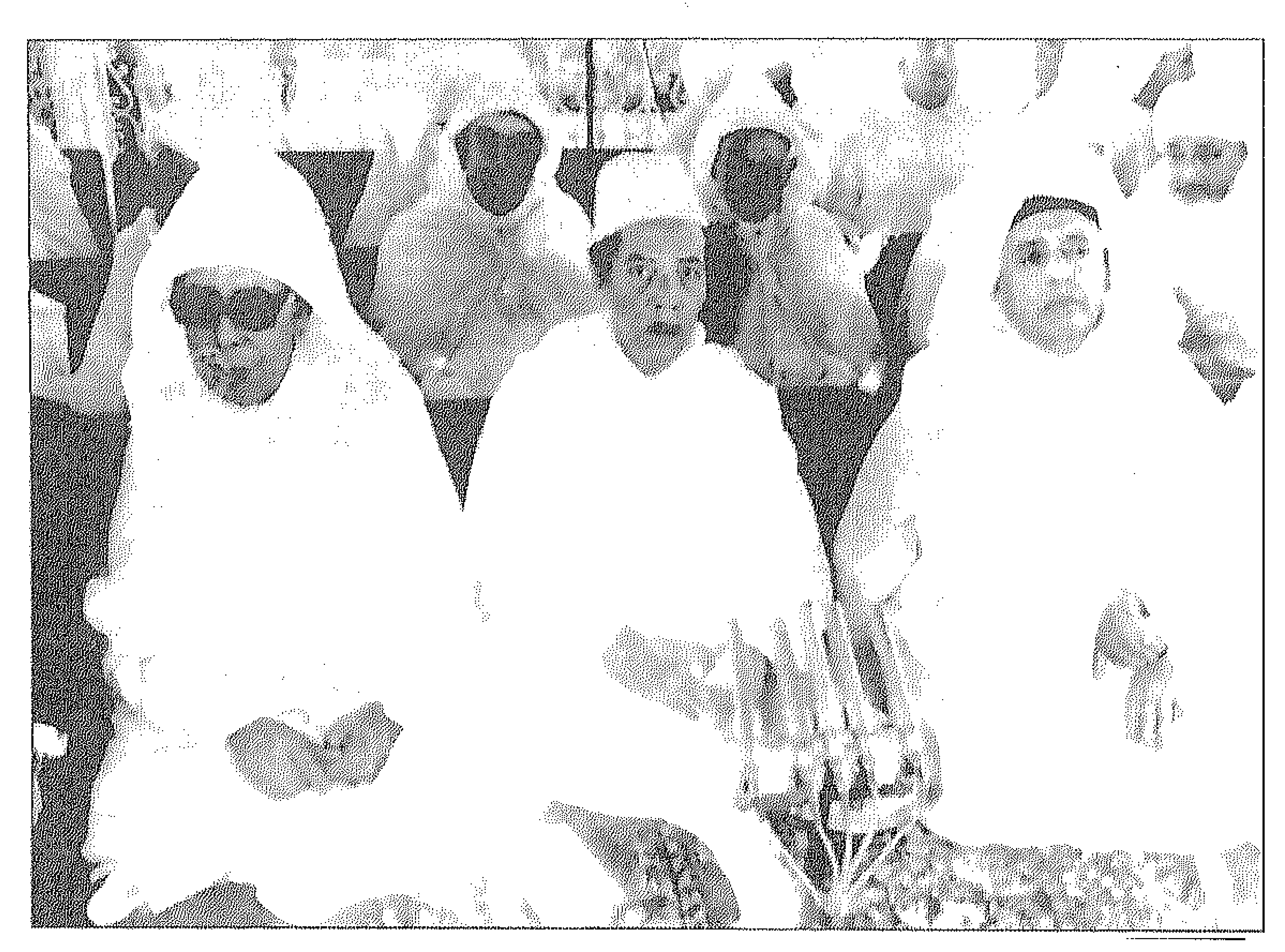
■ مع أبنته آمل



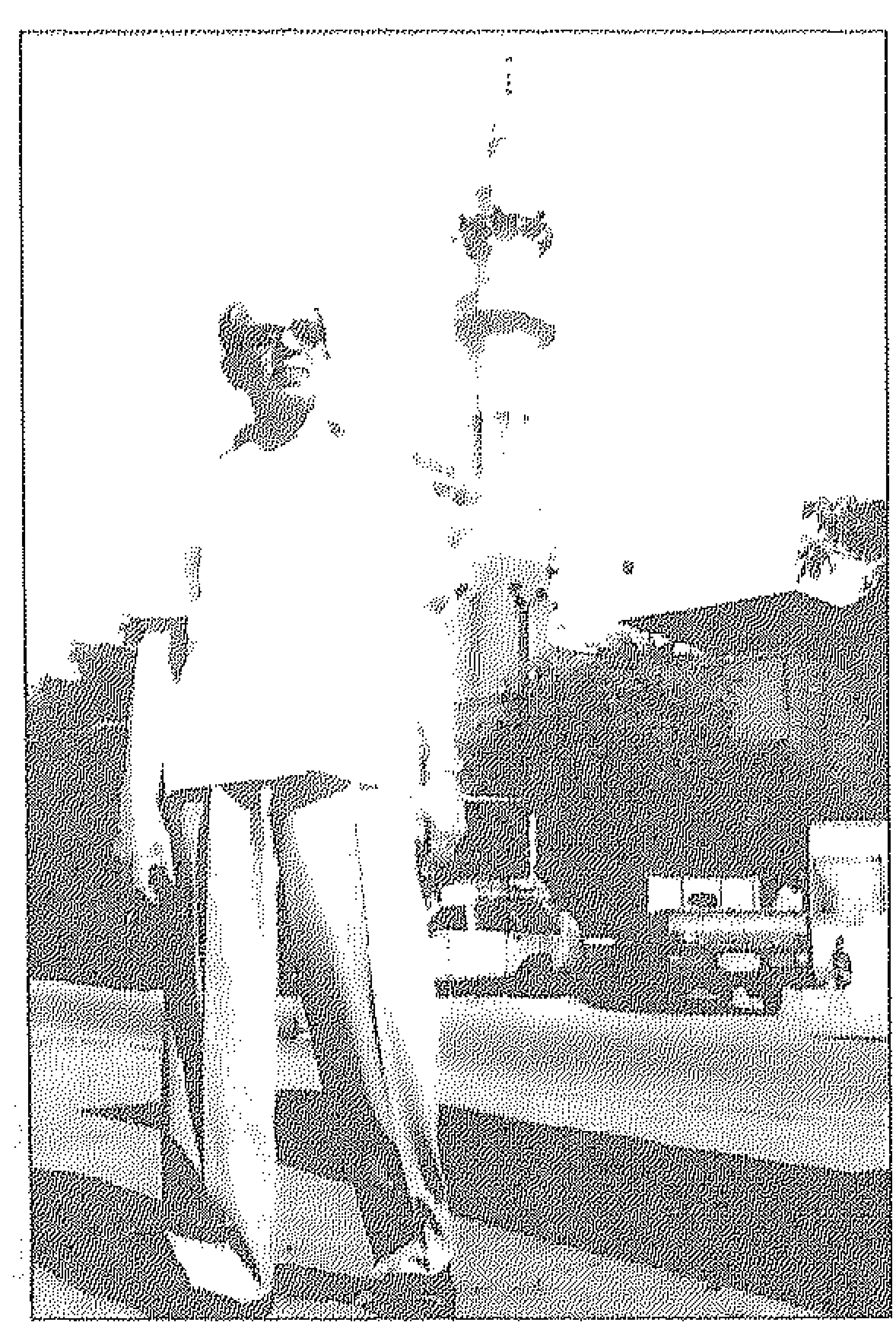
■ مع أبنه أدهم



■ حاصد الجوائز



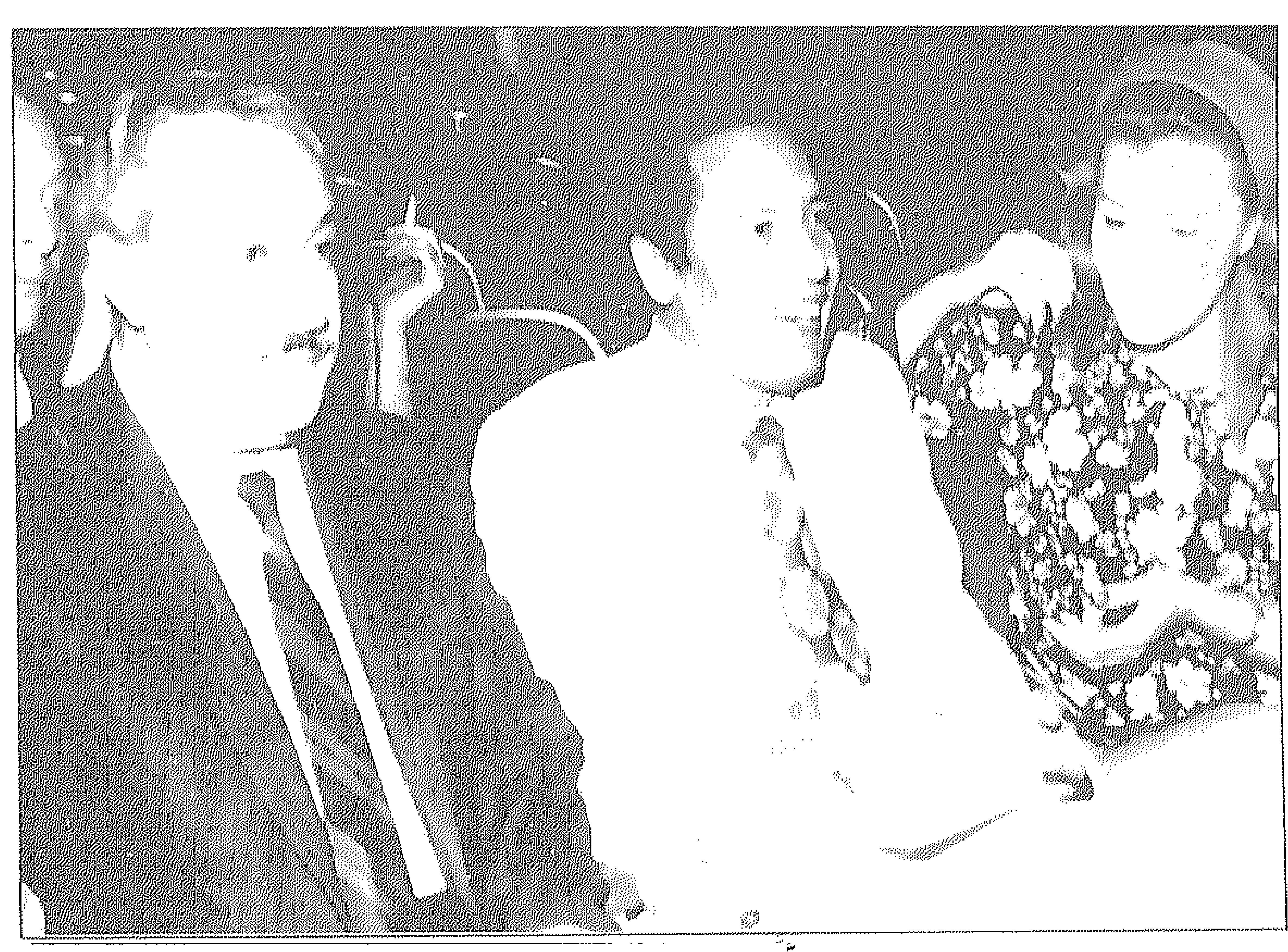
■ بالزى المغربى



■ أمام المسجد الذى يحمل اسمه



■ عازفاً على أفكاره ورؤاه



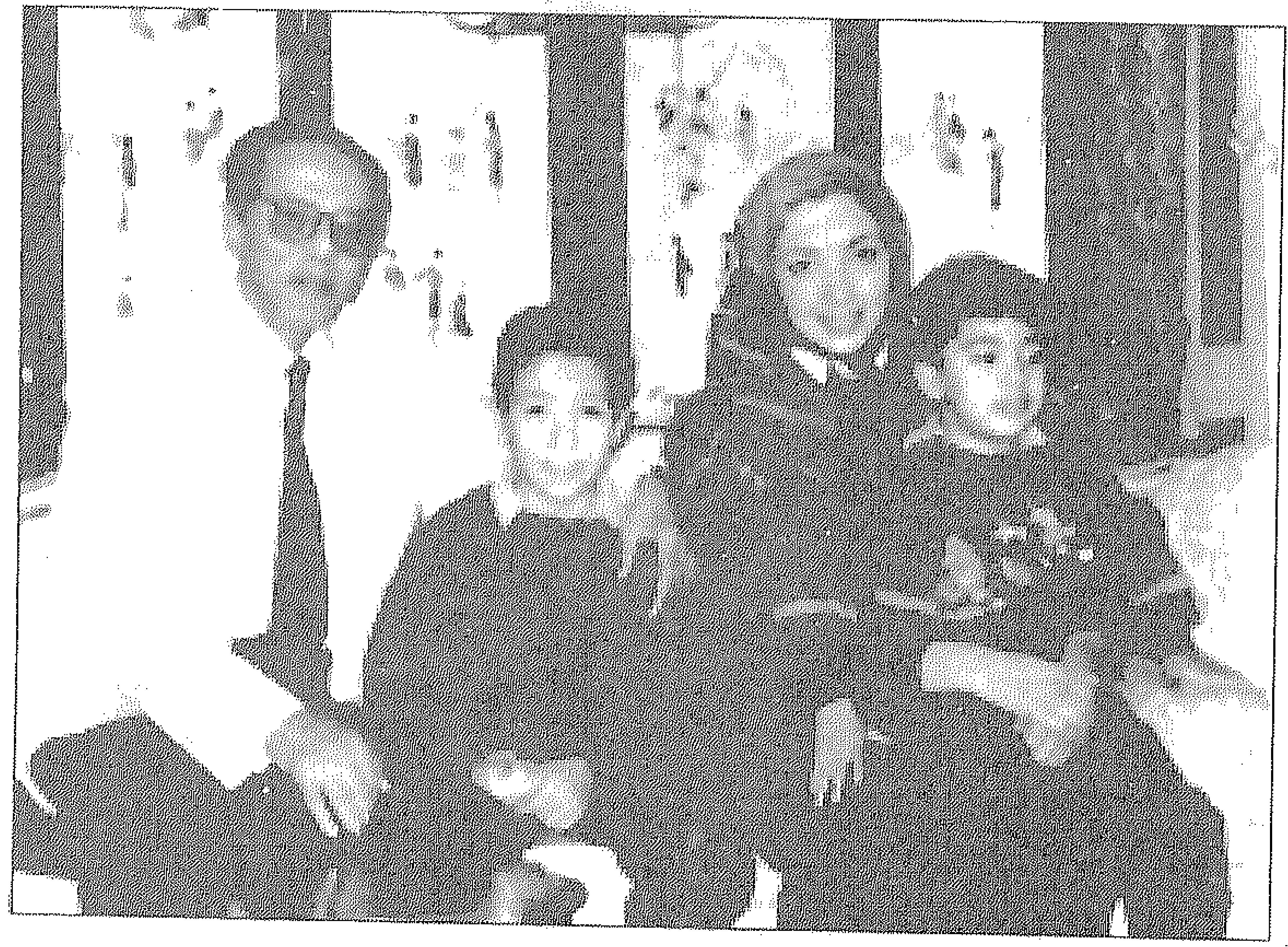
■ متوسطا ليلى طاهر ومحمد السبع



■ كان شابا متمردا ذهب إلى جحيم الفكر



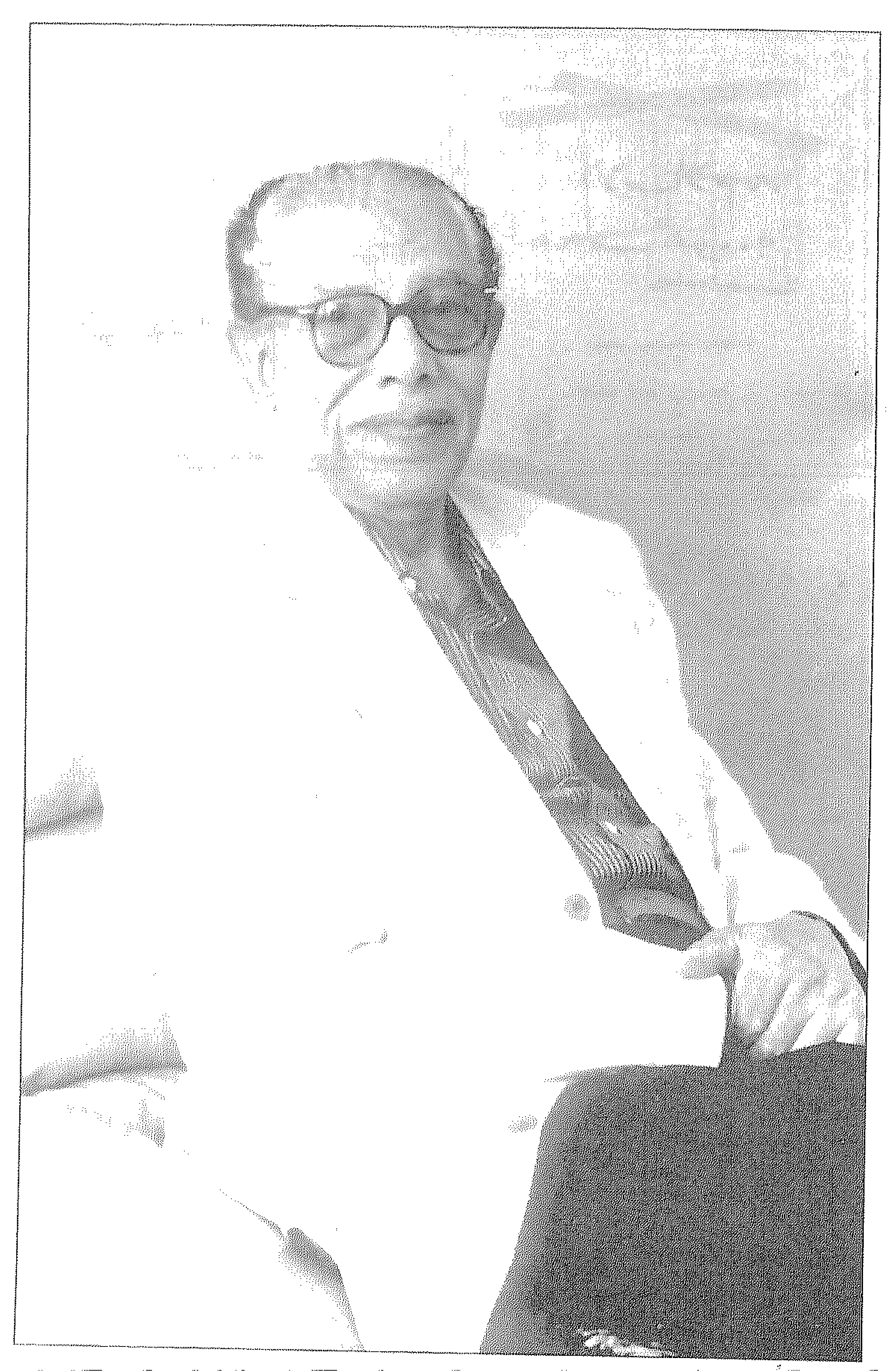
■ كان عازفا ماهرا على العود والناى



■ مع أبنته أمل وحفيديه



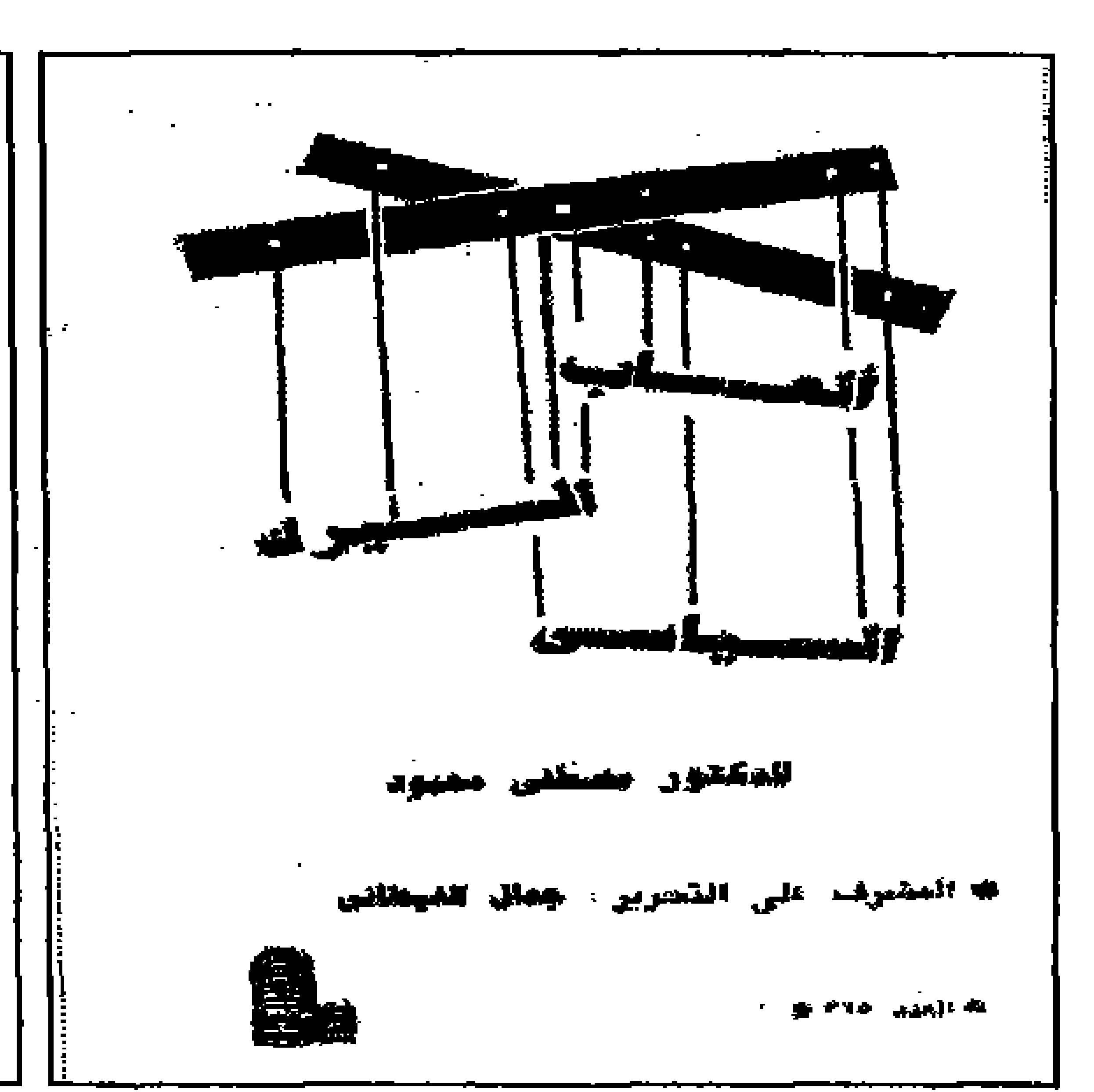
■ مصطفى محمود عريسا للمرة الأولى مع ملكة جمال مصر وأم ولديه أدهم وأمل



■ المفكر الذى شغل الناس

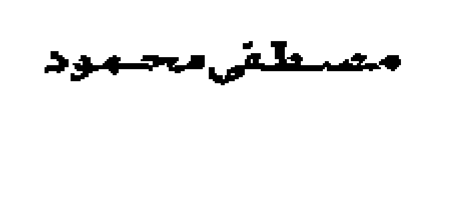


■ بعض من إهداءاته للمؤلفة



الدكتور مصطفى محمود

المشرف على التحرير : جمال الغيطاني



السؤال الحائر







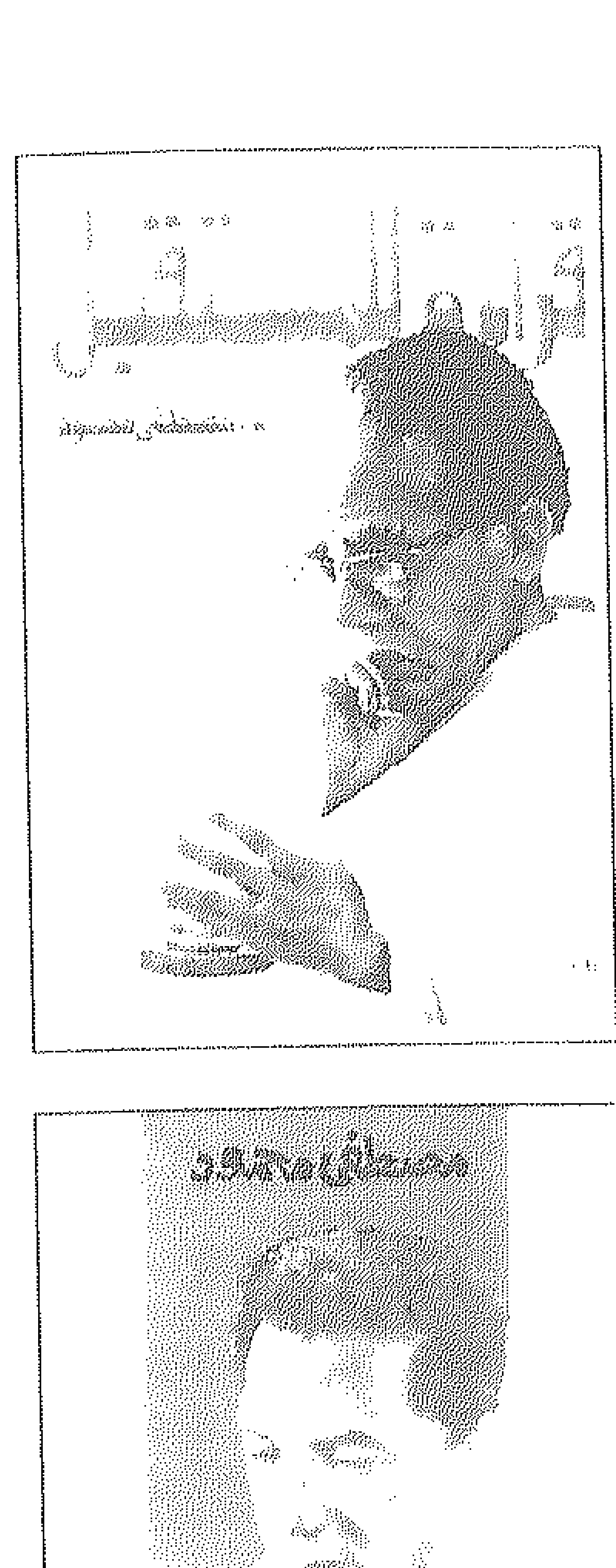
د. مصطفى محمود

قراءة للمستقبل

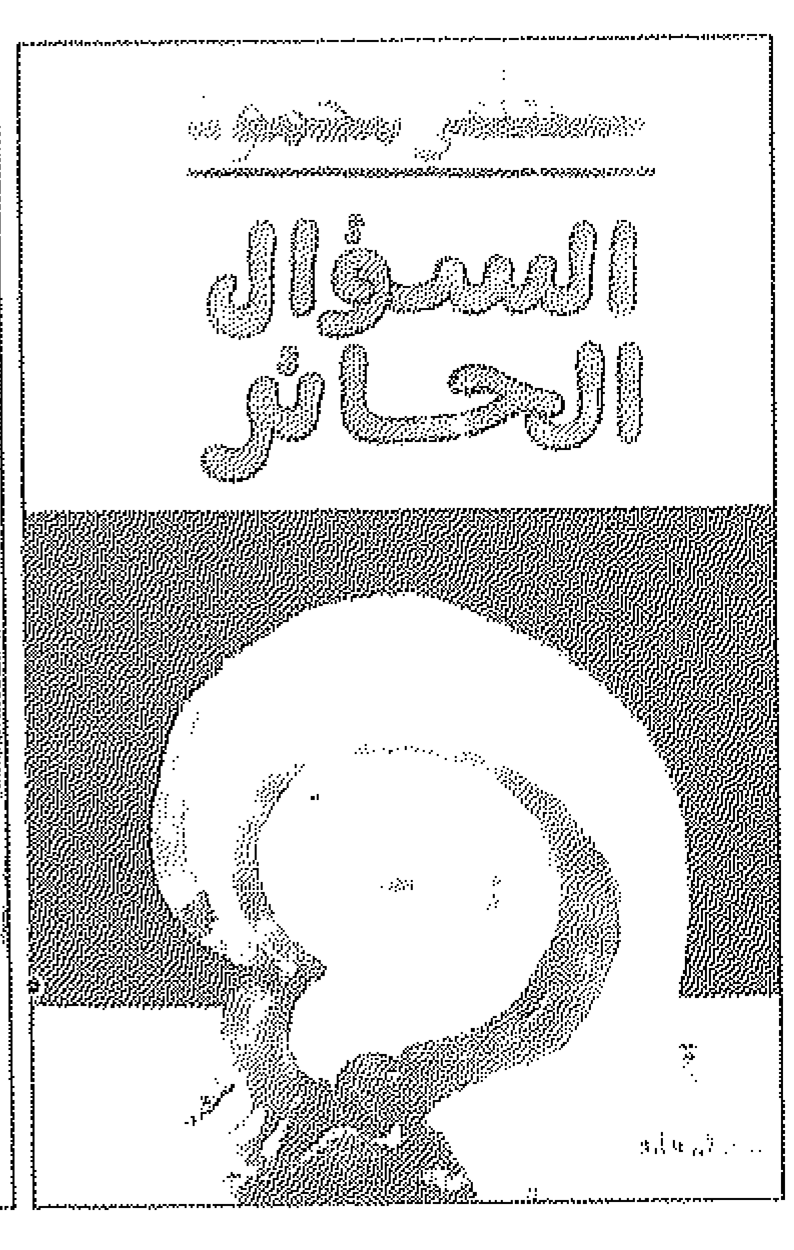
مصطفى محمود

وبدأ العد التنازلي

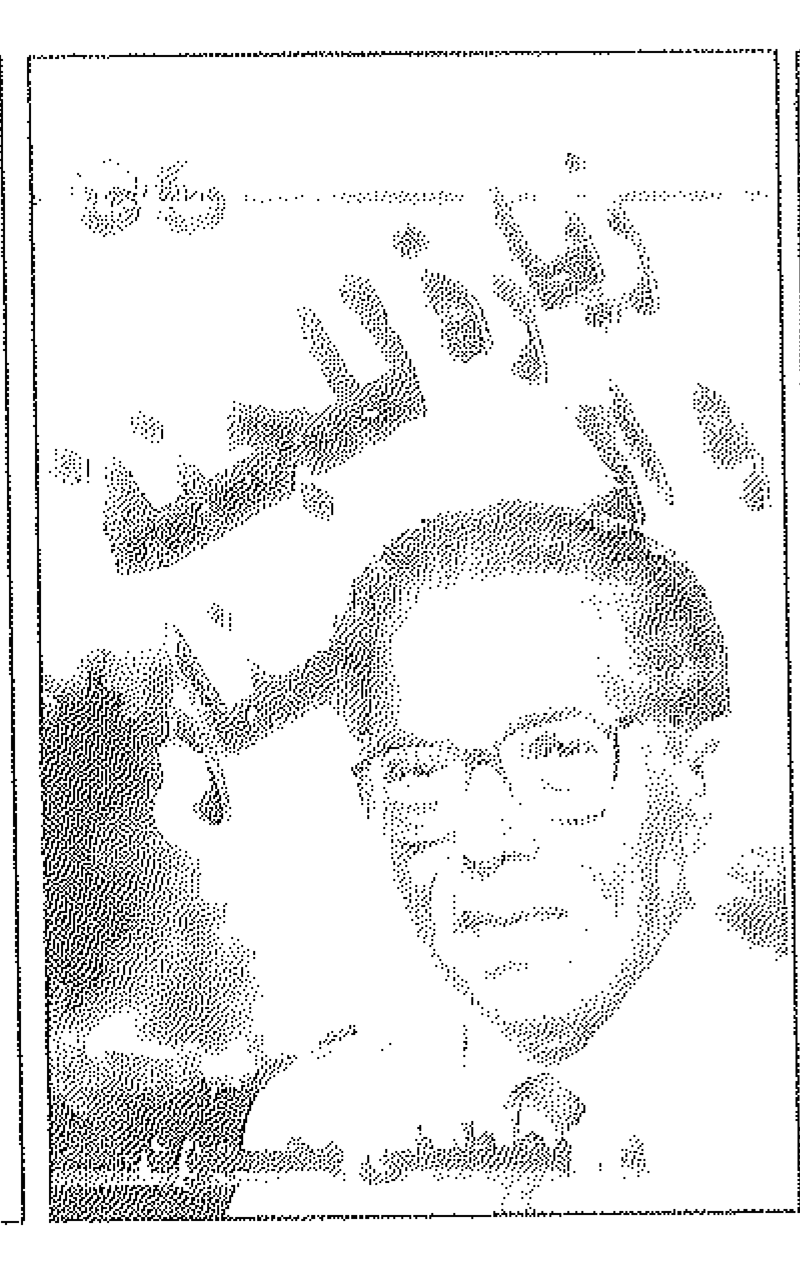
■ كان مصطفى محمود حريصا على إهداء كتبه إلى الدكتورة لوتس عبد الكريم











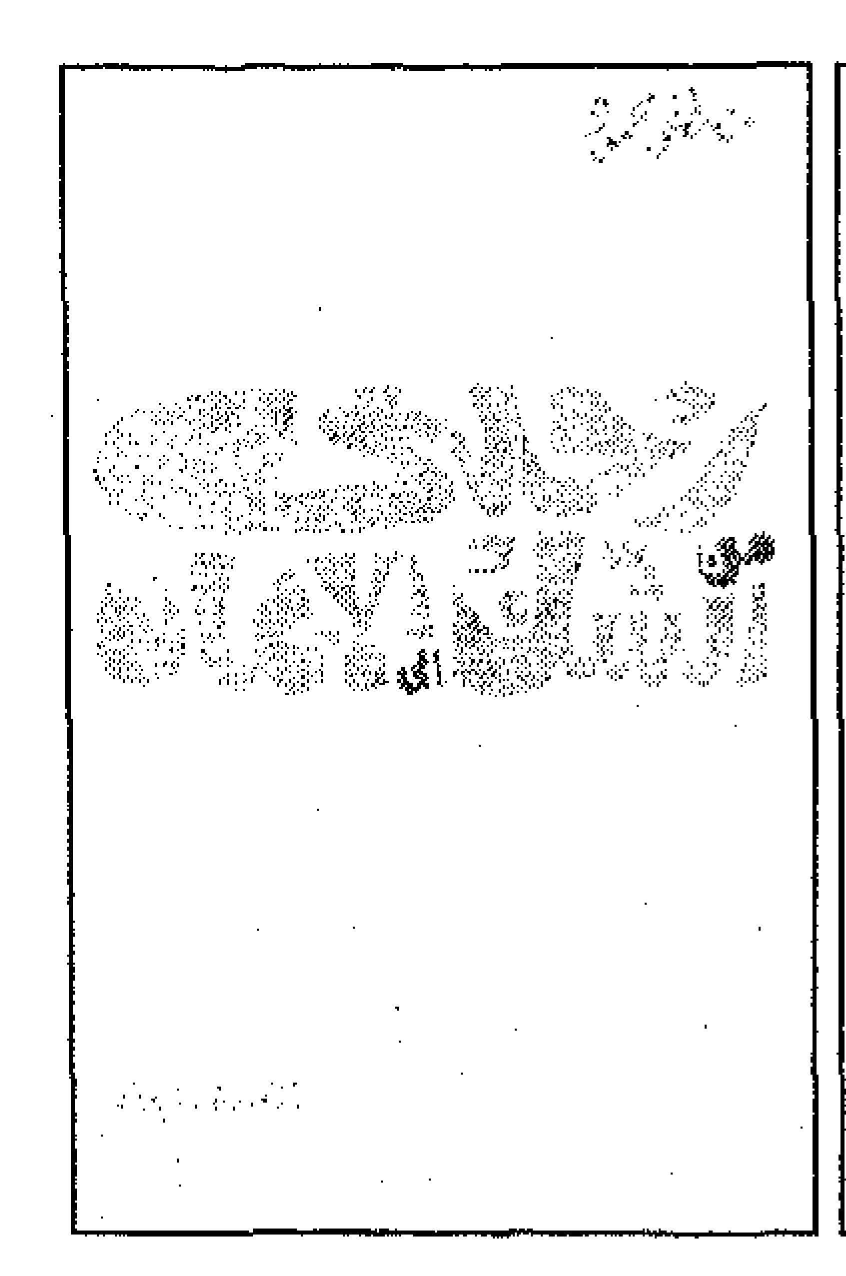


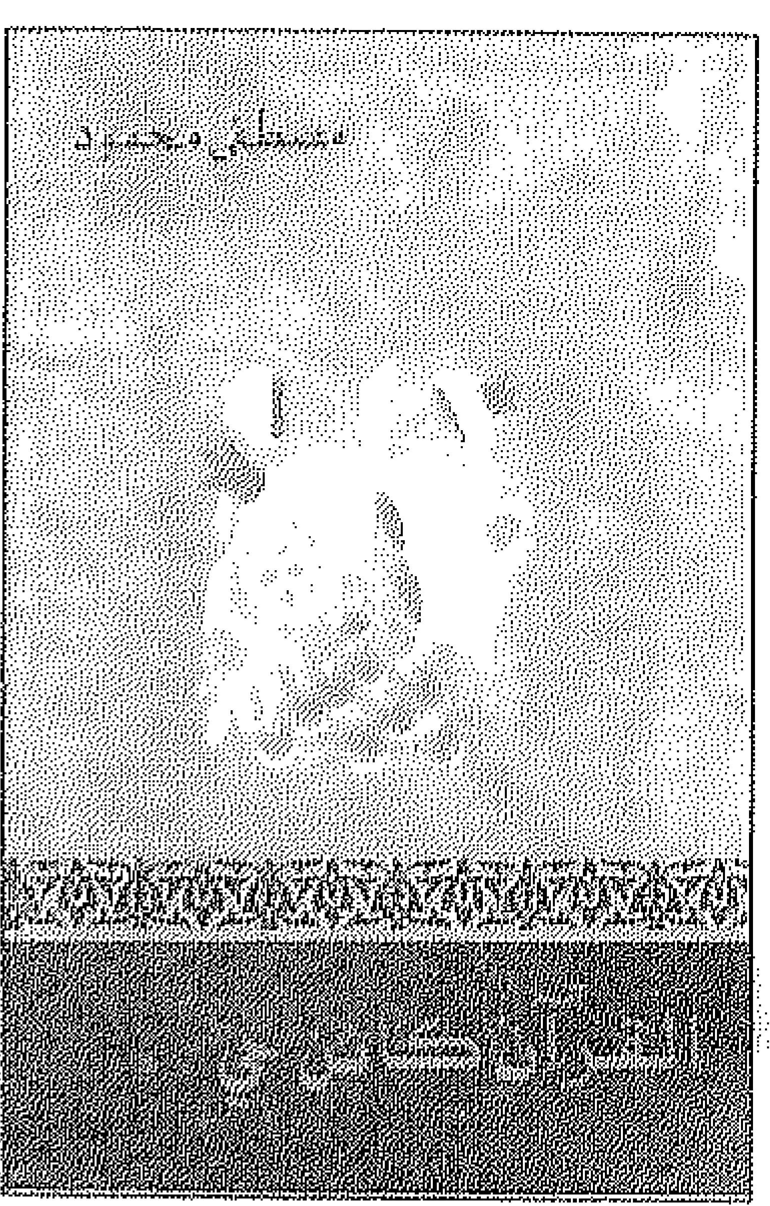


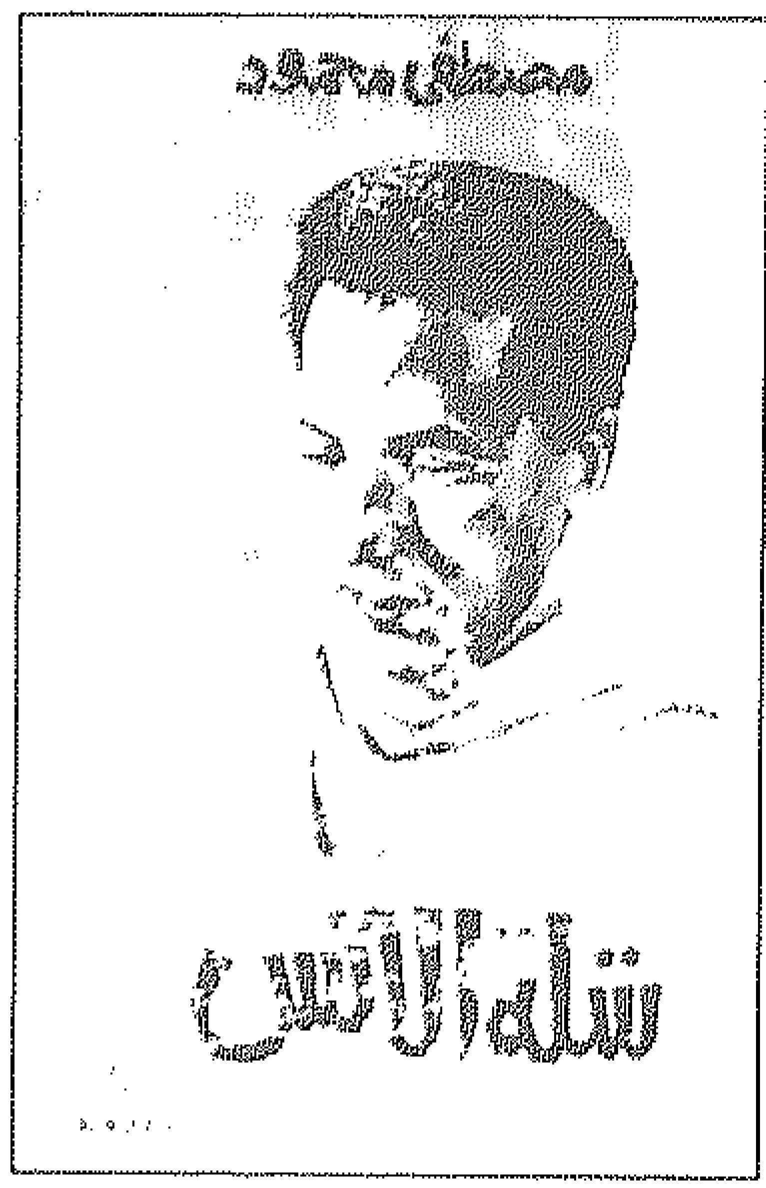


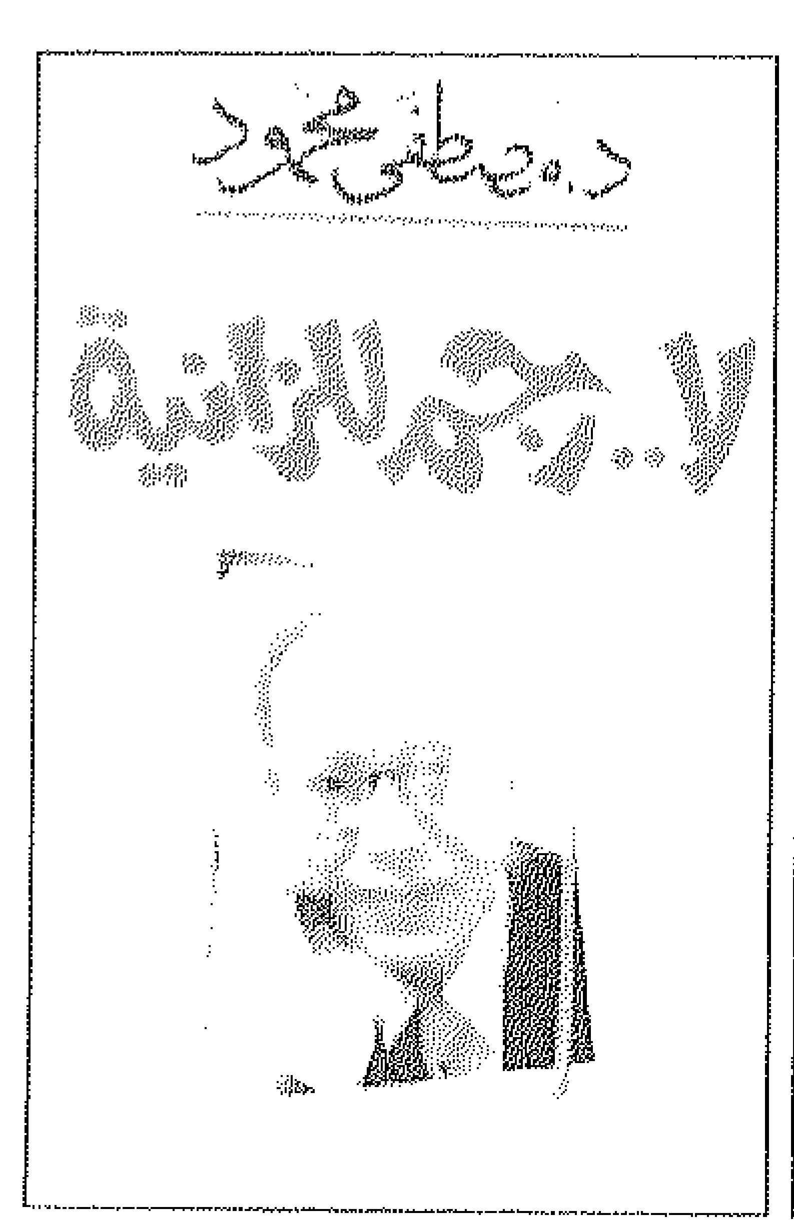
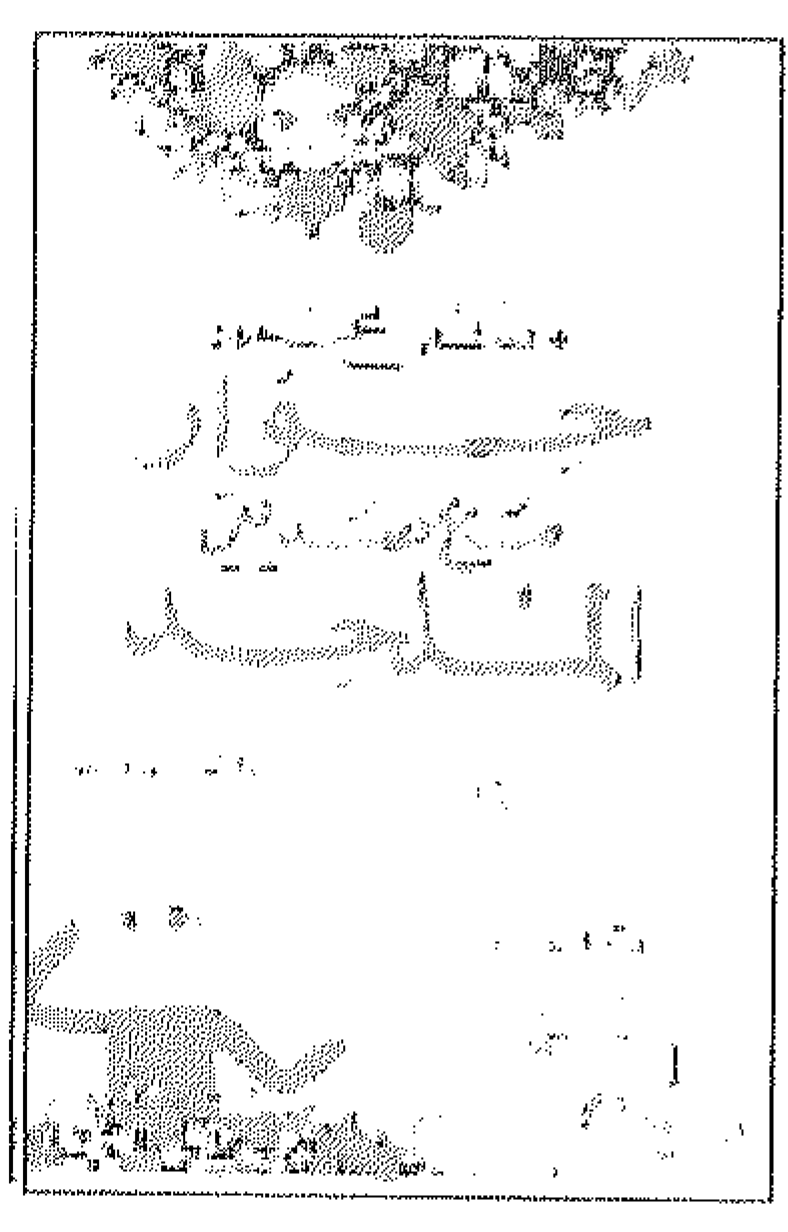
مصطفى محمود

وبدأ العد التنازلى



مصطفى محمود
محمد


مصطفى محمود
أناشيد
الإثم والبراءة

مصطفى محمود
شلة الأنس


د. مصطفى محمود
لا.. رجم للزانية

حوار
مع صديقي
الملحد

مصطفى محمود
الشيطان يحكم


مصطفى محمود شاهد على عصره
مصطفى محمود
لغز الحياة
السر الأعظم
مصطفى محمود
أكل عيش
محاولة لفهم عصري
زمن القرود

بطاقة فهرسه

فهرسة أثناء النشر إعداد الهيئة المصرية العامة لدار الكتب والوثائق القومية إدارة الشئون الفنية

عبدالكريم/ لوتس
مصطفى محمود .. سؤال الوجود
/ لوتس عبدالكريم .- القاهرة؛
كتاب اليوم، ٢٠٠٨.
ص٢١٦، ٢٠ سم. - (كتاب اليوم)

١- محمود، مصطفى، ١٩٢٥ -
٢ - الفلاسفة المصريون
أ - العنوان

٩٢١,١

رقم الايداع ٢١٩٩٤ / ٢٠٠٨

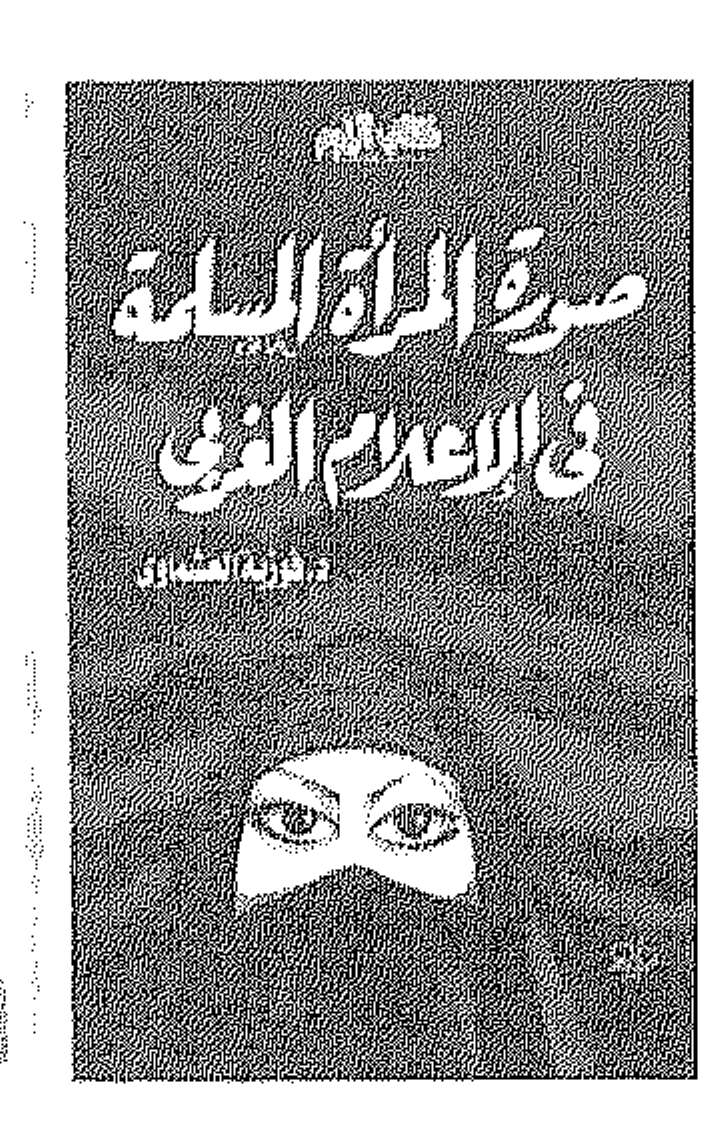
I.S.B.N.977-08-1388-5

مطابع أخبار اليوم ٦ أكتوبر

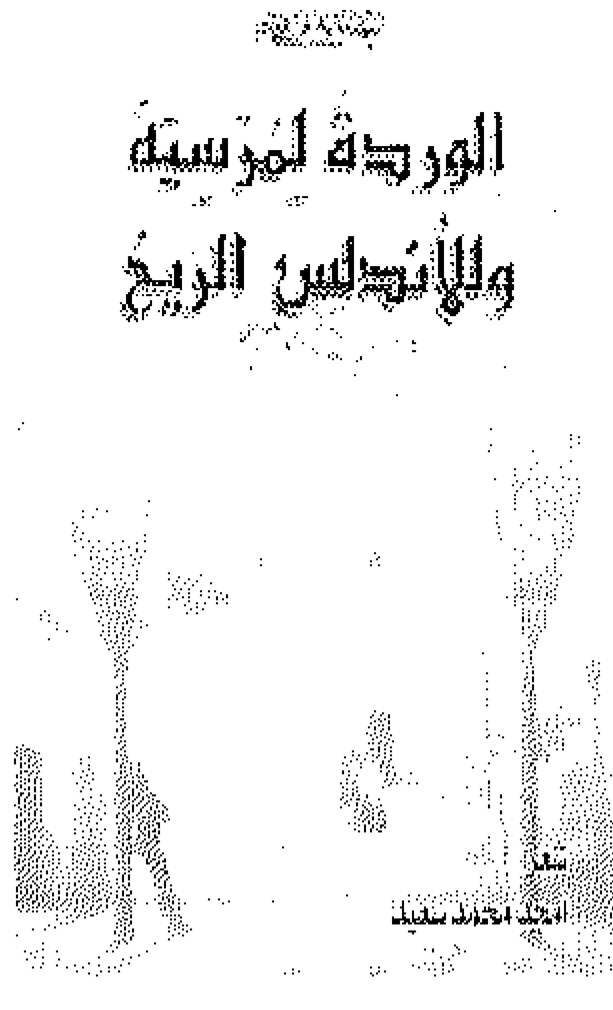
صدر عن كتاب اليوم



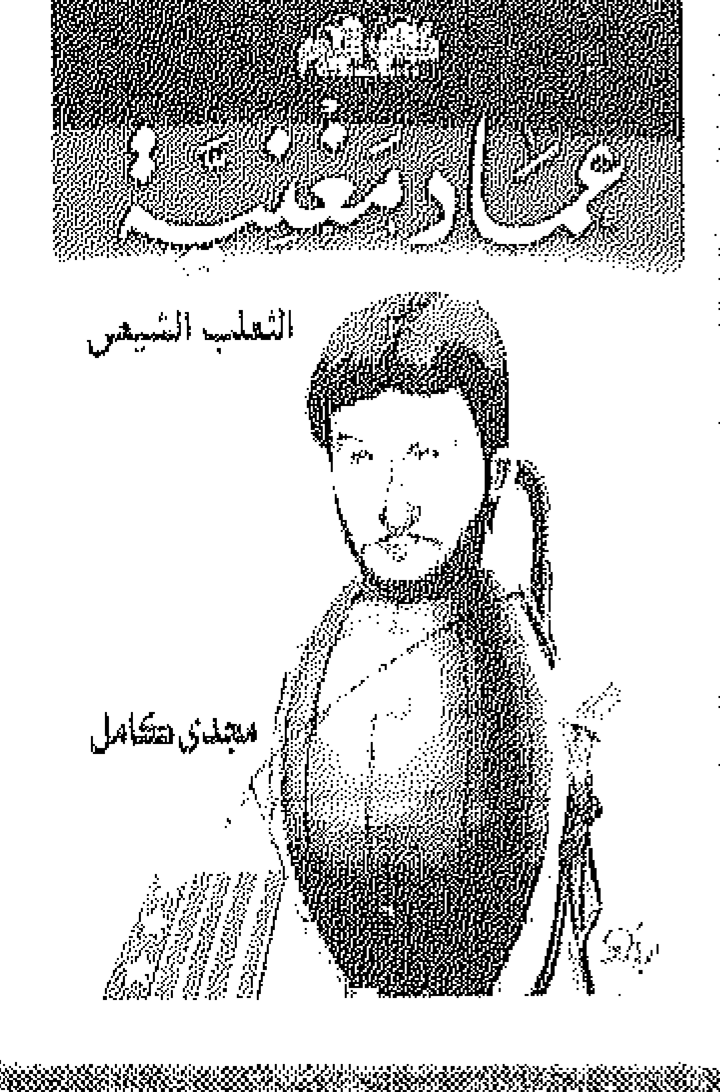


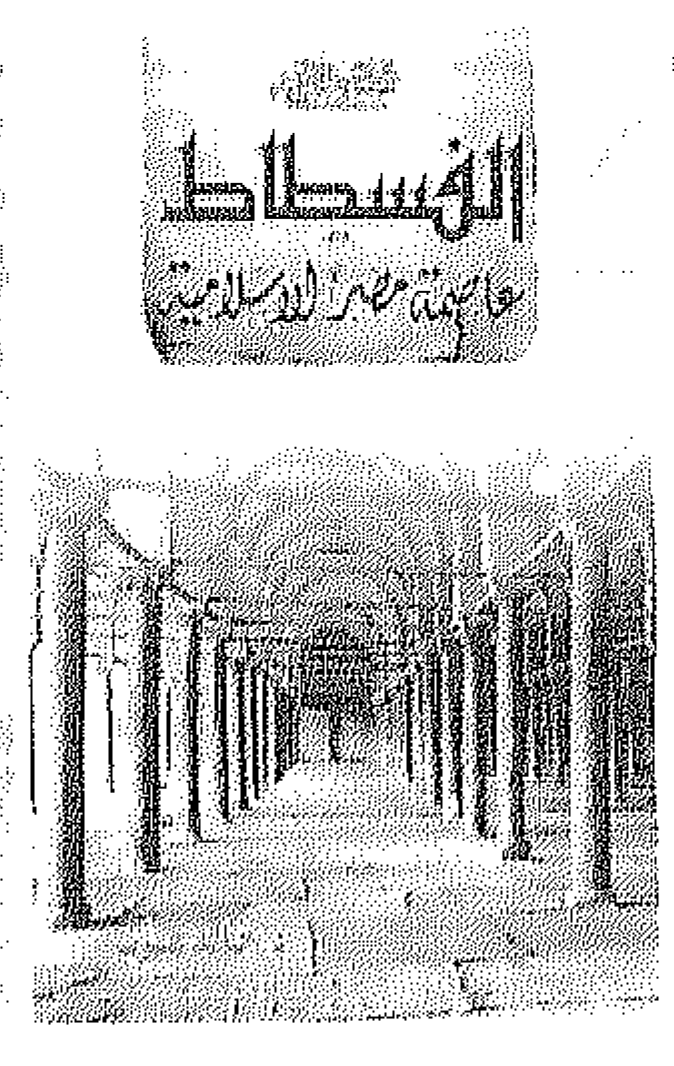


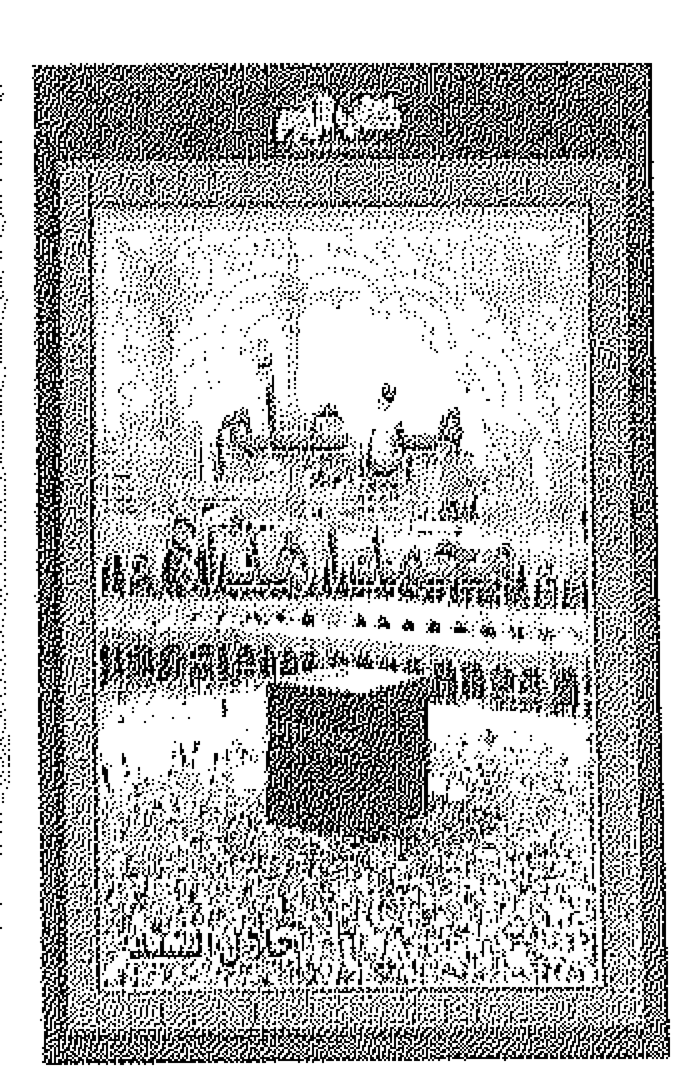












كتاب اليوم

ثقافة اليوم وكل يوم

يعتز «كتاب اليوم» بثقة قرائه الأعزاء فى أنحاء الوطن العربى، ومن أجل وصوله إليكم فى ميعاده المحدد فى أول كل شهر حسب قيمة الاشتراكات الموضحة فى الجدول التالى:

الاشتراك السنوى

داخل مصر	٧٢ جنيها
الدول العربية	٣٣ دولاراً أمريكياً
اتحاد البريد الافريقى وأوروبا	٤١ دولاراً أمريكياً
أمريكا وكندا	٤٧ دولاراً أمريكياً
باقى دول العالم	٦٢ دولاراً أمريكياً

يتم السداد نقداً أو بشيك أو حوالة بريدية أهلية لأمر:

اشتراكات أخبار اليوم

٦ أ شارع الصحافة بالجلاء القاهرة
جمهورية مصر العربية

إذا وجدت أى مشكلة فى الحصول على

كتاب اليوم

إذا كان لديك أى مقترحات أو ملاحظات فلا تتردد فى الاتصال بنا علـى أرقام:

٢٥٧٨٤٤٤٤ ـ ٢٥٩٤٨٢٢٣

أو على:

Nawal@akhbarelyom.org

- مركز البيع الرئيسى لكتاب اليوم بكل اصداراته الحالية والسابقة.
- آخر شارع الصحافة بالمبنى الادارى الجديد قرب الترجمان ـ مكتبة أخبار اليوم قطاع الثقافة.

ت: ٢٥٨٠٧٥٩١

كوبون اشتراك

الاس - - - - - - - - - -

م: ....

العن - - - - - - - - -

وان: ....

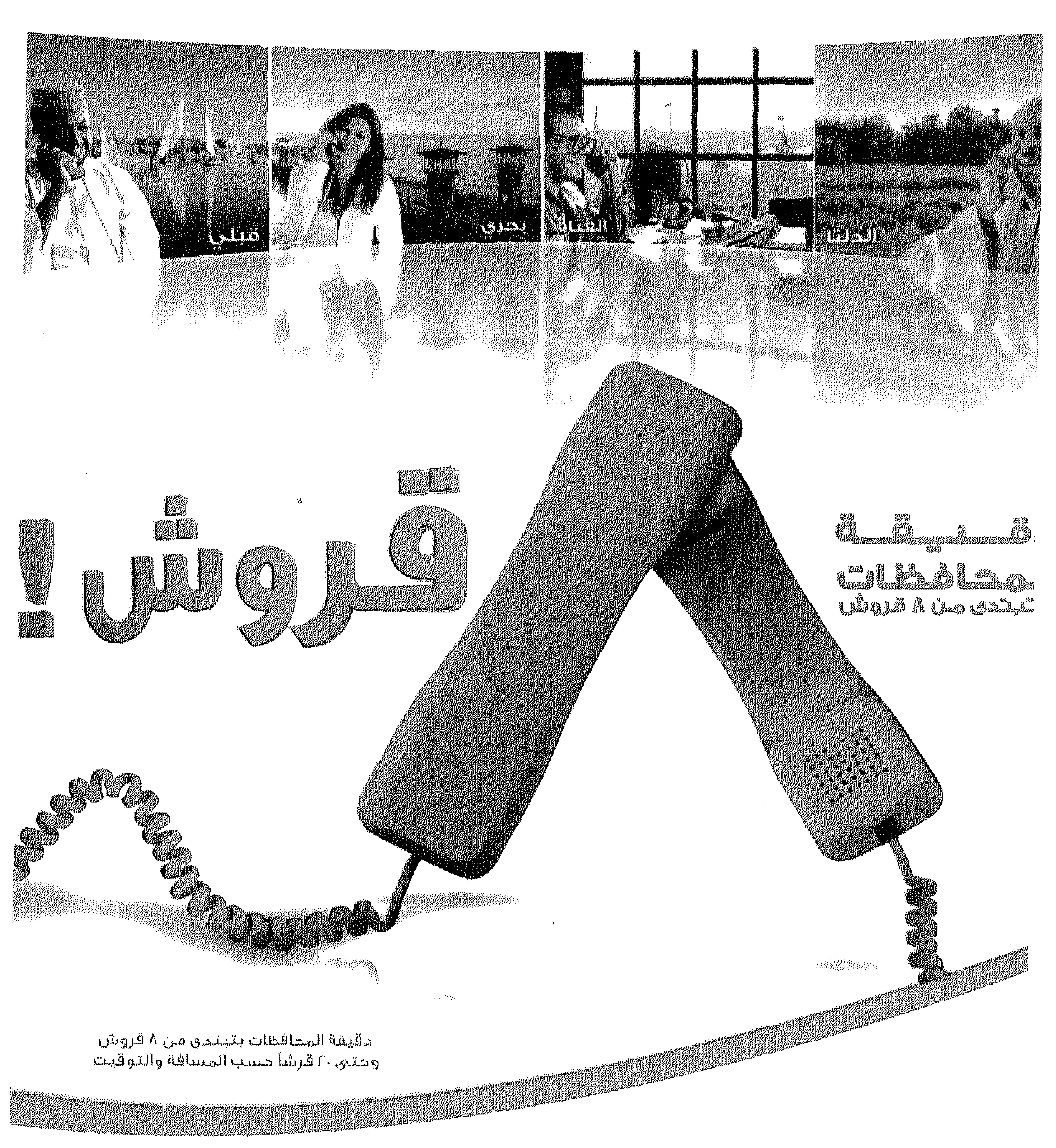
رقم التليف - -

ون: ....

مدة الاشتراك: ....

السداد/ نقدا شيك مصرفى

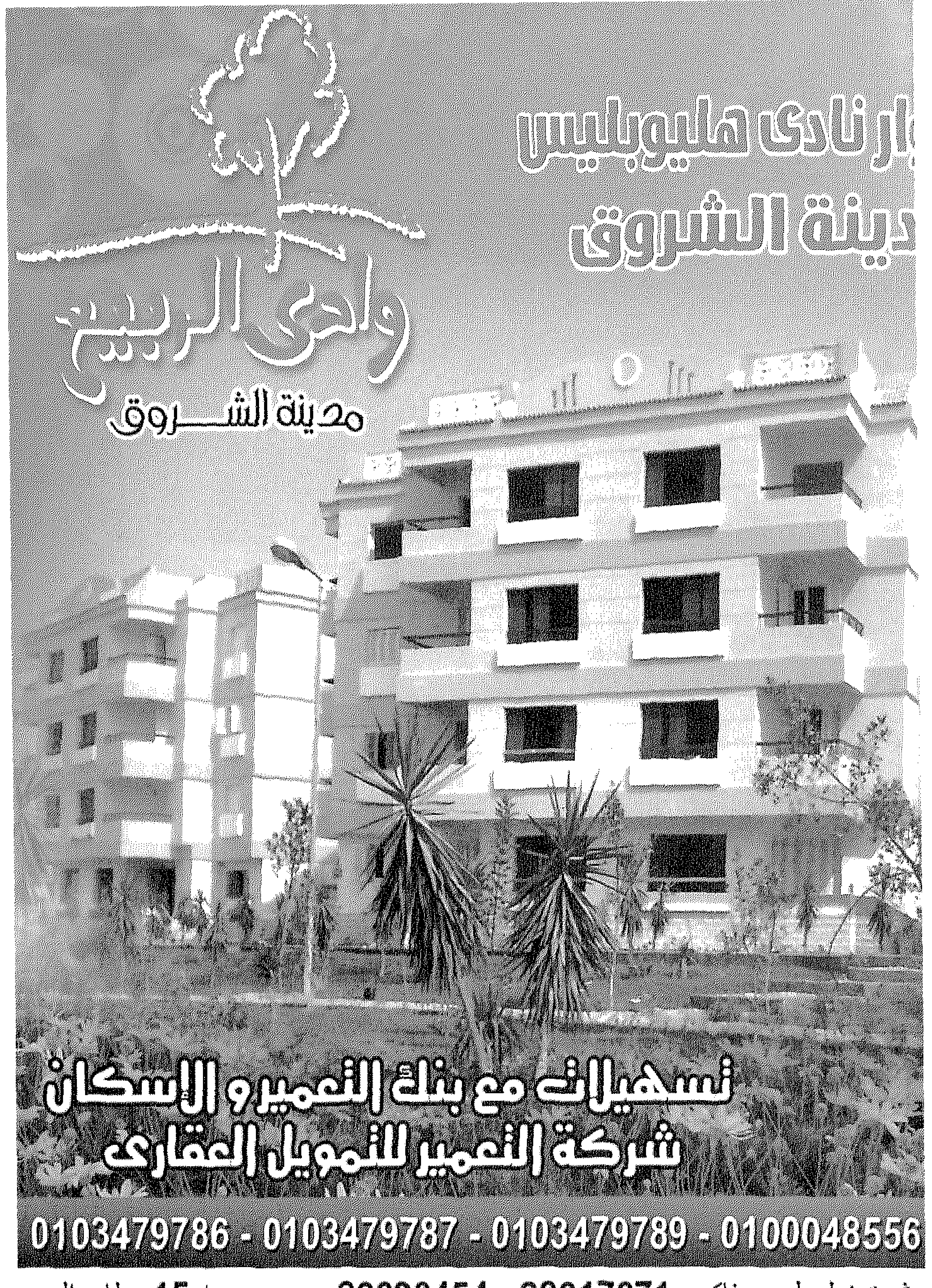
برجاء قبول اشتراكى فى كتاب اليوم.. ومرفق طيه شيك مصرفى لأمر اشتراكات أخبار اليوم على ان يبدأ الاشتراك



قبلي
بحري
الدلتا
قروش!
قيقة
محافظات
تبتدي من ٨ قروش
دقيقة المحافظات بتبتدي من ٨ قروش
وحتى ٢٠ قرشاً حسب المسافة والتوقيت



سخان كهربائى
New
كريازى
التبريد بجد
التجميد بجد
الطهى بجد
الغسيل بجد
و دلوقتى ...
التسخين بجد
سخان كريازى
• عزل سميك يحفظ المية سخنة على طول
• إيناملد مايصديش - و يوفر فى الكهرباء
• سخان أكبر بـ ٥ لتر عن المقاسات اللى فى السوق
High Quality High Quality
الوكيل الوحيد
صادكو
١٩١٤٠
كريازى
حبى واعتزازى
١٩٠٩١
55 liters
لتر
Senior



ار نادى هليوبليس
دينة الشروق
وادى الربيع
مدينة الشـــروق
تسهيلات مع بنك التعمير و الإسكان
شركة التعمير للتمويل العقارى
0103479786 - 0103479787 - 0103479789 - 0100048556

الثمن 10 جنيهات

طبع بمطابع أخبار اليوم

